

الفَرْقَانِ

١-٢



مملكة الشيخ  
الدكتور محمد الصارقي

# الفروق

في تفسير القرآن  
بالقرآن والسنة

الجزء الأول والثاني

سورة البقرة

دار التراث الإسلام  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بجدة - ليبيا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأُ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوهَأُ تَسْرُ النَّاطِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

لا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

هنا عرض فسيح يفصح عن مدى لجاج اليهود أمام الله ورسوله ، تمخّلا للمعاذير الواهية المهينة في أمر كان لصالحهم ، وقد تساءلوا موسى عنه ، وهو قصة القتل التي خلقت فيهم جوا من الحجاج واللجاج.

كلّ من قبيلي النزاع يتهم الآخر ، مما يكاد يولّع نيران الحرب بينهم ، وكما ورد في الأثر <sup>(١)</sup> المؤيّد بملامح آيات القصة : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ

(١) البحار ١٣ : ٢٥٩ عن تفسير القمي أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان رجلا من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأت منهم ، فأنعمت له ، .

**مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢-٧٣﴾.**

ندرس في قصة البقرة . القصيرة . آماذ الحمق والعناد في العمق لهؤلاء

. وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقا رديما فلم ينعموا له ، فحسد ابن عمه الذي انعموا له فقعد له فقتله غيلة ثم حمله الى موسى (عليه السلام) فقال : يا نبي الله هذا ابن عمي فقد قتل ، فقال موسى (عليه السلام) من قتله؟ قال : لا أدري ، وكان القتل في بني إسرائيل عظيما جدا فعظم ذلك على موسى فاجتمع اليه بنو إسرائيل فقالوا : ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن باز كان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأسه وكان نائما ، وكره ابنه أن ينهه وينغص عليه نومه : فانصرف القوم فلم يشترها سلعته ، فلما انتبه أبوه قال له يا بني ، ماذا صنعت في سلعتك؟ قال : هي قائمة لم أبعها ان المفتاح كان تحت رأسك فكرهت ان أنبهك وأنغص عليك نومك ، قال له أبوه : قد جعلت هذه البقرة لك عوضا عما فاتك من ربح سلعتك ، وشكر الله لابنه ، ما فعل بابيه ، وامر موسى بني إسرائيل ان يذبحوا تلك البقرة بعينها ، فلما اجتمعوا الى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فتعجبوا وقالوا : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا﴾ نأتيك بقتيل فتقول : اذبحوا بقرة! فقال لهم موسى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فعملوا انهم اخطأوا فقالوا : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ والفارض التي ضربها الفحل ولم تحمل ، والبكر التي لم يضربها الفحل ، فقالوا : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُحُهَا﴾ اي شديدة الصفرة ﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾ إليها ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ اي لم تذلل ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ اي لا تسقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةً لَا شِيبَةَ فِيهَا﴾ اي لا نقطة فيها الا الصفرة ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال : لا أبيعها إلا بملء جلدتها ذهباً فرجعوا الى موسى (عليه السلام) فأخبروه فقال لهم موسى : لا بد لكم من ذبحها بعينها ، فاشتروها بملء جلدتها ذهباً فذبحوها ، ثم قالوا : يا نبي الله ، تأمرنا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه : قل لهم اضربوه ببعضها وقولوا من قتلنا؟ فأخذوا الذنب فضربوه وقالوا : من قتلنا يا فلان؟ فقال : فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به ، وهو قوله : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الأبقرة العباقرة! وكم بقروا : كلاً في بصائرهم الكليّة العليّة في العقليّة الإنسانيّة ، مهما بقروا : شقا للمسالك الحيوانية الشهوانية ، فهم في الروحية الإنسانية في أسفل سافلين ، وفي الترسّلات الحيوانية والسياسات المادية في أعلى عليين!.

هنا السمات الرئيسية للطبيعة الإسرائيلية ، والوصمات النكدة النكبة ، تبدو واضحة وضح النهار في هذه القصة ، من مدى انقطاع الصلة بين قلوبهم المقلوبة وبين مقلب القلوب ، انقطاعاً عن نبعة الحياة الروحية الشفافة الرقراقة ، واتصالاً طليقاً حليقاً بالمظاهر المادية ، لحدّ قد يسبقون الماديين في دورهم الدائر وحوهم الحائر حول المادة والحيوية الحيوانية الشرسة. ولقد سميت سورة البقرة بما بمناسبة قصة البقرة ، وهؤلاء الأباقرة فيما تقصه عنهم في هذه المجالة وسائر المجالات المعروضة فيها ، عرضاً لحمقهم في عمقهم لحدّ قد تهان البقرة في تمثيلهم بها وعبادتهم إياها!.

وترى كيف يلفت عن خطاب الحاضر لهم . فيما سبق هنا من خطابات . إلى عرض غائب في تقاولاتهم هذه ، ثم نقلت إلى خطابهم عرضاً لمادة القصة المقدمة عليها : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ وهي أخرى أن تقدّم بطبيعة الحال التسلسلية؟.

علّه لأن القصة غير مذكورة في التوراة زمن نزول القرآن كما الحاضرة ، فليعرضوا غيباً فيها ، ومن ثم . وبعد تثبيت القصة . يأتي دور العرض لقتلهم نفساً وتدارئهم فيها ، ولها إشارة في التوراة <sup>(١)</sup> تليقاً دقيقاً رفيقاً للواقع المغفول

(١) في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التثنية : ١ إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله ٢ يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التي حول القتيل ٣ فالمدينة القرى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير ٤ وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى وادي دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون .

عنه بالواقع المشار إليه فيها وليذكروا ماضيهم فيعرفوا من هم؟.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦٧.

يقولها لهم موسى لما راجعوه بشأن القتل المجهول أمره ليوضح لهم ، وإذا هم بأمر لا يناسب في قياسهم سؤالهم وسؤالهم ، وهو في نفس الوقت هتك لما يحترمون من البقرة لحد عبودها لفترة ، بل ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (٢ : ٩٣) ثم إذا كانت هناك صلة فلتكن إحياء الميت بذبح البقرة وذلك هو أبعد البعد صلة بأمرهم! فكيف . إذا . يذبحون بقرة؟ ولا تمت بصلة قريبة ولا بعيدة لمعرفة القاتل ، أم كيف يعرف القاتل بقتل آخر! لكنهم تناسوا الحكمة الربانية الخفية في أوامره ، الجلييلة في تطبيقاتها ، كما جربوها ردحا بعيدا من الزمن ، فتناقلوا في الائتمار ، واثاقلوا في الحوار ، فرارا عما أمروا به إلى سواه ، بسبب الأدب مع الله ورسوله في أصل الأمر وفصله ، ولكنهم في نهاية الأمر ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ بعد ما تحمّلوا مواصفات زائدة في «بقرة» ما كانت عليهم لو ائتمروا من فورهم دون تعنت وتساءل!

الأمر الأول لم يحمل إلّا «بقرة» طليقة عن كل صفة إلّا كونها «بقرة» ثمينة أو رخيصة ، فارضا أم بكرا أم عوانا ، صفراء أم سوداء أم بيضاء أم عوانا ، فقد كانت تكفيهم في البداية . حسب طليق الأمر . آية بقرة.

وكما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : «... ولو أنهم

---

. عنق العجلة في الوادي ٥ ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليعدموه ويباركوا باسم الرب حسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ٦ ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القرييين من القتل أيديهم على العجلة لمكسورة العنق في الوادي ٧ ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر ٨ اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم بريّ في وسط شعبك إسرائيل. فيغفر لهم الدم فتنزح الدم البري من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب.

اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم»<sup>(١)</sup>.  
 يقول لهم موسى الرسول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ فيردون عليه ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ ويكأن الله يهزء بعباده عن جهالة ، أو أن رسول الله يفترى على الله ما فيه جهالة!  
 ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ في ذلك الأمر الإمر ، البعيد عن تحقيق سؤالنا ، ﴿قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ في نقل الأمر افتراء ، وهو من أجهل الجهالة ، أم في نفس الأمر أن يحمل امر الله بما أحمله جهالة الاستهزاء!

هنا نتبين أن الهزء من الجهالة ، وطبعاً إذا كان بدائياً ومن جاهل ، وفي حالة الهجمة ، وأما الجزاء الوفاق من المجازي الحق دفاعاً عن الحق فليس من الجهل ، وكما في نوح (عليه السلام) : ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾

(١) الدر المنثور ١ : ٧٧ . أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو لا ان بني إسرائيل قالوا : وانا ان شاء الله لمهتدون . ما اعطوا أبدا لو انهم ... أقول : وقد رويت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بألفاظ مختلفة ، المتفق عليه فيها إطلاق الأمر واجزاء أية بقرة ، ولكنهم لما شردوا شرد الله عليهم ، مما يلائم ظاهر الأمر الطليق في الآية ، وهنا عشرة كاملة من الأحاديث تحمل تدرج الأمر في قيود المأمور به وقد رواها أبو هريرة وعكرمة وابن جريح وقتادة وابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والبنظري ومقاتل بن مقاتل ومحمد بن عبيدة عن الرضا (عليه السلام) وعلي بن يقطين عن موسى بن جعفر عليهما السلام وابن طاووس عن الباقر (عليه السلام) وهي كلها موافقة لظاهر القرآن في ذلك فلا يصغى الى قبلة القائل ان المأمور به كان مقيدا من أول الأمر ، لا سيما وان قوله ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ امر حال يأتيانه ولما تذكر سائر المواصفات التالية ، ولو كان كما قيل لكان امرا بالمحال ان يأتيوا بما لم يتبين بعد قيوده!

(١١ : ٣٨) وكما الله ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢ : ١٥)

فالهزة والسخرية البادئة هما من الجهالة وسوء الصنعة ، وقد نهي عن الاستهزاء في (٣٣) آية ، وفي عديدة أخرى عن السخرية ، مما يبين لنا مبدئياً أنها من المحرمات الناتجة عن الجهالة القاصدة المقصرة ، واما القاصرة فلا تكليف فيها ولا تنديد.

فقيم تهزء بإنسان؟ أي نقص من خلقه في مقياسك؟ وليس إلا من خلق الله ، فلا تهزء . إذا . إلا بالله ، وهذه جهالة بالله!.

أم في نقص قاصر من فعل أو ترك؟ فكيف يهزء بقاصر وليس مكلفاً في أي من الأعراف!.

أم في نقص مقصر؟ إذا فهو مريض بحاجة إلى تمريض ، ولا يزيده هزئك به إلا مرضاً إلى مرض ، وعليك أن تكون له طبيياً إن استطعت ، أم تأتي له بطبيب يداويه ، أم تتركه وحاله ، لا له ولا عليه إن لم تستطع في علاجه.

أم لأنك تظنك على كمال هو فاقده؟ فكذلك الأمر ، وليس ظنك صائباً على أية حال! : ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (٤٩ : ١١) وحتى إذا كانوا خيراً منهم ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾! (١٢)

فلا مجال للسخرية والهزة إلا بمن يسخر بالحق بدلاً عن الانتباه ، هزة عن مصدر العلم والحكمة دون أية جهالة بالله ، أم جهالة بالأعراف الشخصية

والجماعية ، أو الواجبات الدعائية ، وهنا السخرية لها مجال اعتداء بالمثل ، وصدا عن نشوب الباطل بين أهل الحق.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هو عوذ بالله في بعدية ، بالله الذي أمره أن يقول لهم : «اذبحوا بقرة» فلا يجهل أمر الله ، والله الذي يعصم رسوله عن الجهالة فلا يجهل في رسالة الله ، وهم عارفون أنه رسول الله ، القائل قوله عن الله ، وهم يتهمونه بهذه الجهالة الفاتكة لاستبعادهم . في قياسهم المتهوس المركوس وعقليتهم الحيوانية . ألا صلة لذبح بقرة باتضح أمر القتل ، وقد اتضح أخيرا ، إضافة إلى بيان الواقع من إحياء الموتى ، وجزاء الولد البار بأبيه في قصة البقرة.

لقد كان في ذلك التوجيه الوجيه كفاية لهم أن يثوبوا إلى أنفسهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، تنفيذاً لأمره لصالحهم في المبدء والمصير ، أمرا كان لهم من السهل اليسير ، ولكنهم بدلوه بالأمر العسير ، أمرا واحدا طليقا يتبدل في تساؤلاتهم المتعنتة بأوامر عدة لا تنطبق إلا على بقرة يتيمة منقطعة النظر ، وهم لا بد لهم من تطبيقه حسما لمادة النزاع في «من هو القاتل»؟.

وهنا ندرس دراسات أصلية أصولية على أضواء هذه الآية الطليقة ، المقيدة بعد بما تقيدوا.

١ لا يجوز تقييد المطلق بسناد الاستغراب أو الاحتياط أو أنه القدر المتيقن أمّا هي من تقييدات لا سناد لها إلا تخيلات لا حجة فيها ، اللهم إلا قيودا عفوية من قبل الشارع نفسه ، في كتاب أو سنة قاطعة ، وقد كانت في «اذبحوا بقرة» منفية ، فلما تعنتوا في التسائل وشدّدوا شدّد الله عليهم جزاء وفاقا.

٢ كما أن إطلاق المقيد بدليل محذور ، كذلك تقييد الإطلاق دون دليل

محظور ، فإنهما تخلف عن ظاهر الدليل أو نصه ، ومشاقة مع الشارع في التشريع.

٣ تقييد الإطلاق . وهو في مقام البيان . هو تجهيل للمطلق كأنه قصر في بيانه ﴿قُلْ  
أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ...﴾؟! إذا فهو محظور عقائدي بجنب المحذور العلمي.

٤ وحتى إذا لم يتبين قطعاً أن المطلق في مقام بيان كامل مراده ، فظاهر الحال يقتضي التماشي مع الإطلاق حتى يتبين له قيد أو قيود ، فإن كانت قبل وقت العمل فتقييد تبيين ، وإن كانت بعده فنسخ قدره.

٥ وهنا نرى تعاضل الأمر . بتضايق في أوصاف المأمور به . ما تعاضل المأمورون به ، فقد كان في البداية طليقا عن آية صفة إلا أنه «بقرة» ثم لصقت بها أوصاف تلو بعض ولصق بعض حيث اتأقلوا عن تطبيقه طليقا وتعاضلوا ، وهذه بلية ربانية يبتلي بها المتعنتون ولا ينبئك مثل خبير.

ورجوع ضمائر التأنيث إلى البقرة الأولى الطليقة لا يقيدها لأول الأمر ، وإنما القيود آتية تلو بعض والبقرة هي جنس البقرة ، ف ﴿إِنَّمَا بَقَرَةٌ...﴾ تعني أن المطلوب الآن بقرة ... لا الأول فإنها كانت دون قيود.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون﴾ ٦٨ .

«ربك» هنا ، دون «ربنا . أو . رب العالمين» . وقد كررت في ثالث سؤالهم المنحوس . ذلك يشي بأنهم لا يزالون في ريبهم يترددون ، وفي غيهم وغيهم يعمهمون ، كأن موسى هازئ بهم ، أو أنه ينقل عن رب سوى ربهم ، ويكأن هناك أربابا عدة هم متشاكسون في أوامرهم ، ثم وهم أولاء يحترمون رب

موسى أكثر من أربابهم ، لذلك ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾!

ثم ﴿مَا هِيَ﴾ سؤالاً عن الماهية ، إنه تجاهل عن أنها بقرة ، وقد نص عليها أول مرة ، ثم مزايدة جاهلة قاحلة حول ماهية البقرة من حيث الكيان في عمرها ، وكل أمرها ، حيث الأسعار والفاعليات تختلف حسب مختلف الحالات والمجالات. ٢.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ﴾ جواباً عن الماهية الأولى ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ جواباً عن الثانية ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ وقد أمرتم أولاً في طليق الأمر ، ثم زدتم عليه . تطلبها جاهلاً . مواصفات ماهوية ما كانت من ذي قبل إلا أنها «بقرة» ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ دون مزايدة ومكايمة ، حيث الأمر صريح لا إهام فيه ، لا يبقى مجالاً لأي سؤال! ذلك تأكيد أكيد على واجب الوقوف لحد الأمر . أيا كان . بحدوده المذكورة معه أم دون حدود ، مما يوضح أن «بقرة» كانت طليقة ، ثم زيدت عليها قيود بأوامر أخرى جزاء بما كانوا يتعنتون .

والفارض . هنا . هي العجوز والبكر هي الشابة غير المضروب عليها بالفحل ، و ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ هي الوسط بين هذه وتلك ، وهو وسط العمر وكماله . وقد تسمى فارضاً لفرض السن وقطعه ، ولفرض الأرض وقطعها ، ولفرض ما يحتمل عليها وقطعه من أشغال ، فروض ثلاثة في الفارض ، يجمعها طليق «فارض» . وتقابلها البكر ، بكرا في العمر فما فرضته ، وبكرا عن الحرث فما استعملت له ، وبكرا عن ضرب الفحل فما انضربت به .

إذا فعوان بين ذلك يعني الوسط بينهما ، لا متقدمة في العمر ولا حمولة وقد ضربها  
الفحل.

ولماذا «ذلك» مفردا مذكرا وكلّ من فارض وبكر مؤنث؟ علّه يعني ما ذكر من  
مواصفات.

ولقد كان في هذا وفي ما قبله كفاية لمن يصغي إلى الحق المرام ، ولكن إسرائيل هي  
إسرائيل!.

فيلى لجاح ثالث ، تضييقا لدائرة الموضوع ، علّهم ينجون عن أصله ، أم يتأكدون  
أكثر وأكثر في أصله :

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأْ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْهَأْ تَسْرُ

النَّاطِرِينَ﴾ ٦٩.

فكما أن الأثر علّه في ماهية خاصة من البقرة ، كذلك علّه في لون خاص ، وفي ذلك  
تجهيل لساحة الربوبية كأنه قاصر أو مقصر في البيان ، وهم أخرى بالحائطة على أوامره  
تعالى! ، ثم تعجيز له سبحانه ، كأن الأثر في خصوص بقرة خاصة وليس من الله ، ف  
﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأْ﴾ بين مختلف الألوان ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ وهنا  
لا يكتفي بمطلق الصفرة تقريبا لمضايقتهم في خاصة المميّزة ، وقطعا لمعاذيرهم في تساءلات  
أخرى حول نوعية الصفرة ، فهي - إذا - ﴿فَاقِعٌ لَوْهَأْ﴾ صادق الصفرة بمشبعها فالفاقع في  
الأصفر هو أشده وأشبعه وأنصعه ، كما يقال : أصفر فاقع ، وأسود حالك ، وأبيض يقق ،  
وأحمر قان ، وأخضر ناضر.

﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾ بلونها وسائر شمائلها ، فلا هي مكسورة ولا عوجاء ولا قبيحة

المنظر من ناحية أخرى ، بل هي في مثلث الجمال والكمال ، ماهية ولونا

وشكلا ، ولا يتم سرور الناظرين إلا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط والتماع في تلك البقرة.

وقد تلمح ﴿تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾ بعد ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أن فاقع الصفرة هو من أحسن الألوان وأنضرها فانظرها حسنا وجمالا وكما يروى (١).

أتراهم اكتفوا بعد بهذه المواصفات؟ كلاً! فهم إسرائيل الحجوج اللجوج ، إذ عادوا مرة أخرى هي الأخيرة . إذ لم تبق بعده مواصفة يتعتنون بها . يسألون فيها عن ماهيتها مرة أخرى :

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

.٧٠

وهم في هذه المرحلة الأخيرة مسندون إلى بقاء التشابه في موضوع الأمر : ﴿إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾ وواعدون الاهتداء بها بمشيئة الله : ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

ولماذا ﴿الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾ دون «البقرة» المكررة هنا وهناك؟ علّه جنس البقرة مهما كانت أنثى ، فليس أي جنس من البقر له ذلك التأثير ، فليكن بقرا منقطع النظر لا مثل له حتى يؤتى منه ذلك الأثر المنقطع النظر.

فهؤلاء الحماقى يفتشون بعد عن بقرة خاصة لها خاصتها هذه ، متجاهلين أن الأثر كله هو من خالق البقرة وليس في البقرة نفسها ، ولو لا قولهم أخيرا ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما بينت لهم آخر الأبد والذي نفس محمد بيده لو

(١) نور الثقلين ١ : ٨٩ في الكافي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : من لبس نعلا صفرا لم يزل ينظر في سرورها ما دامت عليه لان الله عز وجل يقول ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾.

لم يقولوا ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لحيل بينهم وبينها ابدا (١) أترى أن الله لم يشأ اهتداءهم حتى الآن؟ فهم إذا معذرون! أم شاء؟ فتخلفت المشية عن الواقع! فما هو دور «إنشاء الله» هنا إن كان لهم الإختيار؟.

لقد شاء الله اهتدائهم بشرعته لما أمرهم بما أمرهم فتخلفوا عنه عاصين ، ولم يشأ حتى الآن اهتداءهم تكويننا إذ هم لم يشاءوا بسوء اختيارهم ، فليس ل «إنشاء الله» هنا دور إلا تكويننا لاهتدائهم إن شاءوا هم أن يهتدوا وقد شاءوه أخيرا لما عيوا وأيسوا عن مكرهم.

والمتورط في العصيان عليه التبرك ب ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لصقا بمشيئته إلى مشيئة الله تعالى ، ثم «لمهتدون» قد تعني إضافة إلى هدي التطبيق لأمر الله ، الاهتداء إلى بقرة تحمل كل هذه المواصفات ، ثم الاهتداء إلى معرفة القاتل في هذا البين ، فقد يشاء الله . بما شاءوا . اهتدائهم إلى ذبحها ، ثم لا يشاء اهتداءهم إلى القاتل أن يضربوا المقتول ببعضها ، أم لا يشاء اهتداءهم إلى هذه البقرة الخاصة بعد ما شاء اهتداءهم لائتمارهم جزاء بما تعنتوا.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْأَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧١ .

فلم تعد هذه البقرة . إذا . متوسطة العمر صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فحسب ، بل هي بقرة غير مذللة بإثارة الأرض وسقي الحرث ، ثم هي مسلمة : خالصة اللون في الصفرة الفاقعة ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا تشوبها علامة ، ولا تمازج لونها لون آخر ، كما هي مسلمة عن سائر العيوب :

وترى ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ هي . فقط . إيضاح ل «مسلمة»؟ وليس القرآن كتاب لغة! ومسلمة اللون . طبعاً . ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ إذا فهي توضيح للواضح!

(١) تفسير الفخر الرازي ٣ : ١٢٠ قال الحسن عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

قد تعني «مسلمة» عن كل العيوب ومنها ﴿شَيْئَةٌ فِيهَا﴾ ومسلمة عن آثار العمل ،  
ومسلمة عن الحبس للعمل وعن كل نقص متصور لبقرة ، أم ومسلمة من والد إلى ولده البار  
به جزاء بره ، أمّا إذا من مسلمات في بقرة.

﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ويكأنه قبل الآن كان جائيا بالباطل من ربه ، ويكأن الله  
ما كان يعرف ما عرفوه ﴿فَدَبَّجُوا وَوَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ نكرانا لأن يؤثر ذبحها في التعرف إلى  
القاتل ، وتماسكا عن دفع مال في ذلك المجال ، وتمنعا عن ذبح بقرة ولهم سابق العبادة لها ،  
وذلك الثالث المنحوس كان يمنعهم عن ذبحها لولا سؤلهم المدقع في التعرف إلى القاتل ، أم  
وليجربوا موسى في الإجابة عن سؤلهم!

ففي هذه الضفة . البخيلة المماكسة الناكثة لعهود الله ، المتشاكسة في أمر الله . ينتهي  
أمر اللجاج إلى بقرة منقطعة النظير في كل إسرائيل عن بكرتها.

ثم في الضفة المؤمنة : رجل بارّ بأبيه <sup>(١)</sup> ، تارك ربح التجارة حرمة له ،

(١) نور الثقلين ١ : ٨٧ في عيون الأخبار بسند متصل عن البنظي قال سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام)  
يقول : ان رجلا من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم  
جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى ان سبط آل فلان قتلوا فلانا فأخبرنا من قتله؟ قال : يتوني ببقرة ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا  
هُزُؤًا...﴾ ولو انهم عمدوا إلى أي بقرة اجزأتهم ولكن شردوا فشردهم الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهًا  
...﴾ ولو انهم عمدوا الى بقرة لأجزأتهم ولكن شردوا فشردهم الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ...﴾  
فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهبا فجاءوا الى موسى (عليه السلام) فقالوا له  
ذلك فقال : اشتروها فاشتروها وجاؤا بما فأمر بذبحها ثم امر ان يضرب الميت بذنيها فلما فعلوا ذلك حيي المقتول  
وقال : يا رسول الله ان ابن عمي قتلني دون من يدعى عليه قتلي ، فعلموا بذلك قاتله فقال لرسول الله موسى  
بعض أصحابه : ان هذه البقرة لها نبأ ٢ فقال وما هو؟ فقال : ان فتى من بني إسرائيل كان بارا بأبيه ... فقال  
رسول الله موسى انظروا الى البر ما يبلغ بأهله!.

توهب له هذه البقرة بعينها جزاء بما كسب ، والصفتان تتلاقيان في هذه الوهبة الأبوية بوهبة ربانية تجعله من أغنى الأغنياء في بني إسرائيل ، كما وان ضرب المقتول ببعضها شهادة معلنة أنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير .

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٧٢ فَقلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٧٣ .

هنا «نفسا» و «بقرة» هما مؤنثان ، فكيف تختص إحداهما بذكورة الضمير ﴿اضْرِبُوهُ

بِعَظْمِهَا﴾؟

علّ تذكر الضمير الراجع إلى «نفسا» باعتبار أنها القتيل ، وليوضح أنه المضروب بعض البقرة وليست هي المضروبة به ، ولا سبيل لذلك الإيضاح إلّا تذكر ضمير «نفسا» القتيل .

وهنا عرض لمادة القصة الأصلية وهي واقع إحياء الموتى ، ففي ﴿اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا﴾ نموذج منه يدل على إمكانية وواقع إحياء الموتى بالأولى ، فإذا يحيى ميت بضرب ميت آخر به ، فلن يحيى بإرجاع الروح إليه أخرى وأولى .

أنتم ﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ كلّ يدرؤه عن نفسه ويلقيه على آخر ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾<sup>(١)</sup> بهذه الحارقة البارعة أن تضربوه ببعضها «كذلك» البعيد في قياسكم ، القريب القريب في قياس الله ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾

(١) ١ : ٧٨ . اخرج احمد والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لو ان رجلا عمل عملا في صخرة صماء لا باب فيها ولا كوة خرج عمله الى الناس كائنا ما كان ، وفيه اخرج البيهقي من وجه آخر عن عثمان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من كانت له سريرة صالحة او سيئة اظهر الله عليه منها رداء يعرف به .

على طول الخط ، مهما اختلفت الإحياءات هنا وفي الأخرى ، ولكنما الإحياء في الأخرى أخرى.

أخرى ﴿لِنُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ وهنا الإحياء لم يكن إلا إخراجا لما كنتم تكتُمون ، كواقعة جزئية تهتدون فيها إلى جزاء القاتل بعد ما تعرفون.

وأخرى لأنه أهون من الخلق الأول : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٣٠ : ٢٧) ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ في قياسكم ، إذ ليس في قياس الله لنفسه هين وأهون ، ف ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ثم و ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مما يلمح أنهم كانوا في شك من إحياء الموتى ، وكما لا نرى في التوراة الحالية . على طولها . نصوصا حول المعاد ، اللهم إلا إشارات ، مما يدل على حالة النكران الإسرائيلي . العريقة فيهم . منذ نزلت عليهم التوراة فضلا عما بعدها ، فقد حرّفوا عن التوراة آيات المعاد فجرّفوها بجرافات التجديف والتحريف!

فطالما المسافة بين الموت والحياة هائلة غائلة تدير الرأس ، ولكنها في حساب الخالق سهل يسير ، ففي ضمن ما يجيب عن سؤالهم يعطفهم إلى واقع إحياء الموتى الذي هم فيه مترددون .

فقد كان بالإمكان الإجابة : أن فلانا هو القاتل ، ولكنهم . حسب طبيعتهم . قد ينكرون تكذيبا لموسى ، فليكن القاتل هو نفس القاتل حتى يصدقوه شاءوا أم أبوا .

وكان بالإمكان إحياء القاتل ليشهد شهادته دون هذه الطائعات البليات في قصة البقرة ، ولكنهم قد يتشككون في كونها خارقة إلهية بيد موسى الرسول .

وكان بالإمكان إحياءه بأن يضرب به موسى يده أو عصاه ، ولكنه ما كان

يفيد كامل الفائدة : أن يؤمروا بذبح ما كانوا يحترمون له لحد العبادة ، وأن يشتروها وهم الأنجاس ، وأن يضربوه ببعضها فيحيي تدليلا على إمكانية بروز الحياة بضرب ميت بميت فضلا عن رجوع الروح الحي إلى البدن الميت! ف ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أترى أي جزء من جسد البقرة كانت له هذه الفاعلية بإذن الله؟ «ببعضها» يلغي كل الاختصاصات عن أي جزء منها ، فكما «بقرة» كانت طليقة لأول مرة ، كذلك «ببعضها» على طول الخط ، إذ لم يتزايدوا فيه كما تزايدوا فيها فلم يخرج عن إطلاقه! فإلى قصة البقرة من آحاد بعيدة وآيات غريبة قريبة ، لم تك تحصل إلا بما حصل ، ما يحق أن تتسمى بها السورة لهذه البقرة وهؤلاء الأباقر.

وقيلة القائل . الغيلة على آيات الله البيئات . أن ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ هنا يعني حفظ الدماء التي كانت عرضة للسفك بسبب الخلاف في : من هو القاتل ، إنها مردودة عليه ب «كذلك» المشيرة إلى ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ف «كذلك» الضرب ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ ولو لم يكن في ذلك الضرب إحياء القتيل ، فكيف عرف القاتل بذلك الضرب ، وما هي الصلة بينه وبين معرفة القاتل لو لا إحياء القتيل! ثم ولا إشارة في القصة باحتمال سفك الدماء لو لم يعرف القاتل!

صحيح أن إبقاء الحياة قد يسمى إحياء : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولكن كيف تبقى حياة بين المتدارئين في : من قتل القتيل ، إلا بمعرفة القاتل الحقيقي ، وكيف يعرف ب ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ لو لا إحياءه بذلك الضرب ، ثم ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ليس إلا تعريفا عمليا بالقاتل ، كما و ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ تلميحاً بينة أن هناك آية خارقة إلهية بما عرف القاتل.

فإنما هي انتفاض الميت مبعوثا ناطقا شاهدا فيما آذروا ، على ضربة من بعض جسد لبقرة بكماء مذبوحة ، ليس فيها من حياة ولا مادة حياة ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

لا كما يقوله هذا الهارف الخارف ، المأول آيات الله المعجزات إلى دعايات متعودات .  
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٧٤ .

«ثم» بعد هذه الآيات البينات ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أكثر مما كانت قاسية بدلا عن أن تلين لذكر الله ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الإحياء إجابة عن سؤال وإيتاء لسؤال ، كما ﴿بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التنبيه بكل نبهة في مختلف المجالات .

أترى الخطاب هنا يختص بالسابقين؟ فما هو ذنب اللاحقين! ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾! أم يخص اللاحقين ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الذي حصل للسابقين عبرة لللاحقين ، ف ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ إذ ﴿أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (٢٨ : ٤٥) : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٥٧ : ١٦) .

قد يشملهم الخطاب جميعا ، فإنهم سلسلة موصولة على طول التاريخ الإسرائيلي ، أنهم تقسى قلوبهم أكثر وأقسى مما كانت من قبل ، وآيات الله تترى عليهم لصق بعض ليل نهار ، كما ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ .

﴿ثُمَّ قَسَتْ ... فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة الصلبة الصلته ، لا فحسب ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

وترى «أو» هنا تضرب عن قسوة الحجارة إلى أشد قسوة؟ وليست قلوبهم . ككل . إلا كالحجارة أو أشد قسوة ، فلا مجال للإضراب إلا ممن يجهل مدى القسوة فيها! أم هي للإضراب بالنسبة لبعضهم؟ و «كم» لا تعني البعض ، فقلوب الكل إما هي كالحجارة أو أشد قسوة!.

قد تعني «أو» هنا التقسيم ، فقلوب البعض كالحجارة ، وقلوب الآخرين أشد قسوة . أم وتعني مختلف الحالات في بعض القلوب ، فقد كانت قاسية ، ثم اشتدت قساوتها فهي كالحجارة ، ثم تشتد فهي أشد قسوة ، فكلا الإضراب والتقسيم . إذا . معنيان من «أو» أم وثالث هو الإبهام <sup>(١)</sup> ، وهو . فقط . بالنسبة لمن لا يعرف مدى قساوة القلوب ، التي هي كالحجارة أو أشد قسوة ، ويلحقه رابع هو التشكيك ، والأخيران هما في دور واحد! ودليلا على ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ : تفجر الأنهار من بعض الحجارة ، وتشقق البعض بخروج الماء منها ، وهبوط البعض من خشية الله!

وهذه القلوب الخاوية المقلوبة لا تتفجر منها أنهار المعرفة ، ولا تشقق

(١) خَيْرٌ أَبْحَ قَسَمٌ بَاو وَأَبْهَمٌ وَاشْكُكْ وَإِضْرَابٌ بِهَا أَيْضًا نَمِي

وفيما يروى عن الامام الحسين (عليه السلام) من تفسير الآية ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أنهم على السامعين ولم يبين لهم كما يقول القائل : أكلت خبزا او لحما ، وهو لا يريد به انه لا ادري . ان يبهم على السامع حتى لا يعلم ماذا أكل وان كان يعلم ان قد أكل أيهما ...

بجروج مياهها منها ، ولا تهبط من خشية الله ، بل هي جافة صلدة لا تزداد في خضم الآيات البيّنات إلّا تصلداً وجموداً وجفافاً وجموداً!.

لقد رأوا الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بما ضرب موسى عصاه ، ولم تنفجر قلوبهم بعصا الرسالة الموسوية! ورأوا الجبل اندك بما تجلى له ربه ، ولم تندك جبال قلوبهم بتجلي هذه الرسالة السامية ، وجلوات آيات الله البيّنات ، فهي لا تلين بها ولا تندى ، ولا تنبض بخشية ولا تقوى ، بل وتزداد طغوى على طغوى! قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة ليست لتلين بذكر الله أيا كان وأيان ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ف ﴿لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾.

نرى أن ﴿مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ كما نرى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ فما هي الحجارة التي تهبط من خشية الله وهي لا تعقل ولا تكلف بشيء؟ أهي كما قال الله : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٥٩ : ٢١)؟ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) تحوّله إلى مثل لا واقع له ، و «لو» تحيل واقعه ، فلن ينزل الله على جبل ذكرا : قرآنا وغير قرآن ، وهناك الله في اقتسام الجبال يضرب مثل الواقع من الجبال لبيان مدى قساوة هذه القلوب ، فليكن هبوطها من خشية الله واقعا كتفجر الأنهار من بعضها ، وخروج الماء من تشقق الأخرى!.

ثم لو كان الهبوط من خشية الله على فرض نزول الوحي عليه لعم الجبال كلها كما ﴿عَلَى جَبَلٍ﴾ تعممها لها كلها ، دون ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾!

أم ﴿إِنَّ مِنْهَا﴾ هنا راجعة إلى القلوب لتقدم ذكرها ، ومهما كانت الحجارة

اقرب مرجعا ، فالقلوب أنسب وأليق معنى؟ وهو بعيد أدبيا لبعده المرجع ، وبعيد معنويا حيث القلوب تقلب ولا تهبط ، اللهم إلا هبوطا عن علواتها المقلوب ، فتضبط ذاكرة الله ، متذكرا بآيات الله.

هذا ولكن الجبال كجبال هي مثال لقساوة القلوب ، وليست القلوب الخاشية الهابطة من خشية الله . وهي القلوب المؤمنة المطمئنة بالله . ليست هي بالتي تناسب ضربها مثلا لإثبات أن قلوبهم أفسى من الحجارة!.

قد يعنى هبوط بعض الجبال من خشية الله ، هبوطها الهابط منها بأمر الله تكويننا وهي شاعرة له ومدركة ، ف ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١٧ : ٤٤) تعمم الخشية الشعورية إلى كل شيء ، فالهابط من الجبال تهبط بخشية الله ، كما الثابت منها تثبت بخشية الله ، ولا ينفياها الأسباب الطبيعية لهبوطها ، فانها كلها منتهية إلى الله ، ولا يعمل اي سبب عمله إلا بأمر الله و ﴿كُلُّ لَه قَانِتُونَ﴾ (٢ : ١١٦) فظاهر الخضوع فيها لتدبير الله بآثار الصنعة وإحكام الصنعة لحد الهبوط فيما تهبط ، تقرير على تلك القلوب المقلوبة غير الخاشية لله.

فحينما الحجر يهبط من خشية الله ، لا تهبط قلوب هؤلاء . الأشد قسوة من الحجارة . من خشية الله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

إنهم خونة في أمانة الله لا يوجد لهم مثيل في الكائنات ف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٣٣ : ٧٢) وآية الأمانة هذه . كما فسرناها في سورتها . تحمل حملة عنيفة على الإنسان الظلوم الجهول في خيانتته أمانة العقل والتكليف ، فحمل الأمانة يقابل أداءها ، فهو خيانتها.

وعلى حد المروي عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في

تفسير الآية : يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة ، لا ترشح برطوبة ، اي : انكم لا حق الله تؤدون ، ولا لأموالكم تتصدقون ، ولا بالمعروف تتكرمون ، ولا للضيف تقرون ، ولا مكروبا تغيثون ، ولا بشيء من الإنسانية تعاشرون وتواصلون ... (١)

فيا ويلاه من قسوة القلوب ف «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (٢) و «لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد» (٣).

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(١) نور الثقلين ١ : ٩٠ في الخراج والخراج روى عن الحسين بن علي (عليهما السلام) في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ...﴾ . نقلنا تفسير ﴿او أشد قسوة﴾ في العدد السابق . ﴿وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ ، اي قلوبكم في القساوة بحيث لا يجيء منها خير يا يهودي ، وفي الحجارة ، يتفجر منه الأنهار فيجيء بالخير والنبات لبني آدم ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ اي من الحجارة ﴿لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ دون الأنهار ، وقلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير ولا القليل ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أي من الحجارة أن أقسم الله عليها باسم الله يهبط ، وليس في قلوبكم شيء منه ...

(٢) المصدر ٩٢ في كتاب العلل بالسناده الى الأصمغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين (عليه السلام).

(٣) المصدر في الكافي عن علي بن عيسى رفعة قال : فيما ناجى الله عز وجل به موسى (عليه السلام) يا موسى

...

أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا  
يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا الْأَمْيَاءَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ  
يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ  
(٧٩) وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

لقد كان المسلمون على علم - حسب القرآن - أن اليهود يعرفون القرآن ويعرفون رسول  
القرآن كما سطرت لهم في التوراة ، فكانوا - قبل الهجرة - يأملون أن يؤمنوا لهم ، حتى هاجروا  
وخاب أملهم ، وهنا يطمئنهم الله أنهم ليسوا ليؤمنوا لهم بسابق غيِّهم وقساوة قلوبهم ،  
وتحريفهم كلام الله :

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...﴾ (٥ : ١٣).

هنا ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ كأضرابها ، تعني الإيمان لصالح المسلمين ، وليس الإيمان بالمسلمين ، كما «آمن ﴿لَهُ لُوطٌ﴾» فإن في انسلاك لوط في سلك إبراهيم . وقد كان مؤمنا بالله قبل . أزر وشدّ ظهر للدعوة الإبراهيمية ، وكذلك اليهود . وهم أعظم أهل الكتاب . كان في إيمانهم برسالة الإسلام ، اطمئنانا لصالح المسلمين فإيماننا لهم أمام مشركي الجزيرة ، ولكنهم أصبحوا أنكر وأكفر منهم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ بعد ما سمعتم من قساوة قلوبهم أمام شرعتهم الإسرائيلية أنفسهم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ وهم لم يؤمنوا لرسولهم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ معنويا ، أم وتعبيريا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الحق الرسالي لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما عقلوه ، كسائر الحق الذي كانوا يحرفونه من بعد مواضعها!.

وذلك الفريق هم بطبيعة الحال مدرء الشرعة التوراتية ، المسموع كلامهم عند أتباعها ، لحد لا يؤمنون لكم اتباعا لهم ، وليس يختص هذا الفريق بالذين عاشروا موسى (ع) ولا الذين عاشروا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بل هم كل من كان يسمع آيات التوراة ثم يحرفه من بعد عقله لها وهو يعلم ماذا سمع وماذا ولماذا حرف؟.

فحين يسمعون كلام الله من موسى «نابئ آقيم لا هم مقرب إحيحم كموشه وناتني دباري بفيو ويدبر الوهيم إت كال أشر أصونوا» (تث ١٨ : ١٩) :

«نبي آقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى وأضع كلامي في فمه لكي يبلغهم جميع ما

آمره به».

هكذا يسمعونهم ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، يحرفونه تحريفا مشوها كما

في الترجمة العربية عن اصل يوناني ١٦٨٧ :

«أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (١٩) فقد بدلت «من أقرباء أخيه» إلى «من وسط إخوتهم» حتى تنحرف هذه البشارة عن النبوة غير الإسرائيلية ، فأخيهم هنا هو عيص أخو يعقوب وكما في «تث ٢٨ : ٨» ولأن عيص تزوج بنت إسماعيل وأولد منها ولدا ومن غيرها آخرين ، لذلك أصبح بنوا إسماعيل من عيص أقرباء بني عيص ، إذا فأقرباء إخوة بني إسرائيل هم بنوا إسماعيل من عيص وقد بعث من بينهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup>!

وحين يسمعون كلام الله من موسى «وليشمعي شمعتيخا هينه برختي أوتو وهيفرتي أوتو وهيربتي أوتو بمئد مئد شنيم عاسار نسيئيم يولد ونتتيو لغوى غادل» (التكوين ١٧ : ٢٠) :

«ولإسماعيل سمعته (ابراهيم) ها أنا أباركه كثيرا وأمنيه كثيرا وأرفع مقامه بمحمد واثني عشر إماما يلدهم إسماعيل واجعله أمة كبيرة».

هكذا يسمعونهم ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، كما في نفس الترجمة : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها انا أباركه وأثمره وأكثره جدا اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة».

فقد ترجموا «بمئد مئد» وهو محمّد . وحتى بحساب الأعداد الذي يعتمدون عليه ، فانه (٩٢) كما محمد (٩٢) . ترجموه ب «أكثره جدا» رغم أن معناه كثير الحمد المعبر عنه بأحمد ومحمد! <sup>(٢)</sup>.

(١) راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ٣٣ . ٣٩ .

(٢) راجع «رسول الإسلام» ٤٠ . ٤٣ .

وحين يسمعون كلام الله من هوشع : «كي هنيه هاخو ميشود ميصرييم تقبصم موف  
تقبرم محمد لكسفام قيموش بيراشم حوح باهاليهم» (هوشع ٩ : ٦) :

«ها إنهم يرتحلون لأجل الخراب ، فمصر تجمعهم ، وموف تدفنهم ، ومحمد لفضتهم  
والقراص يرثهم ، والعوسج يستولي على أخبيتهم».

هكذا يسمعون ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون من هو محمد ، وكما نرى في

مختلف التراجم :

«والقراص يرث فضتهم الشهية . يرث القريض نفائس فضتهم . الأمكنة المرغوبة

لفضتهم . بيت الأمل لفضتهم» محرفين محمدا بهذه الأربع مخافة عن أن تعني محمدا (صلى الله  
عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup>!

وحين يسمعون كلام الله من سليمان (ع) في مواصفة عريضة لمحجوب وحيد له وفي

النهاية :

«حكو ممتقيم وكولو محمديم زه دودي زه رعي بنت يرشالام» (نشيد الأنشاد ٥ :

: (١٦)

«فمه حلو وكله محمد هذا محبوبي وهذا نصري يا بنات أورشليم».

هكذا يسمعون ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون انه محمد الرسول (صلى الله

عليه وآله وسلم).

ففي الترجمة التقليدية للتورات نجدها هكذا : «حلقه حلاوة وكله

---

(١) بخصوص لفظة محمد في بشارة هوشع بينا هناك ان تحريفهم يحمل اغلاطا من الناحية الادبية كما المعنوية

مشتهيات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم! (١).

وهكذا نجد وفيها من البشارات التوراتية بحق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أوردنا قسما منها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» بين محرفة لفظيا او معنويا من هذا الفريق الغريق في أنانيات العنصريات.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٧٦.

قد تلمح الآية أن هؤلاء هم فرقة غير متطرفة من هذه الفرقة العاملة المحرفة ، فهم يراعون الجانبين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بما سمعنا من خير محمد والقرآن في التوراة ﴿وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ : البعض الثاني المحرف اللجوج ، للبعض الاول ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ : المسلمين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ : من هذه البشارات ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ لماذا لم تؤمنوا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن تحديثكم هذا خلاف المصلحة الطائفية ، وقد يبوء بالخسار يوم الآخرة!.

وترى إذا كانت هذه البشارات فتحا لأهل التوراة ، فلما ذا . إذا . إخفاءها؟.

إنها كانت لهم فتحا على الذين كفروا قبل مبعث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فتحا جانبيا وقتيا ، ثم بعد ما جاء دور الرسول المبشر به كفروا به : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢ : ٨٩).

هؤلاء الحماقى يعتبرون التحديث بهذا الفتح للذين آمنوا خلاف العقل

(١) رسول السلام في الكتب السماوية ٨٠ - ٨٣.

**أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴿﴾ تنديدا بفريق منهم غير متطرف يحدث به لهم إذ ليسوا من المعاندين المتواطئين (١).

وقد يلمح ﴿وإِذَا لَقُوا﴾ رجوعا لضمير الجمع الى الفريق السابق ذكرهم ، السامعين كلام الله المحرفين له ، أنهم كانوا ينافقون الفريقين : المسلمين واليهود ، مهما كانوا أقل تطرفا من أقطاب التحريف والتجديف ، إذ هم يجهلونهم بما يحدثون للمسلمين.

﴿أُولَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٧٧.

أفلا يعقلون هم أولاء الأنكاد المجاهيل ﴿أُولَا يَعْلَمُونَ﴾ متجاهلين عن علم كتابي وعلم عقلائي ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من بشارة وسواها ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إذا لقوا الذين آمنوا؟ فسواء عليه في حجاجه عليهم أسروا ما فتح عليهم أم أعلنوا ، فحين لا يؤمنون بما فتح لهم فانه يحتج عليهم يوم القيامة من فتح عليهم ، سواء أحاجهم المؤمنون به عند ربهم أم لم يحاجوا ، فلا صلة بأصل هذه المحاجة الربانية لهذا الإعلان ، ولا لمحاجة المؤمنين إن علموا. ويكأن الله لا يعلم إلا بما علم المؤمنون ، ولا يحاجهم إلا إذا حاجوهم به عند ربهم ، فالله . إذا . هو الفرع وهؤلاء وأولاء هم الأصلاء!.

فالله هو الذي فتح عليهم هذه البشارة ، وهو الذي فرض عليهم إتباع هذا النبي ، فهل ينسى او يتناسى يوم القيامة ما فتح عليهم؟ فهو يحتج إذا حدثوه به المسلمين! ولا يحتج إذا لم يحدثوا!.

(١) نور الثقلين ١ : ٩٢ . في مجمع البيان حول الآية روي عن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) «انه كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيحاجوكم به عند بكم» فنزلت هذه الآية.

فيا لحمتهم من عمق ، ولعمقهم من حمق ، كيف يجهلون الله مصلحية الحفاظ على الرسالة الإسرائيلية في زعمهم.

ومن أعجب العجائب أنهم يجهلون غير المعاندين منهم ، المجاهرين بذلك الفتح للذين آمنوا : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وهم أنفسهم يحملون من اللاعقل ما ينفر منه الحمر المستنفرة ، حاسبين ألا حجة لله عليهم إلا أن يصارحوا المسلمين بذلك الفتح! فحقا إنهم أباقرة عباقرة!.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٧٨.

هذه فرقة ثالثة إسرائيلية ، جاهلة قاحلة مستضعفة ، بعد الأولى العاملة المعاندة المستكبرة المحرفة ، والثانية المتعلمة المنافقة غير المتطرفة ، والويل كل الويل على الأولين ، ثم الآخرين حسب دركات في تقصيراتهم ، ثم المستضعفون القح غير المعاندين قد تدركهم رحمة من الله.

ف «أميون» هنا يعني عن معرفة الكتاب ، سواء هؤلاء الذين لم يدرسوا قط اي كتاب ، ولم يسمعوا سمع المعرفة لعلم الكتاب <sup>(١)</sup> ، أم الذين هم دارسون علومها غير علم الكتاب ، أو الذين درسوا ألفاظه وهم عن معانيه غافلون ، وعن مغايزه جاهلون ، ومهما اختلفت دركات ثلوث الأمية ، ولكنهم كلهم قد يعتبرون هنا من الأميين ، وكما اعتبر غير أهل الكتاب . ككل . من

(١) نور الثقلين ١ : ٩٢ عن الاحتجاج للطبرسي باسناده الى أبي محمد العسكري (عليه السلام) في الآية : إنّ الأمي منسوب الى الأم ، اي هو كما خرج من بطن امه لا يقره ولا يكتب ، لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا المتكلم به ولا يميزون بينهما إلا أمانى ، اي إلا ان يقره عليهم ويقال لهم ان هذا كتاب الله وكلامه ، لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما هم فيه ﴿وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ اي ما يقرأ عليهم رؤساءهم من تكذيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نبوته ...

الأميين ، إذ لم تسبق لهم معرفة كتابية : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ (٣) : (٢٠).

فالأمية قد تكون مطلقة وأخرى نسبة ، نسبة إلى علم الكتاب الرسالي بدرجاته ، و ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَمِيًّا ﴾ هنا ، تعني هذه النسبية ، فقد يكون بارعا في العلوم التجريبية ، ولكنه فارغ من العلوم الكتابية ، فهو . إذا . من الأميين ، كما الأمي الطليق منهم ، مهما اختلفت مسئولياتهم حسب مختلف أمياتهم .

﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَمِيًّا ﴾ هي جمع أمنية ، وهي البغية الخيالية المتهوسة التي لا واقع لها حقا ، فقد يقرءون الكتاب وهم عن معانيه غافلون ، وهنا مسرح الأمنيات الفارغة من عند أنفسهم أو المستكبرين المحرفين الكلم عن مواضعه ، فهم حضور عند الألفاظ والقرآت ، غيب عن المعاني والمرادات ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فيما يتمنون من معان ، لا يسندون إلى علم او أثارة من علم إلا ﴿ أُمَمِيًّا ﴾ لأنفسهم ، أم تقاليد جاهلة عمياء .

إذا ف ﴿ إِلَّا أُمَمِيًّا ﴾ استثناء منقطع ، حيث الأمامي أمام الكتاب ليس علما بالكتاب في وجه من الوجوه ، فإن الأمامي هي من الشيطان : ﴿ يَعْذِبُهُمْ وَيَمْنُنُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ فهي . ككل . تخيلات بعيدة عن الواقع الحق وعن حق الواقع ، بعيدة عن كتاب الله وعن كل شرعة الله! .

فالعلم الحجة من شرعة الله ، هو بين علم عن اجتهاد سليم ، ام علم عن تقليد سليم ، ثم لا ثالث ﴿ إِلَّا أُمَمِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

ولا يعني التقليد في شرعة الحق التنازل عن كل عقل وعلم ، إنما هو تفتيش عاقل عالم عمن يعقل تماما ويعلم شرعة الحق ، عالما عيلما أميناً على دينه ، صادرا عن شرعة الوحي الحق ، وواردا مورد الحق .

فالأمي الطليق الذي يجهل ، ويجهل أنه يجهل دوغما تقصير ، هو من «المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» .  
والأمي العارف بأميته وجهله ، عليه ان يتعلم ، او يتبع خطى من يعلم ، دون ترسل في تقاليد جاهلة عمياء ، فهو مستضعف مقصر في تقليده ، مسئول عند ربه .  
والأمي الذي هو على درب التعلّم ، ولا يقلّد إلا فيما ليس ليعلم ، وانما يقلّد من يعلم وهو أمين ، انه على سبيل نجاة (١) .

(١) في تفسير بيان السعادة ١ : ١٠٦ نقل انه قال رجل للصادق (عليه السلام) : فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم فان لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز هؤلاء القبول من علمائهم؟

فقال : بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة ، اما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، واما من حيث افترقوا فلا ، قال : بين لي ذلك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (عليه السلام) : ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الأحكام عن وجهها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحق من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من أجلهم وعرفوهم يقارفون الحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز ان يصدّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلّدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كانت دلائله أوضح من ان تحفى وأشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصية الشديدة والتطالب على حطام الدنيا وحرامها .

ثم الويل كل الويل هو للذين يستجهلون الأميين استحمارا واستثمارا استكبارا في الأرض.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٧٩.

لقد جلسوا مجلس التشريع بإنزال الكتاب ، وتبديل بعضه ببعض ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وكل ثمن الدنيا في ذلك الاشارة قليل ، فهم يكتبون الكتاب بأيديهم كما يهودون ثم يقولون للبسطاء الأميين هذا من عند الله ، بغية مكاسب دنيوية مالا ومنا لا فوبالا على أية حال.

إن ذلك هو أنحس دركات التحريف ، حيث التحريفات المعنوية والألفاظ باقية كما هي ، ليست إلا تحريفات للأميين الجامدين ، فأما الذين يتحرون عن حق الوحي والوحي الحق ، فهم - بفضل الله ورحمته - سوف يهتدون الى الحق ، متحللين عن تلكم التحريفات المعنوية ، بترك هذه التقاليد العمياء.

﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ أولئك الكاتبين الكتاب بأيديهم ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ و ﴿وَيْلٌ لَهُمْ﴾ أولاء أصلاء ، وللمنافقين التابعين لهم وسطاء ، وللأميين أتباعا ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من هذه المختلقات الزور!

---

. وإهلاك من يتعصبون عليه وان كان لإصلاح امره مستحقا ، والرفق والبر والإحسان على من تعصبوا له وان كان للإذلال والإهانة مستحقا ، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقائهم.

فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فإن من يركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة لهم.

فقد «عمدوا إلى التوراة فحرفوا صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . فيما حَرَفُوا . ليرفعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود»<sup>(١)</sup> .

وترى ما هو موقف «بأيديهم» ولم يك يكتب الكتاب إلا بأيديهم ، ثم إذا كتب بإملاء أم آلات كاتبة أخرى ، فهلاً يندد به إن كان تحريفاً وتحديفاً .

قد تعني «بأيديهم» كافة القوات والآلات الكاتبة ، لا . فقط . الأيدي الجارحة ، فلكي يَحَلِّقَ النهي على كافة المحاولات في تحريف الكتاب ، فالأصلح الأصحح الأكفَى هو ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ حتى تبحث كافة المحاولات بأية قدرة من القدرات لتحريف الكتاب ، تلزيقاً له بوحى الكتاب ، وتعليقاً على كتاب الوحي كأنه هو من الوحي .

ثم لمحة أخرى في «بأيديهم» أن كتب الكتاب لم يكن بأيدي ربانية ككتاب الوحي ، أم نقلاً واستنساخاً لكتاب الوحي ، بل بأيدي أنفسهم ، بنفسياتهم وهوساتهم ، أيا كانت تلك الأيدي بقواتها ، سواء في ذلك الكتابات الخطية إملائية وسواها ، أم الكتابات الصوتية أو التصويرية ، أم كتابات عملية أنهم يعملون أعمالهم الشهوانية ، متظاهرين أنها ربانية ، ف «الكتاب» قد يشمل كتب التقرير والعمل والبيان أيا كان ، كما الأيدي تشمل كافة القوات الكاتبة بآلاتها متصلة ومنفصلة .

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ

أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨٠ .

أمنية فارغة خارقة لا تستقيم مع عدل الله ، ولا مع أي من الأعراف

(١) نور الثقلين ١ : ٩٣ في الجمع وقيل كتابتهم بأيديهم اضم عمدوا ... وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام).

المستقيمة ، ولا تتمشى مع التصور الصحيح في حقل العمل والجزاء ، ان يحسبوا أنفسهم ناجين من العذاب والجزاء الوفاق مهما فعلوا وافتعلوا ، لا لشيء إلا أنهم من بني إسرائيل! .

كما وإخوانهم المسيحيون قد يحسبون أنفسهم ناجين عن العذاب لا لشيء إلا أنهم يعتقدون في ثالث اللوثة الالهية ، وأن ربحهم المسيح افتداهم . بصلبه ودخوله الجحيم . عن لعنة الناموس! .

أمنيات جاهلة متجاهلة ميزان العدل الرباني في عبادته ، يتمسك بها الذين يهوون الحرية الكاملة في الشهوات والحيوانات في كل النزوات الطائشة ، وهم رغم كل هذه لا تمسهم النار إلا أياما معدودة أم ولا تمسهم أصلا ، ولن ...

ف «لن» تحيل . في حسابهم . أن تمسهم النار . وهم يستحقونها خالدين بما كتبوا وكسبوا . ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ في اي عدد وعدد ، عدد الأيام التي عبدوا العجل ، أم عدد الأيام التي اجترموا ما اجترموه ، أم أي عدد في حسابهم <sup>(١)</sup> .

﴿قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ في هذه الأمنية الفارغة البعيدة؟ وطبعاً كلاً! فان اتخذتم عند الله عهداً ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ فلن تمسكم النار إلا

(١) الدر المنثور ١ : ٨٤ . اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودات وسموا أربعين يوماً ، ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد يده على رؤوسهم : كذبتكم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها ان شاء الله تعالى أبدا ، ففيهم أنزلت هذه الآية ، واخرج مثله في العدد ابن جرير عن زيد بن اسلم عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعن تفسير القمي في الآية قال قال بنو إسرائيل : لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الأيام المعدودات التي

عبدنا فيها العجل فرد الله عليهم قل يا محمد لهم : ﴿أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا...﴾ .

أياما معدودة ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وإنما تتهوسون وتأملون دون أي سناد إلا أمانى وإن أنتم إلا تظنون.

هؤلاء الأنكاد الأغباش الأبقار اتخذوا عنصريتهم حذرا عن خلود النار ، فهم . إذا . أحرار فيما يعملون بما يأملون : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣ : ٢٤).

وفي ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا...﴾ تلميحاً أن النار لا تحرقهم وهم داخلوها أياما معدودة ، وإنما تمسهم مسا دون دخول فيها ولا إحراق ، وكأن ذلك تنازل منهم في استحقاق العذاب ، وإلا فهم شعب الله المختار فلا يعذبهم الله مهما كفروا وعصوا وكذبوا بآيات الله! والجواب كلمة واحدة :

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨١.

﴿مَنْ كَسَبَ﴾ أي كانوا من الأمم ، ملحدة أم مشركة أم كتابية ، هودا أو نصارى أم مسلمين ، ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٤ : ١٢٤) :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨٢.

فالخالدون هنا في طاعة الله ، هم الخالدون هناك في رحمة الله ، والخالدون هنا في معصية الله ، هم الخالدون هناك في نقمة الله ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

ولا يعني الخلود في النار . رغم ما يزعم . لا نهائية المقام في النار ، مهما عناها الخلود في الجنة لأنها حسب القرآن ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾ ولكن النار هي جزاء وفاق ، فعلى قدر الكفر والعصيان يكون الخلود في النار ، وحتى الآبدن في النار يفنون يوما ما بفناء النار بعد ما ذاقوا وبال أمرهم قدره ، وقد فصلنا البحث حول مدى الخلود في النار كرارا وتكرارا .

﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ هو الكسب القاصد العامد المعاند ، دون الجاهل القاصر ، أو المضطر غير العامد ، ثم ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ شرط ثان يكمل أهلية الخلود في النار ، وإحاطة الخطيئة التي هي من خلفيات السيئة التي استمرت ولم يتب عنها . حيث الخطيئة وهي الحالة الرديئة المخلفة عن السيئة البائنة . إنها تعم الخطايا العقائدية والعملية حيث يصبح المسيء خطيئة كله ، فلا منفذ . إذا . إلى قلبه أو قلبه من نور ، بل أصبح كله نارا ، والشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغا غير قالص ، وزائدا غير ناقص! ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ثم يقابلهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فلا يرون نارا ولا تمسهم النار .

ومن ثم بينهما عوان ، لا أنه أحاطت به خطيئة ، ولا أحاطت به طاعته ، فهم . إذا . عوان بين الجنة والنار ، وحين يبقى لهم . عند موتهم . إيمان وعمل الإيمان ، فأخر مصيرهم الجنة .

أترى «سيئة» هنا تعني أية سيئة وإن كانت صغيرة؟ والصغيرة تكفر بترك الكبيرة :

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا

**كِرِيمًا** ﴿٤ : ٣١﴾ ثم والكبيرة يعفى عنها بالتوبة ، أم وأخيرا بالشفاعة ، فأين . إذا . أحاطت به خطيئته ، واين خلود النار؟

الشوط القريب في هذه السفرة النكدة يعني من السيئة أمثال الشرك بالله والتكذيب بآيات الله ، وتحريف كتاب الله <sup>(١)</sup> ، فمن ثم ﴿أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ التي هي من خليات تلك السيئات العظيمة!

وقد يعبر عن هذه الحيطه الخليفة ب «السيئات» : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠ : ٢٧) خلودا بخلود وعلى قدره وأثره ، حيث أغشيت كل وجوههم الظاهرة والباطنة بظلمات السيئات : ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٨ : ٨٤).

ثم أشواط أخرى في سيئات أخرى مهما كانت صغيرة ، حيث الإصرار فيها دون توبة يجر أصحابها إلى سيئات كبرى حتى ينتهي المسيء إلى تلكم السيئات الكبيرة التي تخلف إحاطة الخطيئة ، سدا لمنافذ النور والتوبة.

فعلى أية حال ليست كل سيئة بالتي تخلد في النار ، إنما هي التي تخلف إحاطة الخطيئة ، فيموت صاحبها محاطا بالخطيئة عقائديا وعمليا ، فطبعاً ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ثم وفي ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ دون «عمل . أو . اترف» أما شابه ، تلميحاً إلى حالة إقترافها ، أنها اجترأ لها بالتذاد واستساغة كأنها من مكاسب الحياة ، فلو كانت كريهة في قياسه لما اجترعها متحمسا حريصا ، ثم وما تركها تحيط به

(١) نور الثقلين ١ : ٩٣ في التوحيد بسند متصل عن ابن أبي عمير قال سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول : لا يخلد الله في النار الا اهل الكفر والجحود واهل الضلال والشرك.

خطيئة ، فكان يأتيها كارها أو مكرها أم غافلا ثم يتوب عنها ، ويلوذ إلى كنف غيرها ، فهو إذا . يتخلص عن تبعثها ، وهي إحاطة الخطيئة به ، حيث لم تغلق عليه منافذ التوبة .

فذلك هو التعبير الصحيح الفصيح عن حالة المسيء في هذه السيئة ، كما ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ تفسرها ، لمحتان اثنتان تخرجان سائر السيئات . صغيرة وكبيرة . عن هذه السيئة ، التي تخلف إحاطة الخطيئة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾!

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ  
وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ  
ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ  
دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ  
أَفْتُمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ

إِلَّا خَزِيٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
 (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
 (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ  
 وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا  
 تَتَّقُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِنَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ  
 عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُنُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

هنا عرض لعشرة كاملة من المواثيق أمرا ونهيا ، التي نقضوها كلها وهم يعتبرونها من النواميس الأحكامية الأصلية في الشريعة التوراتية ، ثم عرض آخر لإرسال الرسل إليهم تترى ، استكبارا أمام من لا تهواه أنفسهم تكديبا لهم وقتلا ، وتكديبا . في النهاية . بالقرآن وهم عرفوه من قبل استفتاحا . بمستقبل نزوله . على المشركين ، بحجة اختصاص إيمانهم بما نزل عليهم فقط وقد كفروا به وقتلوا أنبياءهم من قبل ، كما اتخذوا العجل أمام موسى .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ .٨٣

ميثاق في شرعة التوراة عليهم ، مذكور فيها بصيغة «الناموس» وتذكر هنا بنود الميثاق  
تقديمًا للأهم فالأهم :

١ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أمر بصيغة الإخبار ، تأكيداً أكيدا على تطبيقه وكأنه واقع  
قبله ، مما يوحي ألا بديل عنه ولا عذر في تركه ، فكما الله واقع لا مرد له ، كذلك عبادة الله  
واقعة لا مرد لها ، مزودة بحكم الفطرة والعقل وكلّ الأعراف المصدّقة بوجود الله.

٢ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ دون «تحسنون بالوالدين» تنازلاً عن تأكيد الأمر الى مرحلة  
ثانية ، كما والإحسان بالوالدين ليس فرضه إلا بعد فرض عبادة الله ، وليس . فقط . أن تحرم  
الإساءة إليهما ، بل الفرض هنا واجب الإحسان بهما في كافة الاتصالات والانفصالات  
الحيوية ، روحية ومادية.

٣ . ٥ ﴿وُذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ مرحلة ثالثة من الفرض على اختلاف  
مراتب هذه الثلاث ، فالإحسان بهؤلاء يأتي في ظل الإحسان بالوالدين ، لتأخره عنه ،  
ودمجهم في «إحسانا» في الوالدين ، وكما الإحسان بالوالدين كان مدججا في ظل عبادة الله ،  
وكل هذه من فروع عبادة الله.

ثم و «ذي القربى» في نفسها درجات ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ  
اللَّهِ﴾ وكذلك اليتامى والمساكين ، الأيتام منهم والأسوء حالا ومسكنة.  
فالأقرب الأيتام الأسكن ، هو أوجب ممن سواه ، وعلى هذا القياس دونما فوضى  
جزاف.

٦ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ مرحلة سادسة من واجب الحسن والإحسان تجاه

الخالق والخلق ، فانه «يعني الناس كلهم»<sup>(١)</sup>

ف «قولوا» تفرض حسن العشرة العملية بالأولوية القطعية ، وليس «قولوا» هنا إلا بياناً لأقل الواجب تجاه الناس ، و «حسنا» دون «حسنا» تفرض خالص الإحسان وكأنه تجسّد للحسن ، مبالغة بليغة في الحد المفروض من حسن العشرة قولية وعملية مع الناس ، كضابطة ضابطة كلّ التخلفات الخلقية في عشرة الناس كل الناس ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ف ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ . ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ .

فالضابطة السارية الجارية كأصل أولى في عشرة الناس هي الحسن ، بل ومعاينة الظالمين أيضا حسن بالناس ، بل وحسن بالظالمين أيضا لكي يرددعوا ، أم ينتهوا شاءوا أم أبوا ، ولكي يخفف عنهم يوم الحساب! .

ف «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم»<sup>(٢)</sup> «ولا تقولوا إلا خيرا حتى تعلموا ما هو»<sup>(٣)</sup> ف «اتقوا الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم...»<sup>(٤)</sup> .

(١) الدر المنثور ١ : ٨٥ . اخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الآية: ...

(٢) نور الثقلين ١ : ٩٤ في اصول الكافي باسناده الى جابر بن زيد عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية ...

(٣) فيه باسناده الى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية ...

(٤) في تفسير العياشي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول : ان الله يقول في

كتابه : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ .

أجل» للناس كلهم مؤمنهم ومخالفهم ، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه ، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان فان ييأس من ذلك يكف شرورهم عن نفسه وعن إخوانهم...»<sup>(١)</sup>

ف «لا تدع النصيحة في كل حال»<sup>(٢)</sup>. فالمؤمن حسن ومحسن أيا كان وأيان ، يصلح ولا يفسد في كل مجالات العشرة الحويوية ، فكل قوله «حسن» وكل فعله «حسن» وكل نيته وعقيدته حسنة ، فهو في نفسه جنة لا تبوء إلى نار حتى يلاقى ربه في دار القرار. ثم حسن القول يعم الدعوة الحسنى ، والأمر والنهي بالحسنى ، وسائر العشرة القولية بالحسنى ، ولكي يخلق المؤمن حسن الحب بحسن القول للناس وحسن المعاملة والعشرة معهم. ٧ و ٨ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ هنا إقام الصلاة عبارة أخرى عن ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ بأفضل مصاديقها وقد تعني إقام الصلاة فيما عنت إقام الصلوة على محمد وآله ، وهي من إتمام الصلاة<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير البرهان ١ : ١٢٢ عن الإمام العسكري (عليه السلام) قال قال الصادق (عليه السلام) وقلولوا للناس حسنا ، قال : ... ثم قال : ان مداراة اعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في منزله ، إذن استأذن عليه عبد الله بن أبي سلول فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : بئس أخو العشيرة اتذنوا له ، فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قلت فيه ما قلت وفعلت فيه من البشر ما فعلت؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا عويش يا حميراء ان شر الناس عند الله يوم القيامة من يكرم اتقاء شره.

(٢) نور الثقلين عن مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام): قال الله : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

(٣) تفسير بيان السعادة ١ : ١١١ قد فسر في الخبر اقامة الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها .

كما وإيتاء الزكوة عبارة أخرى عن كل مراحل الإحسان روحيا وماديا ، حيث الزكوة  
تعم زكوة الأرواح الأحوال إلى زكوة الأبدان والأموال «وهي زكوة المال والجاه وقوة البدن»<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٨٣.

«توليتهم» عن كل هذه الثمان أم بعضها ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ إذ أقبلوا إليها «وأنتم»  
المتولون «معرضون».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ٨٤

٩ . ١٠ هنا تكملة للعشرة ناموسا أحكاميا للشريعة ، حرمة الدماء والأموال : ﴿لَا

تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ لأن سفك دم أخيك هو سفك لدمك نفسك ، فإن نفسه نفسك  
ونفسك نفسه ، فكما يحرم عليك سفك دمك ،

. وأداء حقوقها التي إذا لم تؤدّ لم يتقبلها رب الخلائق ، و (قال (عليه السلام) أتدرون ما تلك الحقوق؟ هو اتباعها  
بالصلاة على محمد وعلي وألهما صلوات الله عليهم منطويا على الاعتقاد بأنهم أفضل خيرة الله والقوام بحقوق الله  
والنصار لدين الله تعالى.

قال (عليه السلام): وأقيموا الصلاة على محمد وآله عند احوال غضبكم ورضاكم وشدنتكم ورخاكم  
وهومكم المعلقة بقلوبكم

(١) تفسير البرهان ١ : ١٢٢ عن تفسير الامام العسكري (عليه السلام) قال : وآتوا الزكاة من المال والجاه وقوة  
البدن ، فمن الحال مواسات إخوانك المؤمنين ، ومن الجاه إيصالهم الى ما يتقاعسون عنه لضعفهم عن حوائجهم  
المتزدة في صدورهم ، وبالقوة معونة أخ لك قد سقط حماره او حملة في صحراء او طريق وهو يستغيث ولا يغاث  
من يعينه حتى يحمل عليه متاعه وتركبه وتنهضه حتى يلحق القافلة وأنت في ذلك كله معتقد لمولات محمد وآله  
الطيبين وان الله يركي أعمالك ويضاعفها بمولاتك لهم وبرائك من أعدائهم.

كذلك نفس محرمة أخرى غير مهدورة الدم ، لا يحل سفكه ، وكذلك إخراج أنفسكم من دياركم بنفس النمط ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه .

ثم في واجهة أخرى إن قتل نفس الغير وإخراجها من ديارها يخلف نفس القتل والإخراج لأنفسكم قصاصا وجزاء ، ف «لا تقتلون ولا تخرجون» لها أبعاد ثلاثة كلها منهيبة مهما اختلفت .

تلك عشرة كاملة تولوا عنها وهم معرضون :

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٨٥ .

«أنتم» لحاضر الخطاب و «هؤلاء» لغائبه ، فكيف يجتمعان والحضور في الخطاب هنا

هم الغيب؟

قد يعني «أنتم» شعب إسرائيل المتمثل في الحاضرين زمن الخطاب ، وهؤلاء هم السابقون منهم القاتلون أنفسهم والمخرجون ، دجما للحضور في الغيب لأنهم نفس النمط ، ولهم نفس الخلق مأخوذين بنفس المأخذ ، لأنهم سلسلة موصولة فيما كانوا يفتعلون ، ولا أقل أنهم كانوا بما فعلوا راضين ، والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم .

أم إن «هؤلاء» هنا كمنادى تكرر منبها لهؤلاء الحماقى أم كإشارة إليهم تأكيدا

لصدور الجريمة منهم .

والآية تتحدث عن واقع قريب العهد ، قبيل غلبة الإسلام على قبيلي

الأوس والخزرج ، فقد كانوا كلهم مشركين ، ويهود المدينة هم . وقتئذ . أحياء ثلاثة ، مرتبطة بعهود ، كل مع كل من حيي الشرك ، فبنوا قينقاع وبنو النضير هما حلفاء الخزرج ، وبنو قريظة هم حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق من اليهود مع حلفاءه المشركين ضد آخرين ومعهم يهود آخرون ، فيقتل اليهودي مثله كما يقتل المشرك دوماً تمييزاً تمسكاً بالأحلاف ، وتناسياً لحلف الله وميثاقه الذي واثقهم به .

كما وكانوا يخرجون فريقاً منهم من ديارهم إذا غلب فريقهم ، نهباً لأموالهم وسبباً لفريق منهم حلفاء مع عدوهم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ كما تتظاهرون على خطاءهم المشركين ، وهذا خلاف نص الميثاق في ناموس التوراة .

ومن ثم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ دافعين الفدية عنهم حتى تستلموهم وتحرروهم ، وفقاً لنص آخر من التوراة ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فكيف الجمع بين قتالهم وقتلهم وإخراجهم وأسرههم ، وبين مفاداتهم ﴿أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فتفادوهم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فتقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم وتأسروهم؟ .

و «هو» هنا إما ضمير شأن ، أو مبتدئ مبهم مفسر ب «محرم» والجمله الخبرية خبرها .

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ﴾ النقض لشرعة الميثاق التوراتي ﴿مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أن تقاتلوهم إخوانكم لصالح أعداءكم المشركين ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ لأن ذلك من أشد العصيان لشرعة الله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ خلاف ما أنتم تزعمون .

ولكي يلفت أنظار المسلمين إلى أهمية ذلك المحذور ، دون اختصاص باليهود ،  
يخاطبهم :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

.٨٦

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية يحذر المسلمين عن مثل ما افتعله اليهود ، كيلا  
يجارب بعضهم بعضا لصالح الكافرين.

خطة تقليدية لعينة إسرائيلية في إمساك عصيهم من أوساطها ، انضماما إلى  
المعسكرات المتطاحنة كلها حيطة على مصالحهم المادية ومغانمهم على أية حال ، نقضا  
لميثاق الله الذي واثقهم به ، وتحكيما لميثاقهم مع أعداء الله ، مصلحة وقائية وقتية ، تجعل  
شرعتهم على هامشها ، أم رفضا لها عجالة حتى يربحوا المسرح ، اشتراء للحياة الدنيا  
بالآخرة!.

وترى الآخرة كانت مملوكة لهم حتى يشتروا بها الدنيا فهم مالكوها؟ وذلك بيع ما لا  
يملك!.

لكل من المكلفين نصيب مقدّر من نعيم الآخرة إن عمل لها ، فالذي لا يعمل لها  
كأنه باعها حيث بطل على نفسه استبدالها بها نعيم الدنيا ، و ﴿الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ  
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ في تجارتهم الخاسرة من خسارهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إذ  
لا ناصر يومئذ إلا الله وليس بمخفف العذاب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ  
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَكُمْ وَفَرِّقًا  
تَفْتَلُونَ﴾ .٨٧

آية التفقية هذه نراها يستدل بها عند المبشرين المسيحيين على أن المسيح خاتم النبيين ، يقول قائل منهم : في القرآن كله ، في النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح ، ظاهرتان : الأولى : يقفي القرآن على كل الرسل بالمسيح ، ولا يقفي على المسيح بأحد ( ٢ : ٨٧ ) يعني هذه ، و ( ٥ : ٤٦ ) ( ٥٧ : ٢٧ ) .

الثانية : المسيح نفسه في ما ذكر القرآن عنه لا يبشر بأحد من بعده على الإطلاق إلا في بعض تلك الآية اليتيمة : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ وهذا يجعل تعارضا ما بين الموقف المتواتر والموقف الشاذ اليتيم فيه ، والعقيدة في كتاب منزل تؤخذ من الحكم فيه لا من المتشابه (١) .

يستدل بآيات التفقية . الثالث . على أن المسيح هو خاتم النبيين ، فالثانية ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ( ٤٦ ) .  
والثالثة : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ... ﴾ (٢٧) .

ولكن آية البقرة تؤتي موسى الكتاب ثم تقفي من بعده بالرسل ، فلو كان المعني منهم كل الرسل لخرج المسيح (ع) ايضا عن جماعة الرسل ، فهم - إذا - معظم الرسل الإسرائيليين ، وقد قفي من بعدهم بالمسيح وهو خاتم الرسل الإسرائيليين ، وليست هذه التفقية الإسرائيلية إلا توطئة لبيان انتقال الرسالة إلى رسول غير إسرائيلي ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا

(١) ذكره الحداد البيروتي في كتابه مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي ص ٣٦٤ ...

مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾! فقد تلعن . بين الملعونين . القائلين أن المسيح هو خاتم المرسلين على الإطلاق ، ناكرين رسالة القرآن العظيم!

كما وأن آية المائدة أيضا لا تقفي بالمسيح إلا على الرسل الإسرائيليين : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...﴾ مما يبرهن ان المسيح (ع) هو آخر الرسل الإسرائيليين التابعين لشرعة التوراة ، ثم ﴿لِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾!

وكذلك آية الحديد ، فإنها لا تقفي بالمسيح إلا الرسل الذين ذكروا قبله ، لا كل الرسل ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ... ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...﴾ ثم يقفي بهذا الرسول خاتما لكل الرسالات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ ...﴾<sup>(١)</sup>.

فتراهم . هؤلاء البعيدين عن علم الكتاب . كيف يستندون بآيات الرسالة الختمية الحمديّة على نكران رسالته عن بكرتها ، ولا يفصحون إلا أنفسهم لو كانوا يشعرون! (٣٨). ثم التقفية بالرسول أم برسول تعني تأييد كل لا حق من الرسل سابقه ،

(١) راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ١٦٢ - ١٧٧ .

وبيان ما حرّف بأيدي الدس والتحريف ، فليست لتعني الختم في الرسالة على أية حال ، فالرسالات الإلهية هي سلسلة موصولة طول التاريخ الرسالي ، ف ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾!

لقد أتاهم رسلهم ترى تلو بعض ولصق بعض ، كلهم رسل التوراة ، داعين إليه ، وآخرهم عيسى بن مريم المزوّد بالبينات ، المؤيد بروح القدس ، ولكنهم كفروا وكذبوا : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على هؤلاء الرسل ﴿فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقُوا تَقْتُلُونَ﴾.

هذه صنيعتهم برسلهم في ماضيهم التّحس التّجس ، فما ذا يرجى من حاضرهم أمام نبيّ إسماعيلي؟!.

وإذا كانت رسالات إسرائيلية لا تمشي على أهواءهم فهم بها يكفرون رغم توافق العنصرية ، فما ذا يرجى منهم أمام رسالة غير إسرائيلية لا توافق هذه العنصرية . ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ علّه روح القدس الرسالي ككل وهو مثلث الوحي والعصمة الرسالية وملك الوحي ، وهذه الثلاث لا يصيبها ما يصيب سائر الأرواح الإنسانية<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ١ : ٩٨ في أصول الكافي باسناده الى المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام قال : سألته عن علم العالم؟ فقال لي : يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس وروح الايمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ، تحت العرش الى ما تحت الثرى ، ثم قال يا جابر! إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان الا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب . وبإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (ع) قال : سألته عن عم الامام بما في أقطار الأرض ، وهو في بيته مرضى عليه ستره؟ فقال : يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في .

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٨.

«غلف» هي جميع أغلف أو غلاف ، وهو الذي في غلاف مبالغة ، أو كالم تعود من غلاف السيف ، فهل يعنون بغلف قلوبهم أنها ﴿فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ لا تنفذ إليها دعوة جديدة غير إسرائيلية : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ (٤١ : ٥).

فهي . إذا . غلف بطبيعة الحال عما تدعوننا إليه ، فما هو ذنبنا وقد خلقنا غلف القلوب ، والجواب كلمة واحدة : ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ . ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ . ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (٦ : ٢٥) . فليست هي غلفا بما خلق الله ، بل ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (٥ : ١٣) .

أم يعنون أنها غنية عن أية شرعة غير إسرائيلية ، فهي مغلفة عن غيرها ، غنية بها ، مليئة منها ، ومن ثم «أنها أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها ، ثم هي معذلك لا تعرف لك يا محمد فضلا المذكورا في شيء من كتب الله ولا على لسان أحد من أنبياء الله»<sup>(١)</sup> .

قد يعنون ذلك الثالث من غلف القلوب ، وردا عليهم فيها كلمة

---

. النبي خمسة أرواح روح الحيوة فبه رب ودرج ، وروح القوة في تحض وجاهه ، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الايمان فبه آمن وعدل ، وروح القدس فبه حمل النبوة ، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الامام ، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ولا يلعب ، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو وروح القدس كان يرى به .

(١) تفسير الامام الحسن العسكري قال (عليه السلام) في تفسير الآية ... ومثله في الدر المنثور عن ابن عباس .

واحدة : ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قلوب لعينة مقلوبة عن الخير بكفرهم ، امتناعا لقبول الحق بالاختيار!.

ولأن الله لعنهم بكفرهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قليلا منهم ، وقليلا من الإيمان ، والقلتان معنيتان ، فإنهما من خلفيات لعنهم بكفرهم ، فقليلًا منهم يتخلصون عن كفرهم ، وقليلا يؤمنون حين يتخلصون.

ويروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغفل مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مفصح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجة فيه وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المفصح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثله البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثله القرحة يمدّها القيح والدم فاي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه (١).

لقد قالوا قولتهم المارقة الخارقة هذه تبيسًا لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعليلًا لعدم إجابتهم له :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

(١) الدر المنثور ١ : ٨٧ . اخرج احمد بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وفيه . اخرج ابن أبي شيبة في كتاب الايمان والبيهقي في شعب الايمان عن علي رضي الله عنه قال : ان الايمان يبدو لحظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظمًا ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق لحظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظمًا ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم الله لو شققتم على قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود». أقول : يعني منه قلب الروح و «لو» المحيلة لذلك الشق يؤيده ولا استحالة في شق قلب الجسم.

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾  
 هنا ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لا تصدق كل ما معهم ، فإنه دخيل من كل تحريف  
 وتجديف ، إذا فهو الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من بشارات هذه الرسالة  
 السامية القرآنية (١).

ثم وفي وجه آخر لما معهم ، هو وحي التوراة خالصا عما يشوبه ، حيث القرآن  
 يصدق كل كتابات الوحي ، ويزيف كل دخيل فيها لأنه مهيمن عليها : ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ  
 الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ  
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ (٥ : ٤٨).

والاستفتاح هنا هو طلب الفتح على المشركين ، كقولهم فيما يروى «اللهم إنا  
 نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم» (٢) أو طلب الفتح منهم أن

(١) تفسير البرهان ١ : ١٢٦ قال الامام العسكري (عليه السلام) ذم الله اليهود فقال : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني  
 هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم وإخوانهم من اليهود جائهم ﴿كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ القرآن «مصدق» ذلك  
 الكتاب ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة التي يبين فيها ان محمدا الامي من ولد إسماعيل ...

(٢) الدر المنثور ١ : ٨٨ . اخرج ابو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال : كانت يهود  
 بني قريظة والنضير من قبل ان يبعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا  
 ويقولون : اللهم ... فلما جاءهم ما عرفوا . يريد محمدا ولم يشكوا فيه . كفروا به . ومن طريق أصحابنا في نور  
 الثقلين أخرجه بأسانيد وأخصرها متنا ما رواه القمي عن إسحاق بن عمار قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام)  
 في الآية قال : كان قوم فيما بين محمد وعيسى صلوات الله عليهما ، وكانوا يتوعدون اهل الأصنام بالنبي (صلى  
 الله عليه وآله وسلم) ويقولون ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن ، فلما خرج رسول الله (صلى  
 الله .

يخبروهم هل ولد من وصفته التوراة؟ ولكنه لا يصلح إلا ضمن المعنى من الاستفتاح عليهم لأنه طلب الفتح منهم لا عليهم!

لقد كانوا يستفتحون ببشارة القرآن في توراتهم ، على المشركين ، كمصلحة وقتية ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من ذلك الفتح الرسالي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ مصلحة الحفاظ على الشريعة العنصرية ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٩٠ .

فالإنسان . أيا كان . يعادل نفسه بثمن ما قليلا أو كثيرا ، وأما أن يعادلها بالكفر بآيات الله ، فتلك هي أبخس الصفقات وأخسها ، وذلك واقع إسرائيلي أن اشتروا أنفسهم بالكفر ، بغيا وحسدا من عند أنفسهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، كفرا بما عرفوه في استفتاحهم ، وبما حسدوا صاحب هذه الرسالة الأخيرة ﴿فَبَاءُ﴾ رجوعا عن ذلك المتجر الخاسر الحاسر ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ لبعدي الكفر بالتوراة وبالقرآن ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ المغضوب عليهم ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ كما أهانوا رسالة الله.

. عليه وآله وسلم). كفروا به. وفيه عن روضة الكافي عنه (عليه السلام) يقول فيه بعد تفصيل للقصة وكانت اليهود تقول لهم . المشركين القاطنين بالمدينة . اما لو قد بعث محمد لنخرجكم من ديارنا وأموالنا ، فلما بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنت به الأنصار . وهم وقتئذ من المشركين . وكفرت به اليهود وهو قول الله عز وجل ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ وفي تفسير الامام العسكري (عليه السلام) ... وكان الله عز وجل امر اليهود في ايام موسى وبعده إذا دهمهم أمر او دهمهم داهية ان يدعو الله عز وجل بمحمد وآله الطيبين وان يستنصروا بهم وكانوا يفعلون ذلك ، حتى كانت اليهود من اهل المدينة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيكفون البلاء والدماء والداهية

وإليكم إشارات من بشارات الفتح التي كانوا بها يستفتحون ، ففي كتاب حقوق النبي (٣ : ٣٠٦) في الأصل العبراني :

«إلوه متيماه يا بوء وقادوش مهر پاران سلاه كيشاه شاميم هودو ويتهلأتو ماليآه ها ارض ٣ ونغه كأور تهميه قرنيم ميادو لو شام حبيون عوزه ٤ لفاناي يلخ دابر ويسيء رشف لرجلايو ٥ عامد ويمودد أرض رآه ويتز غويم ويت تصصو هر ري عد شحو جبعتو عولام هليخوت عولام لو ٦».

«الله من تيمان يأتي والقدوس من جبل پاران : حرى - فأراني (يأتي) مع الأبد. غطى جلاله السماوات وامتلات الأرض من تسييحه ٣ شعاعه كالشمس وشع من يمينه النور وهناك استتار قوته ٤ قدام وجهه يسير الوباء ، وأمام قدميه تبرز حمى ملهبة ٥ وقف ومسح الأرض ، نظر وأذاب الأمم ، وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت إكام وأتلال القدم ، مسالك الأزال له ٦».

وفي الأصل العبراني (تث ٣٣ : ١ - ٢) من التوراة :

«وزئت هبراخاه أشر برخ موشه إيش ها إلهيم ات بني إسرائيل لفني موتوا ١ ويومر يهواه مسيني باو زارح مسعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مر بيت قدش مى مينو اش دات لامو ٢».

«وهذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته ١ وقال : الله من سيناء جاء ، تجلى من ساعير ، تلعلع من فاران ، وورد مع آلاف المقدسين ، من يمينه ظهرت الشريعة النارية ٢».

هنا يبشر الله بلسان موسى (ع) بتجليات ربانية ثلاث ، فموسى «من سيناء» والمسيح «من ساعير» ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «من فاران» تعبيرا عن الكل بالماضي تثبيتا لتحقيق وقوعها ، تزويدا لمحمد المتجلي من فاران أنه ورد مع آلاف المقدسين ،

من يمينه ظهرت الشريعة النار وهي شريعة الجهاد.

وفي سالفه لها تختصر البشارة بآيتين «من تيمان» وهو مبعث المسيح فانه ساعير جنوبي القدس ، ومن فاران وهو مبعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تصفه بشرعته ما تصف ، بهيمنة وشوكة وأبدية ... (١).

هكذا كانوا يستفتحون به على الذين كفروا وهم يعرفونه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٩١.

﴿نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ جوابا عن ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قسمة ضيزى في الإيمان بما أنزل الله ، قضية العنصرية الحمقاء فيهم ، ف ﴿يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أيا كان النازل وعلى أي كان ، ما لم يكن نازلا على إسرائيل! «وهو» «ما أنزل الله» الخالص الناصع دون خليط ولا تبدل حتى آخر زمن التكليف ، فمهما كان النازل عليهم حقا في أصله فهو حقّ وليس «هو الحق» كلّه ، وهذا «هو الحق» كلّه هنا لكونه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ فيما كانوا به يستفتحون.

وحتى لو أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهم منكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بخصوص الوحي النازل على الرسل الإسرائيليين!؟

(١) راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ٤٤ - ٥٣.

وهنا ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ خطاب الحال للحضور في تلك الحال بصيغة الحال والاستقبال ، مما يحمل عليهم قتل الأنبياء حالا واستقبالا ، و «من قبل» توجهها الى الماضي ، هما مما يؤكدان طبيعة القتل فيهم حاضرهم وغابهم ، سلسلة موصولة طول التاريخ الإسرائيلي ، فلو كان زمن خطابهم نبي أو أنبياء لقتلوهم ، كما قتل أسلافهم ، ولقد قتلوا . في حسابهم . الرسالة المحمدية بنكران بشاراته وتكذيبه!

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٩٢ .

وهل إن اتخذكم العجل من بعده : بعد أن جاءكم بالبينات ، وبعد ما غاب عنكم فترة قصيرة إلى الطور <sup>(١)</sup> ، هل إن ذلك ايضا مما أنزل إليكم فهو من وحي الايمان والايمن بالوحي!

لقد كفرتم بما أنزل إليكم في وحي التوراة ، ثم ما أنزل في وحي الإنجيل وهما الركناان الركيناان من الوحي الإسرائيلي ، ثم أنتم تكفرون بوحي القرآن وقد كنتم تستفتحون به على المشركين ، فما دأكم وما دوائكم! ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ موسى وشرعته ، فظالمون الحق النازل من عند الله ، وظالمون أنفسكم!

ذلك وإلى مرات ومرات من التمردات والتمردات عن شرعة الحق النازلة عليكم :

(١) تفسير البرهان ١ : ١٣٠ قال الامام العسكري (عليه السلام) قال الله عز وجل لليهود الذين تقدم ذكرهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على نبوته وعلى ما وصف من فضل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وشرفه على الخلائق ... ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ لها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد انطلاقه الى الجبل وخالفتم خليفته الذي نص عليه وتركه عليكم وهو هارون ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ كفرون بما فعلتم من ذلك.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٩٣ .  
 ﴿... بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك ... (٦٤)  
 ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا...﴾ (٤ : ٥٤).

قصة واحدة تأتي في مجالات عدة بمختلف الألفاظ الجانية والأصل واحد ، وهنا الجواب الفصل عن ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ . واسمعوا : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ والعصيان بعد حجة السمع هو أجره عصيان.

ثم ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ وكيف يشرب العجل في القلوب؟ ولا يشرب العجل بل يوكل! وليس الشارب هو القلوب!.

إنها مبالغة بليغة في حب العجل ، فكأنها تشرت حبه فمازجها مازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء المملوذ ، ولأن القلوب هي أعماق الكيان الإنساني ، فأشراهم حب العجل في قلوبهم كناية عن أن حبه تعرق وتعمق في كل كيانهم.

وما ألفتها رواية . إن صحت . أن «عمد موسى فبرد العجل . قطعاً بالمبرد . من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار فزرّه في اليمّ ، وكان أحدهم يقع في الماء وما به إليه من حاجة ، فيتعرض لذلك الرماد فيشربه ...» (١).

(١) نور الثقلين ١ : ١٠٢ عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية : ... وهو قول الله : ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.

فقد أشربوا العجل في قلوب أرواحهم وقلوب أجسادهم لكثرة حبهم له ، فكما أن شرب الماء كسب لاستمرارية الحياة ، كذلك هؤلاء الأباقره ركزوا حياتهم على حب المادة وعبادتها ، المتمثلة في حب العجل وعبادته ، وما أمرهم أن يذبحوا بقرة . ولا سيما تلك الثمينة الغالية . إلا أمرا بذبح ما كانوا يحبون ويعبدون ، وكما أمروا بقتل أنفسهم بعد هذه العبادة القاحلة .

وتراهم من أشربهم في قلوبهم العجل؟ إنه طبيعتهم المنجذبة الى المحسوسات ، ثم هو السامري الذي استغل فيهم هذه الجاذبية ، ثم الله لم يردعهم تكويننا وتسييرا حيث الدار دار الإختيار .

وقد يعني ﴿وَأَشْرَبُوا...﴾ . فيما تعني . أنهم أمروا أن يشربوا من ماءه ليتبين العابد له عن سواه <sup>(١)</sup> ولكنه لا يصلح إلا ضمن المعنى مما تعني ، وقد تعني ثالث الشرب ، في قلوب أرواحهم ، ثم الأجساد ، من عند أنفسهم أم بما أمروا ، والنص يصلح لها كلها بكفرهم .  
﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أن تكفروا بما أنزل الله ، وبهذه الرسالة الاخيرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فهو ايمان بئس نحيس وليس ايمانا بالله! وترى الايمان يأمر أو ينهى حتى يصح هنا «بئسما»؟ الأمر هو الدافع كما النهي هو

(١) تفسير البرهان ١ : ١٣٠ قال الامام العسكري (عليه السلام) ... في الآية : عرضوا بشرب العجل الذي عبده حتى وصل ، ما شربوه ذلك الى قلوبهم ، وقال : ان بني إسرائيل لما رجع إليهم موسى وقد عبدوا العجل تلقوه بالرجوع عن ذلك فقال لهم موسى من الذي عبده منكم حتى انفذ فيه حكم الله خافوا من حكم الله الذي ينفذه فيهم فجحذوا ان يكونوا عبده وجعل كل واحد منهم يقول : انا لم اعبده وانما عبده غيري ووشى بعضهم ببعض فذلك ما حكى الله عن موسى من قوله للسامري ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِفَنَّهُ ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ فأمره الله فبرده بالمبارد وأخذ سجالته فذرهما في البحر العذب ثم قال لهم : «اشربوا منه فاشربوا فكل من كان عبده اسود شفتاه وانفه فمن كان لم يعبد ابيض شفتاه وانفه فعند ذلك انفذ فيه حكم الله» .

المانع ، وهما أصل الأمر والنهي قوليا أم واقعيًا ، فلا امر ولا نهي تكوينيا أو تشريعيًا إلا بدافع أو مانع ، أم هما بدافع كتعبير أصح وأعمق .

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُخْرَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى  
مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى  
الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمازُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ  
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا  
شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٤ .

فلأن اليهود زعموا أنفسهم شعب الله المختار وأبناءه : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (٢ : ١١١) دعوى خاوية خالية عن أي برهان ، لذلك يختصون بأنفسهم الدار الآخرة ، ولكن البراهين تترى على بطلانها ومنها ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم ، نقلة من هذه الحياة الظالمة المظلمة ، الضيقة الكدرة ، إلى دار لقاء الله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٢ : ٦).

أترى أن تمني الموت هو من قضايا الايمان الخالص والدار الخالصة للموت من عند الله؟ والحياة الدنيا هي حياة الاستعداد للأخرى ، وهي مزرعة الآخرة! والتعرض للموت محرم في شرعة الله! والفرار من بواعث الموت واجب في شرعة الله ، فكيف يصبح . إذا . تمني الموت من قضايا صدق القول إن لنا الدار الآخرة خالصة عند الله.

تمني الموت ليس هو ولا منه التعرض للموت ، فلا يتمنى ما بالإمكان تحصيله او التعرض له ، وإنما هو الترجي الصالح لأصلح الصالحين الذين هم من خالص الله والسابقين الى رضوانه ، وكما يروى عن علي (ع) «والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي امه» وسعن الصديقة الطاهرة عليها السلام : «اللهم عجل وفاقي سريعا»<sup>(١)</sup> ولأنهم موقنون بالسعادة الآتية ، راغبون في لقاء الله!.

(١) نور الثقلين ١ : ١٠٢ في الخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) سمعت أبي يحدث عن أبيه (عليهما السلام) ان رجلا قام الى امير المؤمنين (عليه السلام) فقال يا امير المؤمنين بما عرفت ربك؟ قال : بفسخ العزائم . الى ان قال . : فيما ذا أحببت لقاءه؟ قال : لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت بان الذي اكرمني بهذا ليس ينساني فأجبت لقاءه . .

ام وللذين يوقنون بتلك السعادة العظمى أطاعوا الله ام عصوا ، فما ذا تفيدهم . إذا .  
 بقية الحياة الدنيا إلا بعدا عنها وعن لقاء الله ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾!  
 ثم من سواهم لا يجوز لهم تمني الموت كما لا يجوز لهم التعرض للموت ، فان الموت لهم  
 انقطاع عن حياة التحصيل ورجاء التلافي لما قصرّوا ، او المزيد فيما قصرّوا عنه «ولأننا لا نأمن  
 من وقوع التقصير فيما أمرنا به ونرجو في البقاء التلافي»<sup>(١)</sup>.

وقد يجوز تمني الموت لمن لا يرجو في البقاء التلافي ، بل ومزيد العصيان ، أم هو موقن  
 بذلك ، واليهود . فيما يدعون . هم القسم الثاني من الأربعة فليتمنوا الموت إن كانوا صادقين  
 ، فإن النقلة من ضيق الحياة وضنك المعيشة الى سعتها الخاصة الخالصة دون اي شرط إلا  
 أنك إسرائيلي ، إن تمني تلك النقلة هي طبيعة الحال لأصحابها ، بل وذلك أدناها ، حيث  
 الطمأنة المطلقة تقتضي التعرض للموت ، بل والانتحار.

إنهم يعبرون عن أنفسهم بما عبروا ، وعن المؤمنين بالناس ، تعبيرا ساقطا

---

. وفيه عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) قال أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل فقال  
 له : ما لي لا أحب الموت؟ فقال له : ألك مال؟ قال : نعم ، قال : فقدمته؟ قال : لا ، قال : فمن ثم لا تحب  
 الموت.

(١) في مجمع البيان قال امير المؤمنين (عليه السلام) . وهو يطوف بين الصقيين بصقيين في غلالة . شعار يلبس  
 تحت الثوب الدرع . لما قال له الحسن ابنه (عليه السلام) ما هذا زيّ الحرب؟ فقال : يا بني إن أباك لا يبالي وقع  
 على الموت ام وقع الموت عليه ، واما ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : لا يتمنين أحدكم  
 الموت لضر نزل به ، ولكن ليقل : اللهم احبني ما دامت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي ، فانما  
 نهي تمني الموت لأنه يدل على الجزع ، والمأمور به الصبر وتفويض الأمور اليه ، ولان لا نأمن ...

مسقطا لهم عن آية رحمة ربانية تشملهم ، والدار الآخرة خالصة لهم أنفسهم لا يشاركون فيها هؤلاء الناس!.

فهناك دعوا إلى تلك المباهلة ، كبرهان واقع على كذبهم بعد كل البراهين التي

رفضوها :

ولقد أمر الرسول أن يقولها لهم فقال «إن كنتم في مقاتلكم صادقين قولوا : اللهم أمتنا ، فو الذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم فنزل (١) :

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٩٥ .

وكيف يتمنونه وهم يخشون أن يستجيب الله لهم فيأخذهم من فورهم ، فهم قد خسروا الدنيا بالموت الذي طلبوه انقطاعا عن شهواتهم ، وخسروا الآخرة بالعمل السيء الذي قدموه!.

قد يتمنى المشرك او الملحد الموت لأسباب طارئة ، ولأنه لا يخاف بعد الموت ،

ولكنهم ﴿لَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لأنه نهاية شهواتهم وبداية بلياتهم بما قدموا

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أنهم لن يتمنوه ، بل هم أحرص الناس على حياة :

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ

وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ .

(١) الدر المنثور ١ : ٨٩ . اخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية : قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة كما زعمتم خالصة من دون الناس يعني المؤمنين فتمنوا الموت ان كنتم صادقين انما لكم خالصة من دون المؤمنين فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

هنا «حياة» منكرة دون «الحياة» المعرفة ، لمحة إلى أن حرصهم لا يخص الحياة الراقية المرحة المرجحة ، بل هي مطلق الحياة ، ما تتسمى حياة ، مهما كانت أردؤها ، لأنها على أية حال أفضل من الحياة الأخرى بما قدمت لهم أنفسهم.

ف «الناس» في ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾ هم كل الناس دونما استثناء ، وحتى الذين أشركوا ، وكما بيّنه : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي : وأحرص من الذين أشركوا ، لأنهم يخافون عما بعد الموت ما لا يخافه المشركون.

إجل إنها «حياة» آية حياة ، ملمحاً لها بذلك التنكير النكير الحقيق ، حياة ديدان او حشرات ، وإنما «حياة» ثم لا شيء آخر ، الحياة الرزيلة التي لا يقبلها اي ذي حياة ، لا وحتى الذين أشركوا!.

فهم . رغم أنهم عارفون القدر المتعود من الحياة . يجتازونها إلى أعلى ما بالإمكان في تقديرهم : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ كسبا أكثر وأوسع من ملذات الحياة الدنيا ، ابتعاداً أوفر عن عذاب الأخرى ، ولكنه ﴿وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ وكل آت قريب ، فحتى لو عمّر أحدهم الدنيا فليعذب أكثر وأكثر مما لو انه لم يعمر ، لأنه يزيد في تعميره الأكثر استحقاقاً للعذاب أكثر ، فتعميره الكثير . إذا . ييؤء الى العذاب الكثير! ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

واختصاص المشركين هنا من بين الناس لأنهم أحرصهم على حياة ، ولكن اليهود هم أحرص من أحرص الناس على حياة.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ...﴾ كما يرجع إلى اليهود ، كذلك إلى الذين أشركوا ، ام هو راجع إليهم ، ثم اليهود يود أحدهم لو يعمر أكثر من ألف لأنهم أحرص منهم على حياة<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ١ : ٨٩ عن ابن عباس في الآية قال هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم : زه هزار سال . يعني الف سنة.

و «لو» هنا للتمني لا الاستحالة ، حيث سمعوا او رأوا من عمّر الف سنة او يزيد ، فلانه شاذ بعيد يتمنونه مزيدا في الشهوات.

أتراهم بعد ليس لهم تقليب الاقتراح في هذه المباحلة : إن كانت لكم المسلمين الدار الآخرة خالصة عند الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ام ولترضوا ان تقتلكم عن بكرتكم تخلصا الى نعيم الجنة الخالصة عن هذه الدار المحفوفة بالبلاء؟.

كلّا! حيث الرسول والمسلمون معه لم يدعوا لأنفسهم خالص الدار الآخرة دون شرط ، ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾ (٤ : ١٢٤).

فلم يدعوا لأنفسهم خالص الدار الآخرة ، ولا دون شرط ولا دون الناس ، بل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ثم منهم من يتمنى الموت دون مقت للحياة ، بل هيماننا للقاء الله دون تعرض للقتل او الموت فانه محرم في شرعة الله ، بل تجب عليهم مقاتلة الكفار المضللين.

ومنهم من لا يتمناه بغية الحصول على استعداد أكثر للموت ، تحصيلًا لمزيد الثواب ، وقضاء على مزيد العقاب ، فكيف . إذا . يقلب عليهم السؤال وهم ليسوا بمدعين دعواهم الخاوية الفوضى الجزاف؟

ثم ﴿عِنْدَ اللَّهِ . خَالِصَةً . مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ هي ثلوث منحوس في دعواهم ، ف ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هي منزلة خاصة منقطعة النظير ، و «خالصة» هي الخلاص عن شريطة العمل الصالح ، والخلاص عن أي شوب من العقاب والخلاص عن شركاء ، و ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ اختصاص لهؤلاء الناس دون سائر

الناس ، والقرآن طارد هذه الدعاوي الخاوية ، فكيف يقبل السؤال على أهله؟.

ثم في ﴿لَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾ تحد سافر على هؤلاء المدعين ، وملحمة غيبية أن ﴿لَنْ يَتَمَنَّوهُ﴾ وقد كان لهم أم لأحدهم أن يتمنوه تغلبا في هذه المباهلة على الرسول ، ولكنهم لم يتمنوه ولن! تخوفا من وقوع الواقعة ، وذلك من قضايا المباهلة حين لا تنفع أية حجة ، وكما حصلت مرارا وتكرارا ومنها مباهلتته (صلى الله عليه وآله وسلم) مع نصارى نجران.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧.

لقد عاد هؤلاء الحماقى الأنكاد . فيمن عادوا . جبريل ، لما نزل القرآن على نبي غير إسرائيلي؟ ثم لماذا نزل عليه نكايات على أهل الكتاب؟ ولماذا نزل عليه بشارات التوراة وكتب الأنبياء بحقه؟ ولماذا يطلع محمدا على أسرارنا؟ وذلك . في الحق . كفر بالله الذي أرسله لما أرسل بما أرسل .

لقد قالوا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حوار دار بينهم أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك ، او نفارقك ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا هو وليه ، قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك ، قال : فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا : هو عدونا ، فانزل الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ . إلى قوله . ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «فعند ذلك باءوا بغضب على غضب» (١).

(١) نور الثقلين ١ : ١٠٦ في العلل باسناده الى انس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل قال فيه لعبد الله بن سلام وقد سأله عن مسائل أخبرني بها جبرئيل (عليه السلام) .

ومن عداؤهم لجبريل أنهم ما أبقوا له ذكرا في كتابات الوحي إلا أربعا تفلتت عنهم ،  
في «دانيال ٨ : ١٦ و ٩ : ٢١» من العهد العتيق ، ثم في «لوقا ١ : ١٩ و ٢٦» من  
العهد الجديد ، ثم لا نراه يذكر في الأسفار الخمسة التوراتية ولا في سائر كتابات العهدين ولا  
مرة واحدة ، وهو الملك العظيم ، حامل الوحي الى رسل الله ، لا يمكن ان يترك اسمه في هذه  
الكتب المذكورة فيها اسماء الكثير ممن هم دونه ام لا يحسبون بشيء! .  
ثم المذكور فيما ذكر يعبر عنه ب «الرجل جبرائيل» (٩ : ٢١) مهما جاء في

. أنفا ، قال : هل أخبرك جبرئيل؟ قال : نعم قال : ذلك عدو اليهود من الملائكة ، قال : ثم قرأ هذه الآية ...  
وفي الدر المنثور ١ : ٨٩ . أخرج الطيالسي والفرياني واحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم  
والطبراني وابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال : حضرت عصابة اليهود نبي الله (صلى الله عليه  
 وآله وسلم) فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي ، قال : سلوني عما شئتم  
 ولكن اجعلوا الى ذمة الله وما أخذ يعقوب على نبيه لئن انا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتبعني ، قالوا : فذلك لك ،  
 قالوا اربع خلال نسألك عنها ، أخبرنا اي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة ، وأخبرنا كيف  
 ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر ، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة ،  
 فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتتبعني فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق ، قال : فانشدكم بالذي انزل التوراة  
 هل تعلمون ان إسرائيل مرض مرضا طال سقمه فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب اليه  
 وأحب الطعام اليه كان أحب الطعام اليه لحمان الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال :  
 اشهدوا ، قال : أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون ان ماء الرجل ابيض غليظ وان ماء المرأة اصفر رقيق  
 فأيهما على كان له الولد والشبه بإذن الله ، ان علا ماء الرجل كان ذكرا بإذن الله وان علا ماء المرأة كان أنثى  
 بإذن الله؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد قال فانشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان النبي  
 الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد عليهم ، قالوا أنت الآن فحدثنا من وليك ...

في «لوقا» : وقال إن جبرائيل الواقف قدام الله (١٩) و «أرسل جبرائيل الملاك من الله...» (٢٦).

ولقد ذكر في القرآن بهذا الاسم مرات ثلاث ، هنا وفي الآية التالية لها وفي التحريم (٤) : ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلٌ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

وهو مذكور مرات عدة في الذكر الحكيم باسم «الروح القدس . الروح الأمين . الروح من أمره» ولاسمة عليه السلام صيغ سبع : جبريل . جبريل . جبرئيل . جبرائيل . جبرائيل . جبرين (١) ، والأصح هو صيغة القرآن المتواترة «جبريل» المعربة عن الأصل العبراني «جبرائيل» وكأنها مركبة من «جابر . ايل».

وجابر : العبرانية : . بمعنى : «قدر . اقتدر . اشتد . تجبر . زاد . ساد . تقوى . تغلب . تفوق . أخضع» كما و «ايل» هو الله ، إذا ف «جبريل» هو قدرة الله وقدره واشتداده وتجبره وزيادته وسيادته وتغلبه وتفوقه وإخضاعه ، وكل هذه المعاني تناسب ساحة جبريل فانه مظهر لهذه الأسماء الحسنى الربانية تكوينا وتشريعا ، فإنه وسيط الوحي إلى رجالات الوحي ، ومن وسطاء التكوين ، وقد يصح تفسيره ب «عبد الله» (٢) ولأن العبودية الخاصة الخالصة لله تجعل العبد وسيطا بين الله وخلقته.

(١) الأولى هي القراءة المتواترة في كتب القرآن وهي قراءة سائر القراء والثانية : ابن كثير والثالثة : حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ، ثم الصيغ الأربع الأخرى هي لغات فيها.

(٢) الدر المنثور ١ : ٩١ . اخرج الديلمي عن أبي أمامة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم إسرئيل عبد الرحمن ، وكل شيء راجع الى «إيل» فهو معبد لله.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ لأنه نزل على قلبك ما نزل ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ دون هواه ام هوى سواه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في أصل الوحي كسلسلة موصولة بين رسل الله ، وفي البشارات المحمدية ، ثم ﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرِ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذه الرسالة السامية ، إذا فلما ذا يعادى؟ لكنّه إسرائيل!.

«ويحك أجهلت أمر الله ، وما ذنب جبريل أن أطاع الله فيما يريد منكم ، أرايتم ملك الموت أهو عدوكم وقد وكله بقبض أرواح الخلق...»<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ١ : ١٠٣ في الاحتجاج قال ابو محمد الحسن العسكري (عليهما السلام) : قال جابر بن عبد الله سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن سوريا غلام أعور يهودي ، تزعم اليهود انه أعلم بكتاب الله وعلوم أنبياءه ، عن مسائل كثيرة تعنته فيها فأجابه عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لم يجد الى إنكار شيء منه سبيلا فقال له يا محمد! من يأتيك بهذه الأخبار عن الله تعالى؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : جبريل ، فقال : لو كان غيره يأتيك بما لآمنت بك ، ولكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة ، فلو كان ميكائيل او غيره سوى جبرئيل يأتيك بما لآمنت بك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ولم اتخذتم جبرئيل عدوا؟ قال : لأنه ينزل بالبلاء او الشدة على بني إسرائيل ، ودفع دانيال عن قتل بخت نصر حتى قوي أمره وأهلك بني إسرائيل ، وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل ، وميكائيل يأتينا بالرحمة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويحك أجهلت امر الله ... أرايتم الآباء والأمهات إذا وجروا الأولاد الكريه لمصلحتهم يجب أن يتخذهم أولادهم اعداء من اجل ذلك؟ لا! ولكنكم بالله جاهلون ، وعن حكمته غافلون ، أشهد ان جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان ، وله مطيعان ، وانه لا يعادي أحدهما إلا من عادى الآخر ، وانه من زعم انه يجب أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب ، وكذلك محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) أخوان كما ان جبرئيل وميكائيل اخوان ، فمن أحبهما فهو من اولياء الله ، ومن أبغضهما فهو من اعداء الله ، ومن أبغض أحدهما وزعم انه يحب الآخر فقد كذب وهما منه بريهان والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه برآء.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨ .

فان عداء ملائكة الله ورسله وجبريل وميكال وأصراهم عداء لله وذلك كفر بالله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

إن الرسالة الملائكية والبشرية هي سلسلة موصولة بين الله وخلقته تكويننا وتشريعنا ، فالكافر بعقد واحد من هذه السلسلة كافر بما كلّها ، والكافر بما كافر بالله ، وإذا كان كفر العداء لله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

و «ميكال» معرب «ميكائيل» : من هو كمثل الله؟ استفهام إنكار على من يشبهه بالله ، وما أحلاه اسما لملك من ملائكة الله يحمل جانبا عظيما من توحيد الله! .

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ٩٩ .

آيات بينات الدلالة على أنها ربانية ، وبيانات المدلول كما يناسب الفطرة والعقل والحاجية السلمية الإنسانية ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ كفرا وكفرانا (١) في أي حقل من بيناتها ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن قشر الإنسانية ولبّها ، والمتخلفون عن عقليتها وفطرتها ومصليحتها .

و «الفاسيقون» بتعريفها كأنها تعني المعروفين بالفسق بين الأمم الكتابية وسواها ، المتعرق فيهم الفسوق فإنهم «إسرائيل»! .

﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٠ .

(١) طالما الباء في الكفر تعدية وفي الكفران سببية او مصاحبة ، ان يكفر كفران بسبب الآيات او مصاحبتها .

«عهدا» مع الله كما عاهد عليهم الله ام عاهدوه ، ام «عهدا» مع عباد الله ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ من قلة او ثلة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالعهد والمعهود له ، ومن العهد الرباني الايمان بالرسول الأُمِّي :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠١ .

هنا ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ المنبوذ ليس هو القرآن فحسب ، بل والتوراة وسائر كتابات الوحي ايضا ، حيث البشارات المحمدية فيها ترى بشأن القرآن ورسوله ، فنبد القرآن نبذ لما بين يديه من كتاب ، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ وهم الفرقة المتعصبة المحرّفة ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه رسول من عند الله وكتابه كتاب الله ، وهما معروفان لديهم وضح النهار في جل كتابات الرسالات أم كلّها.

ثم فريق ثان هم الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانى «نبدّه» وهم لا يعلمون جهل التقليد المقصر ، ثم فريق ثالث هم القلة القليلة منهم صدقوه وآمنوا به وهم يعلمون فيعلمون.

و ﴿فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هنا تعريض عليهم ، أحم على معرفتهم بوحى الكتاب وبشاراته بهذه الرسالة الأخيرة ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ . ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ !

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُٰ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَٰ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكِينَٰ بِبَابِلَٰ هَارُوتَٰ وَمَارُوتَٰ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٢

إنها من أطول الآيات البيّنات بعد آية التداين ، يتيمة في مضمونها ككلّ ، لا نظيرة لها في القرآن كله ، حاملة حملة عنيفة على إتبّاعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من الكفر وتعليم السحر وما انزل على الملكين ، فما هي مادة هذه التلاوة الكافرة الساحرة؟ وكيف أنزل السحر على الملكين؟ وكيف يفرّق به بين المرء وزوجه بإذن الله؟! وهل السحر هو فسق عملي ، وانه كفر بالله؟ فالساحر . أيّا كان . كافر؟! .

هؤلاء الحماقى الأنكاد ، النايدون كتاب الله وراء ظهورهم وهم يعلمون ، هم أولاء اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وقد تلت على ملكه كفرا وسحرا ، فما هي هنا «تتلوا على»؟ أهى القراءة؟ وصيغتها الصريحة «تقرء»! ام هي الإتبّاع؟ وصيغتها الصالحة : «تتلوا ملك سليمان» كما ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾! ام هي الكذب على؟ ولفظها الصحيح : «تكذيب على»! قد تعني «تتلوا على» مثلث التلاوة ، قراءة على ملكه من شيطانات ، تجعل ملكه أمام السامعين ملك الشياطين ، واتباعا على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ بعضهم البعض ضد ملكه ، وكذبا على ملك سليمان (١) .

وقد تلوا على ملك سليمان ذلك الثالوث المنحوس ، نسبة له الى الكفر السلطوي الشركي كما نجده حرفا بحرف في العهد العتيق ، كما تلوا على ملكه السحر لعله ينقضه ، وكأن ملكه كان بسحر ، وكذبوا على ملكه أكاذيب يتبرأ عنها شلائطة الناس فضلا عن نبي كسليمان عليه السلام .

واليكم طرفا مما تلوه على ملكه ودسّ في كتابات منسوبة الى أنبياء بني إسرائيل ، فشيطنة الوحي هذه خليطة بربانية الوحي التوراتية :

(١) فان «تلى على» تعني قرء ، ام كذب اعتبارا ان «على» للضرر ، وكذلك اتبع على ، حين تعني «على» الضرر لا التعدية حتى تختص بالقراءة .

نموذج عارم عن الدس والتجديف في التوراة ضد سليمان :

«... أصبح سليمان في سلطانه مثيرا للغاية فأخذ في السرف والترف والتعيش الممنوع أكيدا في (تث ١٧ : ١٦ - ١٧) ولقد هدده الله ووبخه في رؤياه الثانية ، فرغم أن يتعظ استكبر وتساهل في أمر ربه ونسي ربه» (١ ملوك ١ - ٩ و ٢ - أيام ٧ : ١١ - ٢٢) «أخذ يعاشر ويعاشق النساء الغريبات اللاتي منع الله من عشرتهن فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم وثلاثمائة منقطعا ، فاجتذب وأملن قلبه عن ربه إلى أنفسهم وهو على كهولته وشيخوخته نحى نحوهن وحذى حذوهن لحد بني لكل واحدة منهن مذبحا للأوثان على الأتلال» (١ ملوك ١١ : ٨ وسخنيا : ١٣ : ٢٦) «ولذلك غضب الله عليه وفرق ملكه من بعد جزاء كفره وفسوقه!..»

و «كثرة النساء محرمة على الملوك كما في التوراة (تث ١٧ : ١٧) وكذلك نكاح الوثنيات (خروج ٣٤ : ١٦ وتث ٧ : ٣ و ٤) فضلا عن الانحراف في ميولهن الشركية أن يبني على الأتلال معابد الأوثان!..»

«وهكذا انحرف في سلطانه وقدرته عن العدل والنسبة لرعيته حيث أجبرهم على خدمته وظلمهم في الخراجات الثقيلة المخرجة ، لحد اضطر المظلومون المحطمون أن يتظلموا إليه جهارا في جلوس يربعام» (١ ملوك ١٢ : ٣ - ٢٠) مقابل مع (اصموييل ٨ : ١٠ - ١٨) هذه ولها نظائر يستحي القلم عن سطرها ك «إن داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا» (متى ١ : ٦) وهي امرأة ذات بعل ، فقد جمع سليمان العهدين بين كل كفر عقائدي وعملي ، وهو معذلك نبي ملك! و «هو الذي بنى البيت المقدس فاتخذه الله ابنا له» (ايام ٢٨ : ٦ - ٧) وأمر ناتان النبي أن يدعوه : يديديا . اي : محبوب الرب (صموئيل ١٢ : ٢٥) وانتصبه الله خليفة أبيه داود قبل ولادته (١ - أيام

٢٢ : ٩ - ١٠) فأصبح ملكا نبيا في العشرين من عمره (١ ملوك ٢ : ١٢ و ٣ : ٧ و ٢ . أيام : ١) . وتجلّى له ربّه في رؤياه قائلا : سل ما شئت فسأله الحكمة فوهبها وزيادة هي الملك والسلطان (١ ملوك ٣ : ٤ - ٥ و ٢ . أيام ١ : ١٣ . مقابل مع : أمثال . ١١ - ١٦ ومتى ٦ : ٣٣)!! ...

هذه الشطحات الزور والشيطانات الغرور هي مما ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾.

ثم القرآن يصفه بأجمل الأوصاف في سلطته الزمنية ، والروحية الرسالية كما في الأنعام والأنبياء والنمل وص وسواها ، مما يقل مثيله في المرسلين الملوك والملوك من المرسلين! (١) . وهنا ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ حالا من الشياطين ، تعني أنهم حال كفرهم . بما تلو على ملك سليمان . يعلمون الناس السحر ، فهو من قضايا الكفر ، ولقد كان مما تلوه على ملكه أنه إنما ملك ما ملك بالسحر ، فلنملك نحن او نملك بالسحر ، نكرانا لاصطفاء الله له في هذه السلطة الزمنية الى الروحية الرسالية! إذا فتعليم السحر وتعلمه كفر او على هامشه ، وأما ﴿مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ...﴾؟.

لا شك أنه أنزل على هذين الملكين السحر ، ولكنه أنزل عليهما ما أنزل إبطالا لسحر الشياطين وليس تعليما للإفساد ، فكما أن تعليم الآية المعجزة لموسى إبطالا لسحر السحرة واجب رسالي ، فلتكن معرفة المعجزة واستعمالها إبطالا للسحر واجبا أم راجحا إيمانيا ، وكما القرآن . بأحرى . يبطل اي سحر!

ف «ما» في «ما أنزل» و ﴿مَا يُعَلِّمَانِ﴾ قد تكون نافية تعني : ما أنزل

(١) راجع كتابنا «عقائدنا» في مقارنة سليمان القرآن والعهدين ٤٢٧ - ٤٤١ .

سحر الشياطين على الملكين وانما انزل عليهما مبطل السحر مهما كان سحرا ولكنه من نوع آخر يبطل الأول ، فهو . إذا . أقوى من الأول ، ثم و ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ إبطاله ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ امتحانا لكم وابتلاء ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعماله في الباطل ، وانما في حق الإبطال لباطل سحر الشياطين ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ...﴾ .

وكون «ما» الأولى موصولة لا يرجع إلى معنى صالح ، اللهم إلا بحذف الواو عن ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ فالمعنى : والسحر الذي أنزل على الملكين ما يعلمان به من أحد ... فإنه ليس إلا إبطالا للسحر .

ذلك ، وأبعد منه عن المسرح كون «ما» فيها موصولة ، أو الأولى نافية والثانية موصولة ، مهما دخلت هذه الثلاث في حساب المليون ومأتين وستين ألف احتمالا بضرب كل الاحتمالات في كل من مقاطع الآية بعضها في البعض ، حيث الاكثرية الساحقة لا تناسب أدب اللفظ أم المعنى أم كليهما .

ثم هاروت وماروت وهما ملكان ، كانا يظهران . بأمر الله . بهيئة الإنسان ببابل فيعلمون الناس المبتلين بسحر الشياطين سحرا أقوى منه يبطله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ سحرهما النازل عليهما إلا بحجة رادعة قارعة : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ولكنهم كانوا يبدلون الحسن سوء والخير شرا ككل من يستعملون نعمة الله في نقمة حيث يبدلوها نعمة ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ف «يفرقون به . دون . يفرق به» تلمح أن ذلك السحر كان لإبطال التفرق ، وكما يأتي منه التفریق أيضا حسب مختلف استعمالاته ، كما اللسان القادر على الإفصاح قد يوفق بين المتخاصمين وأخرى يفرق بين المتحابين<sup>(١)</sup> .

(١) نور الثقلين ١ : ١١٤ في الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل له : فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال : من حيث عرف الأطباء الطب ، بعضه .

هؤلاء الأنكاد كانوا يستعملون آلة الخير في الضر بالناس ، ويخيّل إليهم أنهم هم الضارون به بعيدا عن إذن الله ، حال أنهم . كضابطة عامة في كل ضر وشر أم خير . ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .

أترى الله يأذن بتأثير الضر تكويننا ما لم يسمح به تشريعا وهو تناقض؟ هنا الضر بإذن الله ليس إلا بعد تكملة الإختيار من اصحاب الضر والشر ، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين ، وكما لا جبر في فعل الخير او تركه ، كذلك لا جبر في فعل الشر او تركه ، وهكذا التفويض ، فأمر بين أمرين في هذين الأمرين ، أن المقدمات لكل فعل اختياريّ ، منها اختيارية يختارها الفاعل ، ثم الإذن التكويني الخاص بالله . قضية توحيد الأفعال . هو الذي يبرز عملية الإختيار إلى الوجود ، فقد يأذن الله بتحقيق محاولات الشر ، إذ لولاه لكان الشرير مسيرًا في ترك الشر ، كما في كل شرير واصل إلى شره ، وهذه ضابطة عامة تحلّق على الخيرات والشرور .

وقد لا يأذن . لأمر طارئة ، حكمة من الله ، أم لصالح فيمن يؤمن عن الشر ، أم هما كما لم يأذن الله للنار أن تحرق ابراهيم ، وهو يأذن لها ان تحرق كضابطة عامة سارية المفعول عند الشرائط الخلقية .

إذا ف «لا مؤثر في الوجود إلا الله» ولكن دون جبر أو تفويض في الأمور

. تجربة وبعضه علاج ، قال : فما تقول في الملكين هاروت وماروت ، وما يقول الناس بأنهما يعلمان السحر؟ قال : اتحما موضع ابتلاء وموقف فتنة بتشبيحهما اليوم لو كان فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا اصناف السحر ، فيعلمون منهما ما يخرج عنهما فيقولان لهم : انما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم ، قال : أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب او الحمار او غير ذلك؟ قال : هو أعجز من ذلك وأضعف من ان يغير خلق الله ، ان من أبطل ما ركبه الله وصوره فهو شريك الله في خلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

الاختيارية ، فانما الفعل يصبح اختياريا للفاعل ، او الترك للتارك ، إذا كانت بعض مقدماته اختيارية ، مهما كان الإختيار درجات او دركات في الخيرات والشور ، حسب عديد المقدمات كثرة وقلة ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ من الشياطين ، فإنهم يعلمون الناس السحر ضراً ، أم من الملكين ، مهما علموهم ما ينفعهم إبطالا لضر السحر وشره ، ولكنهم بسوء اختيارهم يستعملونه في الشر بدلا عن إبطاله .

والسحر هو كسائر العوامل الخفية . الطبيعية . عن جلّ الناس ، يؤثر أثره حين يأذن به الله ، والعلوم الباحثة عن خفيات التأثيرات الغريبة متشجرة . وهي في نفس الوقت متشجرة . واعرف ما تداول منها : السيمياء . الليمياء . الهيمياء . الريمياء . والكيمياء<sup>(١)</sup> ، وهي مشتركة في كونها من السحر ، مختلفة في

---

(١) فالسيمياء هو العلم الباحث عن تمزيج القوى الارادية بقوى مادية خاصة للحصول على غرائب التصرفات في الأمور الطبيعية ، كالتصرف في الخيال المسمى بسحر العيون وهو من ابرز مصاديق السحر ، والليمياء هو الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالارواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغيرها بتسخيرها او باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم ويسمى بفن التسخيرات .

والهيمياء هو الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات ، فان للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما ان العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك ، فلو ركبنا الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلا مع الصور المادية المناسبة انتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم .

والريمياء هو الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبة ، وهذه الاربعة مع الكيمياء . الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها الى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية ... .

أسبابها وتأثيراتها وأبعادها في النفوس وواقع الحياة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ السحر من الشياطين الضارّين به ، أو الناس المشتريين إياه منهم ، أم هما معا ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ونصيب ﴿وَلَيْتَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ إذ شروها بيعا بثمان السحر الضار ، فأبقوا نفوسهم بتعلم السحر والإضرار به ، واستحقوا العقاب ، ويكأثم رضوا بالسحر ثمنا لنفوسهم ، إذ عرّضوها بعمله للهلاك ، وأبقوها لدائم العقاب ، وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان وأدون الأعراض.

أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفروا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلوها ويئس

القرار!

هذا ما يتسابق الى الفهم من مغزى الآية بصورة تجريدية صالحة لفظية ومعنوية ، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه إلى أحسن الوجوه.

ف «الشيطان» هنا تعم شياطين الجن والإنس ، ومن الآخرين هؤلاء العلماء السوء الذين دسّوا في كتابات الوحي ما يمس من كرامة الساحة الرسالية لسليمان وأضرابه من المرسلين.

فقد كفر شياطين الجن إذ ألقوا إليهم ما ألقوا ، وكفر هؤلاء التلاميذ إذ دسوا في كتب

الوحي ما دسوا.

(تفسير الميزان نقلا عن الشيخ بهاء الدين العاملي) ثم يستمر قائلا : ومن العلوم الملحقة بما مر علم الاعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد او الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة او مربعة او غير ذلك على ترتيب مخصوص ، ومنها الخافية وهو تكسير حروف المطلوب او ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة او الشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب ، ومنها التنويم المغناطيسي وإحضار الأرواح وهما كما مر من تأثير الارادة والتعرف في الخيال واشتهار أمرها يغني عن الإشارة إليها هاهنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر او الكهانة.

وما قصة نازل السحر على الملكين إلا بلية صالحة لغربة الناس ، ليظهر ناسهم عن سناسهم ، فيعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس ، كيف هم يدلون نعمة الله كفرا ، ويستغلونها في الضر والشر؟. كما و ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...﴾ (٢ : ٢٤٩) وإلى سائر الابتلاءات والفتن الربانية.

ولقد كثرت رواة هذه القصة وقلت رعاتها ، اهتماما بأية رواية ، وتغافلا عن أية رعاية ، ولا يصدّق منها إلا ما صدقه كتاب الله ، ام . ولأقل تقدير . لم يكذبه ولم يأت برهان لتكذيبه ، فقد يحتمل إذا صدقه.

هذه القصة وأضرابها مما تمتّ بصلّة إلى إسرائيل هي مسرح الأكاذيب والمختلقات الزور الغرور ، التي يدسها بين أحاديثنا الغرور ، ولا أصل لنا أصيلا نصدر منه ونرجع إليه إلا القرآن العظيم.

وكثير من هذه الأحاديث . كغيرها . الواردة في مطاعن الأنبياء وعثراتهم ، هي مما دسسته اليهود في أحاديثنا ، كما وأعانهم عليها قوم آخرون من المسيحيين ومنافقي المسلمين ، وجهالهم البسطاء!.

والقرآن يفصح عما دسوا وأخفوا ، ويفضح ما صفوا فيه ودفوا ، فانه مهيمن على ما بين يديه.

إنهم كفروا بذريعة الايمان والأمان ، وطغوا فيها بديلا عن التقى :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٣ .

«لو» الأولى تحيل إيمانهم وتقواهم ، كما الثانية تحيل علمهم بمثوبة الله ، وهما

استحالتان بالاختيار : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
 (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ  
 وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ  
 بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا  
 رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)  
 وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ  
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)  
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ ١٠٤ .

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ  
وَرَاعِنَا لِيَّا بِاللُّسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤ : ٤٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صيغة سائفة في القرآن لقبيل الايمان ، يختص بها المؤمنون بهذه  
الرسالة الأخيرة ، وهذه هي المرة الاولى في القرآن حسب التأليف . دون التنزيل . ونجدها في  
القرآن زهاء خمسة وثمانين مرة .

ثم الأمم الأخرى حسب التعبير القرآني هم بين : قوم . اصحاب . بني ... ناس .  
وأضرابها ، مما يبرز شرف هذه الأمة الاخيرة على ما قبلها ، ولأن ايمانها أشرف ايمان بين  
مؤمني الأمم بأسرها .

«راعنا» في لغة المسلمين لا تعني إلا : أنظرنا رعاية لحالنا ، وهي . ليا باللسان . في لغة  
إسرائيل : سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع أمّا شابه نقيضا لإسلاميتها ، واليهود المتعودون  
على تحريف الكلم من بعد مواضعه كانوا يستعملون هذه الصيغة السائفة لقبيل الايمان ،  
كصيغة لقبيل الكفر ، متظاهرين أنّها كأول ، مستهزئين بالرسول (صلى الله عليه وآله  
وسلم) والمؤمنين ، فنهى الله المسلمين أن يقولوها ابتعادا عن ذريعة إسرائيلية الى بغية لثيمة ،  
وكذلك عما تعطيه «راعنا» من هيّن المعنى وهو إدارته الحفظ مع تولي الأمر ، وليس هي  
على الرسول (ص) وإنما عليه البلاغ ثم النظر الى المبلغ إليهم كيف يعلمون؟ .

إذا ففي «راعنا» ذريعة إسرائيلية لعينة ، ومزرعة اسلامية مهينة ، ولكن

«أنظرنا» نظرا رساليا كشهيد على المرسل إليهم ، ذلك تعبير نظيف حفيف .  
﴿قُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ سمعا لمقالات الرسالة ، وتطلبا من الرسول أن ينظر إليهم نظر  
الرقابة هل عملوا بما سمعوا ، ام هل وعوا ما سمعوا ، ليطابق الوعي البلاغ ، ويوافق العمل ما  
بَلَّغ ، تكميلا لنقص الوعي ، وتقويما في التطبيق .  
فهذا هو المطلوب من الرسول بعد البلاغ ، دون الرعاية لأحوالهم وكأنه هو الشارع ،  
فليخفف عنهم في شرعته ، ففي تركهم قول «راعنا» سدّ على ثغرة إسرائيلية ، وآخر على  
مجهلة إسلامية .

ثم «راعنا» عربيا مفاعلة من الرعاية ، طلبا لها ، فقد يعني ليّها بألسنتهم ليّ التعبير ك  
«راعنا» يعنون بها أن الرسول ما هو إلا راعي الإبل فينا دون رسالة او ميّزة أخرى؟ .  
ام «راعنا» من الرعونة بحذف أداة النداء «يا راعنا» مدللا فيما تدعيه من الرسالة؟ .  
ام ليّ المعنى إيهاما بها للمساوات ك : ارعنا سمعك لنرعيك أسمعنا؟ .  
أم ليّا فيهما ، ففي التعبير ليّ يحرف «راعنا» عن عربيته مثل «رعنا» : حمقا ، ثم  
المعنى كخليفة له : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ كما في آيتها الأخرى تفسيرا لها؟ ولا  
نجده في ليّ عربي إذ لم يكن يعني إلا الرعونة وراعي الإبل واين هما من مثلث المعنى هنا؟ .  
وعلّهم كانوا يجمعون بين اللين ، جمعا للمعنيين اللئيمين ، والقرآن يكتفي في آيته  
الثانية بالثاني .

وقد بدل الله هنا «عصينا» ب «أطعنا» . ثم ﴿وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾

ب «اسمع» و «راعنا» ب «انظرنا» إصلاحاً شاملاً كاملاً يسد الى ثغرة إسرائيلية : ﴿طَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ ثغرة إسلامية : جهلاً في الدين ، وقد يناسب ﴿طَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ تفسيراً ل «راعنا» في ليها ، بأنها من الرعن ، وهي في العبرانية : الحمق ، أن كانوا يقولون «راعنا» اي : حمقا ، وحمق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . وعوداً بالله . طعن في الدين عن بكرته ، فان الشرط الأوّل للرسالة هي العقلية البارعة للرسول ، وقد يروى عن الامام الباقر (ع) «هذه الكلمة سبّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون» (١) «يقولون راعنا يريدون شتمه» (٢).

والحق ان «راعنا» هو الأنسب ليا خفياً فيه لفظياً ، ثم طعنا في الدين معنوياً ، مهما ليوا إلى جانبه سائر اللي.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ١٠٥ .

(١). نور الثقلين ١ : ١١٥ عن المجمع.

(٢) تفسير البرهان عن الامام العسكري (عليه السلام) قال موسى بن جعفر (عليه السلام) وكانت هذه اللفظة «راعنا» من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقولون «راعنا» اي : اراع أحوالنا واسمع منا كما نسمع منك ، وكان في لغة اليهود معناه : اسمع لا سمعت . فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها قالوا : كنا نشتم محمداً إلى الآن سرا فتعالوا الآن نشتمه جهراً فكانوا يخاطبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقولون راعنا يريدون شتمه ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا اعداء الله عليكم لعنه الله أراكم تريدون سب رسول الله توهمون انكم تجرون في مخاطبته مجرانا والله لا أسمعها من أحد منكم إلا ضربت عنقه ، ولولا اني اكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ... لضربت عنق من قد سمعته منكم ... فأنزل الله يا محمد ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ...﴾ وانزل ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ...﴾ فانها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود الى سب رسول الله وشتمكم ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ اي : قولوا بهذه اللفظة لا بلفظة «راعنا» .

التسوية بين قبيلي الكفر في «ما يودّ» تنديدة شديدة بكفار أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بهذه الرسالة السامية ، ف «ما يودّ» فيهم ، لها صبغة عنصرية إسرائيلية و «ما يودّ» في المشركين ، لها صبغة الجهالة الفاحلة ، المستبعدة في الأصل أن ينزل الوحي على بشر ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ دون حبس لها وقصر على أهواء أولاء وهؤلاء ، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ دون ما يزعمونه من فضل محدّد محدود ، أم فضل عميم لا يختص بأحد ، وجوابا عن نسخ آية رسالية أو إنساءها :

﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ .

وهذه . في وجه . نظرية آية النحل ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) .

وقد تعني آية البقرة من «آية» ما هي أعم من آية النحل ، من آية تحمل حكما أو أحكاما ، إلى آية الرسالة في أصلها ، وآية : الرسول ، فهي . إذا . مثلت الآية دون اختصاص ببعضها ، والأنسب للمقام هما الأخيران ، إلا أن يعنى من آية الحكم كل كتاب الوحي : القرآن ، الناسخ لما بين يديه في أحكام .

وعلى آية حال فلا تعني ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ . فيما تعني . إنساء آية عن خاطر الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) مهما كانت منسوخة الحكم <sup>(١)</sup> ، إذ سبقتها مكية كافلة لعدم

(١) . ومن الاسرائيليات المختلقة الزور هنا ما في الدر المنثور ١ : ١٠٤ . اخرج جماعة عن ابن عباس قال : كان مما ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحي بالليل وينسأه بالنهار فانزل الله : ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ وفيه عن قتادة قال : كانت الآية تنسخ الآية وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما شاء الله من السورة ثم ترفع فينسخها الله نبيه فقال الله يقص على نبيه : ما ننسخ ...

نسيانه آية آية : ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ إقراء رباني يضمن ألا ينسى ما اقرء ، و ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ راجع إلى «سنقرئك» دون «تنسى» ، كما فصلناه في محله.

هنا يخرّ سقف المختلقات الزور من آيات يدعى أنها كانت من القرآن ثم نسخت أو أنسيت عنه وعن خاطر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . يخر سقفيهم من فوقهم وينهد صرحهم<sup>(١)</sup>.

«آية» هنا هي آية الرسالة والآية الرسول ، ام وآية تحمل حكما ، ونسخ الآية الأولى وإنساءها هو نسخ الآيات المعجزات البصرية ، حيث نسخت بآية القرآن بصيرة خالدة تمشي مع الزمن ، والقرآن الآية خير من كل آيات الرسالات صورة ومادة ومدة ، نسخت تلكم الآيات وأنستها ، وكما نجد القرآن في عشرات من آياته يتحدى الناكرين بنفسه ، ويجعله كافية عن سائر الآيات الرسالية : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ...﴾!

(١). كما في الدر المنثور ١ : ١٠٥ . اخرج جماعة عن أبي موسى الأشعري قال : كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أبي حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوفه الا التراب ، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات أولها : سبح لله ما في السماوات ، فأنسيناها غير ابني حفظت منها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فتنكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة﴾ وفي نقل آخر عن أبي موسى نفسه : قال : نزلت سورة شديدة نحو براءة في الشدة ثم رفعت وحفظت منها : ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، وفيه عن أبي واقد الليثي قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أوحى إليه أتيناها فعلمنا ما أوحى إليه ، قال : فجئتته ذات يوم فقال : ان الله يقول : انا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا لأحب أن يكون له الثاني ولو كان له الثاني لأحب ان يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب . ولقد نسب اليه فيما يروى عن بريدة انه قرء هذه الجملات في صلته كأنها آيات!؟

أقول : وحتى الطفولة في معرفة القرآن تضحك على هذه العبارات ، فأين هي في ألفاظها ومعانيها من القرآن . ان هي الا إسرائيليات تعني للقرآن ما عني لكتاباتهم المحرفة!

كما وأن الآية الرسولية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نسخت الرسل السابقين أو أنستهم ، لأنه جمع كل فضائل الرسل والرسالات وزيادات ، لحدّهم يعتبرون تقدمات لمجيء هذا الرسول (ص) ، كما يعتبر وحيهم الرسالي بجنب وحيه وصية.

ثم الآيات الأحكامية الناسخة في القرآن . وهي قلة قليلة . قد أتى الله بها خيرا من المنسوخة او مثلها في الأثر الصالح للامة الأخيرة ، وقد يجري ذلك في آيات الإمامة إلّا في الإنساء فإنهم معروفون على مدار الزمن ، وقد يصدق «بِحَيْرٍ مِنْهَا» في صاحب الأمر ، ك «مثلها» في سائر الائمة خلفا لسلف<sup>(١)</sup>.

ثم الآيات الرسالية قبل القرآن ، هي كذلك ، لا تأتي آية لا حقة منها إلّا ناسخة للسابقة او منسية ، وهي خير منها او مثلها ، والقصد من الآية الرسالية تثبيت الرسالة ، كلّ حسب مقتضيات والمصالح التي قد لا يعلمها إلّا الله ، فليست الآية الرسالية . وكما الرسولية . لتحصر في واحدة ، وتحسر عن سواها ، بل هي محلقة على كل ما هو الأصلح للرسل والمرسل إليهم ، دلالة قاطعة على رسالاتهم.

وهنا مقابلة «نسخ» ب «ننسخ» تجعل النسخ إزالة الحكم مهما بقي في العلم ، وتجعل الإنساء إزالة عن العلم كما أزيل حكمه ، ومهما عمت «من آية» مثلت الآيات ، فلا تعمها ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ فقد تنسى آية رسالية أم رسولية بين أمة لا حقة ، ولكن لا تنسى آية حكمية عن خاطر رسول ، حكما له او لمن

(١). نور الثقلين ١ : ١١٥ عن اصول الكافي علي بن محمد عن اسحق بن محمد عن شاهديه بن عبد الله الجلاب قال : كتب إلى ابو الحسن (عليه السلام) في كتاب : أردت ان تسأل عن خلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتم فان الله عز وجل لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ، ما يتقون ، وصاحبكم بعدي ابو محمد ابني وعنده ما تحتاجون اليه يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بحير منها او مثلها. قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان.

قبله ، ولا سيما محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث ﴿سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ .  
 إن مشكلة النسخ كانت مشكلة كتابية إسرائيلية ، إحالة له أحيانا ، ونكرانا له أخرى ،  
 سواء أكان نسخا لآية رسالية ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ  
 رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ (٦ : ١٢٤) .

ام آية رسولية كالرسالة الإسماعيلية الناسخة للرسالات الإسرائيلية ، فرغم البشارات  
 الحمديّة في كتبهم أنكروه لما جاءهم لأنه ليس إسرائيليّا .

ام آية او آيات أحكامية ، كما القرآن بالنسبة لما بين يديه ، والإنجيل بالنسبة للتوراة  
 في أحكام ، ولا يعني النسخ الأحكامى . وكما النسخ الرسالي والرسولي . تجهيلا لساحة الرب  
 أنه علم بعد جهل ، إنما الناسخ بيان لأمد المنسوخ ، كما الآيات المنسوخة القرآنية تلمح  
 بنفسها أنها لأمد سوف يبيّن (١) فالحكم المنسوخ ان كان محددًا بحد معلوم أم غير معلوم ،  
 كان الناسخ بيانا للمجهول في غير المعلوم حدّه ، وتوضيحا للمعلوم والحكم الآتي بعده .  
 وإن لم يكن محددًا بحدّ فهو مطلق فيه ، كان الناسخ كتقييد لإطلاقه وقتيا ، إذا فلا  
 نسخ في الشرعة . في نفسها او لشرعة اخرى . بمعنى التعارض ، بل هو . ككلّ . بيان لانتهاء  
 حكم سابق وابتداء حكم لاحق .

وفي ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ برهان قاطع لا مرد له أن الآية الثانية . أيا كانت . لا  
 تقل عن الأولى ، بل وقد تزيد ، آية رسولية ام رسالية أم أحكامية ، فلا يصح القول بتقديم  
 الأقدم من أولى العزم وتفضيله على لاحقة ، فإمّا هما

(١) . فمثل قوله تعالى : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ  
 يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ والسبيل هنا هي التي تحملها آية النور : ﴿الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ  
 جَلْدَةٍ﴾ .

على سواء ، ام اللاحق خير من سابقه كما يصدق تماما في خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم).

و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ تعم مثلث الرسالة وحيثها وحيثيتها مادة ومدة ،  
عدّة وعدّة.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مثلث الآيات رسالية ورسولية وأحكامية

:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

.١٠٧

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ فيهما لا تخص بخطاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم إلا من باب إياك أعنى واسمعي يا جاره ، بل هو كلّ من يأهل لذلك الخطاب العتاب ، المعترض على نسخ آية أو إنسائها ، او المتلبّك فيه.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ

فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ١٠٨.

هذه تؤيد أن «من آية» في آية النسخ تعني . كأصل . آيتي الرسالية والرسولية ، إذ كانوا يستبعدون نسخها إلى شاكلة أخرى غير السابقة المتعوّد عليها في الرسالات ، كما و «أم» اضراب عما سبق من تساءل جوابه آية النسخ ، إذ تعنتوا متثاقلين متسائلين في هذه الآية الرسالية والرسولية.

و ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ هو مثل سؤال الرؤية : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ

تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ (٤)

: (١٥٣) : «وقالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ وكما برزت هذه الإرادة السيئة

في أسئلة جاهلة قاحلة من المشركين :

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾  
(١٧ : ٩٢) (١).

ولان ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ تشمل أهل الكتاب والمشركين ، فالسؤال . إذا . يعمهما كما الأول للأولين والآخر للآخرين (٢).

ولقد آل أمر التسائل التجاهل لحد سألوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط ، وهي شجرة كان المشركون يعبدونها ويعلقون عليها التمر ، وكما سأل بنو إسرائيل موسى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إلهًا كَمَا هُمْ آلِهَةٌ﴾ كما وتطلبوا منه (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا يكسر اللآت . مهما كسر سائر الأصنام . حتى يؤمنوا!

وترى الخطاب في ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ تشمل . فيما شملت . المسلمين؟ اللهم نعم ، قضية الإطلاق ، ولكنه . فقط . لحد إرادة السؤال دون واقعة ، ثم اللهم لا ، في واقع السؤال ، حيث الايمان لا يلائم هكذا سؤال ، اللهم إلا من المنافقين ، وكما في أضراهم من الكتابيين . ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ﴾ يقبل الكفر بدلا «بالايمان» في مسرح التبادل بين الكفر والايمن ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ تجارة خاسرة ، حاسرة عن أية عائدة.

(١). الدر المنثور ١ : ١٠٧ عن ابن عباس قال قال رافع بن حرملة ووهب بن زيد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه او فجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله في ذلك ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾...

(٢) تفسير البرهان ١ : ١٤١ قال الامام العسكري (عليه السلام) قال علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) «أَمْ تُرِيدُونَ» بل تريدون يا كفار قريش واليهود «ان تسألوا رسولكم» ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون فيه صلاحكم او فسادكم «كما سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ» واقترح عليه لما قيل له «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...».

هؤلاء يتبدلون الكفر بالايمن لأنفسهم ويودون آمليين نفس القصة للمؤمنين :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
١٠٩.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

إعلان صارخ عن كيد لئيم يكيده كثير من اهل الكتاب جموع المؤمنين ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ...﴾ تمنيا باطلا قاحلا في ودّهم المضلل «يردونكم كفارا» ولماذا؟ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لا جهلا بحقكم ، وإنما مجال الحسد منقبة لا ينالها الحاسد ام لا يريد نيلها ولكنه يراها منقبة ، وذلك ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ و «هم» يعمهم وأهل الحق ، ويا للعجب أن هؤلاء الحماقى في الطغاة يودون لو يردونهم كفارا ، والحق مبين لهم وللمؤمنين ، فقد ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ ويودون أن يتحول المؤمنون أمثالهم ، شيطنة مدروسة مدسوسة بين قبيل المؤمنين من هؤلاء الشياطين ، فما دائهم . إذا . وما دوائهم؟ فهل يحاربهم قبيل الايمان ، ذودا عن أنفس مؤمنة بسيطة سريعة التأثير بالدعايات المضادة؟ ام عفوا وصفحوا في العجالة حتى يأتي الله بأمره؟! . :

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكيف يعنى عن تلکم الدعاية المضللة الخطرة ، أم كيف يصفح عن الساعين في الأرض فسادا؟ ونفس العفو والصفح دليل حاضر القوة الدافعة والمحاربة! .

إنه ليس العفو عنهم والصفح إلا مصلحة وقتية ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فهو

مطلق العفو المحدد بإتيان أمره وليس العفو المطلق مهما بلغ أمر الكيد والإفساد منهم. ولقد دافع الله عنهم سوء هذه الدعاية اللثيمة والشكيمة. فيما دافع<sup>(١)</sup>. بما أخبر رسوله والمؤمنين بكيدهم هذا ، فلا تجب قتالهم كدفاع عن إفساد العقيدة ، فانما أمر بالعفو والصفح لمصلحة ربانية ، علّ منها أن يعلم اهل الكتاب بفضحهم في كيدهم ، والمسلمون على قوتهم وعلمهم بذلك الكيد اللعين أمروا بالعفو والصفح ، علّهم يجيدون عما يكيدون آتئين الى رهم ، ثم بعد ربح يومر بقتالهم حيث الإياس عن نبهتهم : و ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ منه امر السياسة الصالحة وجاههم حين لم يرتدعوا ولم يرعوا ، ومن أمره الآتي : ﴿فَاتْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٩ : ٢٩).

وهنا الأمر بعد حدّه الزمني محدد بسلوب أربعة ، انتهاء إلى استسلامهم ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ دفعا للجزية بعد انتهاء شهرهم.

كما ومن أمره أمر هدايته لمن اهتدى بعد ضلال ، وارتدع بعد دلال ، ف

(١) التفسير الكبير للبخاري ٣ : ٢٣٦ روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا الحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : ألم تروا ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هزتمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا ، فقال عمار : كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا : شديد ، قال : فإني عاهدت أني لا أكفر بمحمد ما عشت ، فقالت اليهود : أما هذا فقد صبأ ، وقال حذيفة : واما انا فقد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبله وبالمؤمنين إخوانا ، ثم أتيا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبراه فقال أصبحتما خيرا وأفلحتما ، فنزلت هذه الآية.

«أمره» يعم التكوين والتشريع ، اللذين لم يكونا حاضرين حالا فيحضران استقبالا .  
ويا لمقابلة أسوء السوء بالحسن لعلهم يرتدعون ام يهتدون ، وليعلموا ان الله يردع  
المؤمنين عن قتالهم وهم أقوياء أمام هؤلاء الضعفاء الأغوياء ، الذين جمعوا كل شر وضرر في  
ذوات أنفسهم :

﴿وَدَّ ... لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ... حَسَدًا ... مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ...﴾! والحسد هو  
ذلك الانفعال الأسوء الأسود الرديء الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الأمة المسلمة وما  
زالت تفيض ، منبعثة منه كل دسائسهم وتدابيرهم اللثيمة في كل دوائر السوء ضد الأمة  
المرحومة ، وقد كشف القرآن لنا منها لنعرفه فنحذرهم ، وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه  
 وآله وسلم) قوله : «إن لنعم الله أعداء ، قيل وما أولئك؟ قال الذين يحسدون الناس على ما  
 آتاهم الله من فضله»<sup>(١)</sup>.

وهنا . في الوقت الذي تتجلى للمؤمنين هذه الشكيمة اليهودية . يدعو القرآن أتباعه  
إلى الارتفاع عن المقابلة بالمثل ، توجهها الى الصفح والعفو ﴿حَتَّىٰ بَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ أما لهم  
بالمضي في طريقتهم المختارة :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١١٠ .

فلا يزعزعهم ذلك الخطر الحادق عن ركني الايمان عمليا : إقام الصلاة وإيتاء الزكوة ،  
وبصورة عامة تقديم كل خير عقائدي وعملي لهذه الأنفس الطيبة المطمئنة بالله ، الناظرة لأمر  
الله : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ

(١) تفسير الفخر الرازي ٣ : ٢٣٧ .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه خافية.

فلا تعني «تجدوه». فقط. وجدان الثواب ، بل وحضور نفس الأعمال الخيرة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...﴾.

ثم إن في إقام الصلاة بشروطها صلة وثيقة بينهم وبين ربهم ، كما في إيتاء الزكوة ماديا وروحيا وثيق الصلة بينهم أنفسهم ، فلا يبقى فيهم منفذ من تشكيكات العدو وعرقلاته كما ان «من خير» تحلق على الصلتين في كافة الخيرات المأمور بها في شرعة الحق ، وفي تطبيقها ضمان اللانفوذية من الكتلة المضللة.

ومن قبيلات اهل الكتابين ، الغيالات الويلات ، التي طمأنتهم كما يزعمون فلا يجيدون عن أية خاطئة :

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١١١.

وإذا انحصرت الجنة فيهما . كما يدعيها كل لنفسه . فأنحسرت عن سواهم طول تأريخ الرسالات ، فأين . إذا . مؤمنوا الشرائع السابقة على شرعة التوراة والإنجيل؟ أفهم في النار على إيمانهم! أم لا في جنة ولا نار!.

فيا للحقد من طيش قاحل وحكم جاهل أن ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ كما يدعيه اليهود و «لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى» كما تدعيه النصارى ، فلكي يطردوا المسلمين . ككل . عن الجنة لأنهم على شرعة جديدة يطردون معهم كافة المؤمنين في كل أدوار الرسالات قبل موسى والمسيح عليها السلام.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ كلّ أمانيتهم ، على ما هم عليه من تخلفات عقائدية وعملية ، فمجرد الجنسية اليهودية او النصرانية تكفي لدخول الجنة فوضى جزاف! ولكن الإيمان والعمل الصالح في غيرها لا يكفيان لدخولها! ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ فطريا ام عقليا ام كتابيا ، ام في ايّ من الأعراف البشرية السلمية ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أمانيتكم . وترى كيف تكون ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ جمعا فضلا عن كل أمانيتهم؟ ولم تأت هنا إلا واحدة ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾!

لقد ذكرت هنا أمانيت عدة هذه أخيرتها ، ثم وهي تجمع كل أمانيتهم الساقطة فانها كخلفيّة شاملة لها كلها.

أترى القرآن هنا يعارض دعواهم بالمثل ، معاكسا تلك القولة الخاوية أن «لن يدخل الجنة إلا من كان مسلما» كجنسية اسلامية تكفيها النسبة كيفما كانت؟ كلاً! وإنما :  
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١١٢ .

«بلى» هنا تزييف ل ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ . «بلى» يدخلها غير الهود والنصارى ، وكضابطة عامة رافضة لحواجز الجنسيات والطائفيات ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ...﴾.

فانما هو إسلام الوجه لله بكل الوجوه ظاهرة وباطنة ، عقائدية وعملية ، فردية وجماعية ، «أسلم ... وهو محسن» إسلام الإحسان وإحسان الإسلام وهما الإسلام عقائديا وعمليا ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ على قدر إسلام وجهه وإحسانه ما هو مسلم محسن ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فقد يسلم مسلم وجهه لله في وجهيه وهو غير محسن ، كالعقيدة غير

الصالحة والعمل غير الصالح ، ام يحسن في وجه واحد ، عقيدة او عملا ولا يحسن في الآخر ، فهو ايضا غير محسن ، إذا ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعم احسان وجهي الباطن والظاهر لله دون اختصاص بوجه ، ام ترك الإحسان في إسلام الوجه.

فلا بد . إذا . من إحسان وجه العلم والعقيدة والنية وسائر الطوية ، إلى احسان وجه الأعمال ، المنبثقة من الوجه الأول.

«بلى» هذا هو كفيل الجنة ، دون أية جنسية او طائفية او عنصرية أو إقليمية في ذلك الإسلام ، فانما الإسلام المحسن لا سواه ، سواء أكان إسلاما في شرعة نوح وإبراهيم ، أم موسى وعيسى ، ام محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، بل وإسلام التوحيد المزيج ، أم وغير الكتابي ما دام صاحبه مسلما وكما يقول الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢ : ٦٢) وهم كلهم موحدون ، بين مسلم وهود ونصارى . وهم كتابيون . أم عوان وهم الصابئون ، ام وموحد غير كتابي كالمجوس : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...﴾ (٢٢ : ١٧) فما لم يدخل فيهم ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كان «لهم ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم إذ دخلوا فيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾!.

اجل ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٣ : ١١٥) «بلى» انما هي حكمة واحدة ثم «لا وكلا»! ﴿بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ لا للأمنيات والهوسات الجهنمية ، انما «الله» ثم ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في إسلام وجهه ، يسلمه الله كما أمر الله ، مهما كان

قاصرا دون تعمد ولا بطّال أو متبتل في شرعة الله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ حيث إن إسلام الوجه لله محسنا هو العروة الوثقى ، مصدرا لكل خيرات الإيمان مهما اختلفت مراتبها بمراتبه حسب مختلف الحالات والاستعدادات : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ (٤ : ١٢٥).

فالمسلم الذي يسلم وجهه لله محسنا ، له اجره عند ربه ، والكتابي الذي يسلم وجهه لله محسنا له اجره عند ربه ، ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤ : ١٢٣).

اجل وانها ضابطة ضابطة كل التخلفات والطاعات دونما فوضى جزاف ، ضابطة في طرفي السلب والإيجاب : ﴿تَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

هذا الحبيس بخطيئته المحيطة به ، فهو أعزل عن كل وجهة وواجهة ربانية ، إلا وجهات الهوى الهاوية ، ثم ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فأخلص ذاته وكل تعلقاته في وجهاته وواجهاته لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في إسلامه ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم بينهما عوان متوسطات ولا يظلمون نقيرا.

هذا . ثم نرى بين اليهود والنصارى أنفسهم تناحرا في الكيان وتحافتا في سند الأمان : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١١٣ .

تلك هي قالة كل من أهل الكتابين مناحرا لواقع الحق في البين ﴿لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الحق ولا حق من الجنة ، كما ﴿لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ من الحق ولا حق من الجنة <sup>(١)</sup> ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ توراة وانجيلا ، القائلان قول الحق ، وأنه الايمان والعمل الصالح ، دون طائفية قاحلة وعنصرية جاهلة «كذلك» البعيد عن ميزان الحق ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ، والمشركون الناكرون لكتاب الوحي قالوا ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ رغم الفرق الفارق بين حكم الكتاب واللاكتاب ، فهم نزلوا أنفسهم منزلة الذين لا يعلمون ، تجاهلا بحق الكتاب لأهل الكتاب ، أن ليسوا سواء مع من لا يدين بكتاب ﴿فَاللَّهُ يَخْتَلِفُ فِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أيا كان مما حكم به الكتاب وحيأ أم حرفه عن جهات أشراعه.

فحين يتقاذف اهل الكتاب فيما بينهم . وهم يتلون الكتاب . كيف يرجى من الذين لا يعلمون ألا يقذفوهم أنهم . ككل . ليسوا على شيء؟ وقد قذفوا كل أهل الكتاب . بمن فيهم المسلمون . انهم ليسوا على شيء! .

فليوحد اهل الكتاب كلمتهم على حق لهم أم حقايق ، كيلا يرفضهم المشركون بما يتقاذفون فهم سواء : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣ : ٦٤) . ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ

(١) تفسير الفخر الرازي ٤ : ٧ روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود : ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعبسى (عليه السلام) والإنجيل ، وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة.

كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥ : ٦٩﴾.

ولندرس هنا نحن المسلمين . وبأحرى من غيرنا . ألا ننحرف في منجرفات الخلافات  
العامة بين الفرق الإسلامية ، فكلّ يرمي أصحابه في الشرعة الواحدة أنهم ليسوا على شيء  
، ولقد سمعت مغفلا من إخواننا في المدينة المنورة ، يسمى عميد الجامعة الإسلامية فيها  
يقول : ان الشيعة الرفضة شر من اليهود ، كما سمعت مغفلا آخر منا في مكان آخر يقول :  
إن الفلسطينيين شر من اليهود! ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ  
أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١٤ .

نرى ﴿مَنْ أَظْلَمُ﴾ . الدالة على قمة الظلم . هنا وفي ثلاث صيغ اخرى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ  
مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (٢ : ١٤٠) . ﴿... مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٦ : ٢١) .  
﴿... مِمَّنْ كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ (٦ : ١٥٧) مما يدل على أن هذه الأربع أظلم  
الظلم على النفس والحق وعلى الآخرين ، وعلمها خاصة بالمظالم العملية لا والعقائدية .

وليس يحتص بالذين منعوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المسجد الحرام ان  
يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها . لمكان الجمع . مهما كان أصدق مصاديقه ممنوعا وهو  
الرسول وممنوعا عنه وهو المسجد الحرام ، وممنوعا منه وهو ذكر الله فيه <sup>(١)</sup> .

(١) وبمناسبة الآيات السابقة المنددة باليهود قد تعم اليهود ، فقد كانوا يمنعون المسلمين عن الصلاة الى .

﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ . وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ هما يحدّدان أظلم المنع ، الناحيان منحى الصد عن سبيل الله ، وأن يترك ذكر اسم الله ، وهم . بطبيعة الحال . المشركون والملحدون آمن نحى منحاهم في منعهم وسعيهم .

مساجد الله هي المختصة بذكر اسم الله فكيف يمنع ان يذكر فيها اسم الله؟ وانما تعمر بذكر اسم الله والدعوة فيها الى الله فكيف يسعى في خرابها في حقل الذكر؟ ولا يسعى في خرابها إلا المكذبون بالله وآياته .

فكم من ساع لعمران مساجد الله في بنائها وهو ساع في خرابها من حيث أنها مساجد الله ، ويمنع ان يذكر فيها اسم الله ، ولا فارق بينه وبين من يهدم بنائها ، حيث المعني من خرابها تهديمها من حيث انها مساجد الله ومحال ذكر اسم الله .

«أولئك» البعيدون عن الله ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ حين كانوا أذلاء صغارا ، كما ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ حين كانوا أعزة وكبارا ، فان شرعة الحق لا تسمع لهم أن يدخلوها ، وعلى اهل الحق ألا يسمحوا لهم أن يدخلوها ، إذا ف «ما كان» نهي عن ان يدخلوها على أية حال ، وقد صرح المنع بالنسبة للمشركين : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ...﴾ .

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ في شرعة الحق وميزانه ، ومنه عدم السماح لدخولهم فيها ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا أعظم منه إذ لا أظلم منهم ، وانما يقدر العذاب بقدر الظلم .

---

. المسجد الحرام بعد تحويل القبلة ، ام وسعوا في تهديم الكعبة وما استطاعوا .

كما وتعم هدم البيت المقدس بواسطة بخت النصر وسواه من الطغاة ، ام اي منع من اي مسجد او مسجد او سجدة وتهديم اي منها طول زمن التكليف على مدار الرسالات الإلهية .

وتعني ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ إضافة الى محال السجدة : المساجد . نفس السجدة وأزمنتها ، اعتبارا أن «مساجد» جمع لمثلث المسجد والمسجد ، اسم مكان وزمان ومصدرا ميميّا ، إذا فهو المنع عن عبادة الله في أصلها وفي أزمنتها وأمكنتها ، مهما اختصت ﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ بإمكانتها .

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ١١٥ .

لقد تطمئن هذه الآية المؤمنين أنهم إن منعوا عن مساجد الله ، فكل الأرض مساجد لله ، و ﴿الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ بما هما الجهتان الأصيلتان تشملمان كل الجهات ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم الى الله في مساجد وسواها ﴿فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ إذ لا يختص وجهه بالمساجد مهما كانت أفضل من سائر بقاع الأرض ، ولا يعني وجه الله هنا إلا المتوجه اليه في العبادة والدعاء ، والوجه . ككل . هو ما يواجه الشيء او يواجهه به ، وكل الكائنات مواجهة ربهم بكلّ الوجوه والوجوه التكوينية ، وهو مواجه لهم فيها ، وكذلك التشريعية لمن هو متشرع بشرعة من الله .

فليست الآية لتعني ان القبلة الخاصة ساقطة عن وجوب الاستقبال إليها في الصلوات ، بل هي . بمناسبة آية المنع عن المساجد . توسعة في أمكنة السجدة لله وقد يشهد له «أينما» دون «إلى اين» وليس فرض القبلة تضييقا لدائرة وجه الله ، إنما هو مصلحة جماعية وحدوية للجماعة المسلمة ان يوجهوا وجوههم إليها لوجه الله الذي ليس له زمان ولا مكان ، فكما أن الوجهة المعرفية والعقائدية ثم العملية للمسلمين واحدة ، فلتكن قبلتهم في صلاتهم . كذلك . واحدة ، كشعيرة ظاهرة من مشاعر الوحدة ، أم إن تولي الوجه إلى الله يعم الصلاة وسواها من وجوه الاتجاه الى الله ، وشرط القبلة خاص بالصلوات بدليل

خاص ، وهنا ايضا يسقط شرطها عند الضرورة ، فهي - إذا - ضابطة عامة لكل الاتجاهات الى الله صلاة واحدة وصلات واحدة ﴿فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ، في مساجد الله وسواها ، الى القبلة وسواها ، مهما كانت القبلة شرطا مصلحيا في قسم من الاتجاهات الى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ الاتجاهات «عليم» بالمضايقات والضرورات التي تمنعكم عن مساجده ، ام عن القبلة.

فإذا صلى لغير القبلة إذ لا يعرفها ولا يسطع ، ثم تبين له أنه صلاها الى غير القبلة أعادها ما لم يفت الوقت وكانت القبلة خلفه ولا يعيدها إذا فات او كانت بين المشرق والمغرب (١).

(١) تدل عليه صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا صليت وأنت على غير القبلة واستبان لك انك صليت وأنت على غير القبلة وأنت في وقت فأعد وان فاتك الوقت فلا تعد ، أقول : وقد خصص ذلك بما كانت القبلة على ظهره في صحاح عدة. وفي التهذيب عن محمد بن الحصين قال كتبت الى عبد صالح : الرجل يصلي في غيم في فلات من الأرض ولا يعرف القبلة فيصلح حتى فرغ من صلاته بدت له الشمس فإذا هو صلى لغير القبلة يعتد بصلاته ام يعيدها؟ فكتب يعيد ما لم يفت الوقت او لم يعلم ان الله يقول . وقوله الحق . فأينما تولوا أتم وجه الله ، وفي تفسير العياشي عن الباقر (عليه السلام) في الآية قال (عليه السلام) انزل الله هذه الآية في التطوع خاصة فأينما تولوا فتم وجه الله ان الله واسع عليهم ، وصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إيمانا على راحلته أينما توجهت به حين خرج الى الخيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره.

أقول : هذا الإطلاق يناسب التطوع كأصل كسائر الاتجاهات غير الواجب فيها الاستقبال الى القبلة وكما يناسب الفرض عند الضرورات ، وهو على آية خاص مخصوص بغير فرض الصلاة ، ام مطلق على الوجه الاول في ﴿فَأَيْنَمَا تُولُّوا...﴾.

وفي الدر المنثور ١ : ١٠٩ . اخرج البخاري والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتمار يصلي على راحلته متوجها قبل المشرق تطوعا ، وعنه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي على راحلته قبل المشرق فإذا أراد ان يصلي المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلى .

وعلى أية حال فالآية ضابطة تعم الكون كله لأمكنة الصلاة ، واتجاه المصلي فيها ، مهما خصت في خاصة الموارد بنص الكتاب او السنة ، وهي ما أمكن الاتجاه فيه الى القبلة حيث الأمر بتولي الوجوه شطر المسجد الحرام في آيته يخص المتمكن ، ثم تعم غيره ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا...﴾.

وقد تكون صلتها بالآية السابقة ان اليهود كانوا يعترضون على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين هامة تحويل القبلة من القدس الى المسجد الحرام ، وان صلاتهم . إذا . باطلة إذ لا يتجه إليهم ربحم إلا الى القبلة التي كانوا عليها ، فرد الله عليهم بما رد ، ان له تحويل القبلة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١) وطبعاً كما يأمر الله.

. وفيه عن عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً فيصلي فيه فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) مضت صلاتكم ، وفيه اخرج الدارقطني وابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة لم نعرف القبلة فقالت طائفة منا القبلة هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطأ وقال بعضهم القبلة هاهنا قبل الجنوب فصلوا وخطوا خطأ فلما أصبحوا طلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قلنا من سفرنا سألتنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسكت فأنزل الله ، والله المشرق والمغرب.

أقول : وقد استفاض الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة اهل بيته (عليهم السلام) ان «بين المشرق والمغرب قبلة» وطبعاً هذه التوسعة لمن لا يعرف القبلة ولا يستطيع ان يصلي مرات الى جهات ، او تأكد من القبلة وهو خاطئ وقد خرج الوقت.

(١) نور الثقلين ١ : ١١٨ في الاحتجاج للطبرسي قال ابو محمد (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقوم من اليهود : او ليس قد ألزمتكم في الشتاء ان تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وألزمتكم به في الصيف ان تحترزوا من الحر فبدا له في الصيف حين أمركم بخلاف ما أمركم .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَمْ يَكُن لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُفْلًا لَهُ قَانِثُونَ (١١٦)﴾  
 بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا  
 يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ  
 قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَأْذِنُ عَنْ أَصْحَابِ  
 الْجَحِيمِ (١١٩) وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ  
 الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ  
 (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى  
 الْعَالَمِينَ ﴿﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ١١٦ .

«وقالوا» كل من قالوا من مختلف صنوف المشركين واليهود والنصارى ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وظاهر الاتخاذ هنا هو التبني و «سبحانه» أن يتبنى ولماذا؟ ألقي يكون أزرا له ومعينا؟ ولا يحتاج الى أزر ولا معين! ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكية حقيقية ، فما ذا يفيدته اتخاذ ولد؟ ثم و ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : مطيعون لسلطته التكوينية وخاضعون ، فما هو دور اتخاذ الولد . لو أمكن . لرينا؟ وهو مستحيل في نفس الذات! .

﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ١١٧ .

الخلق البديع هو ما ليس له مثال يحتذى ، فكما المادة الأولية لا مثال لها قبلها ، كذلك ولائدها المتطورة من سموات والأرض ، فإنها خلقت من غير مثال ، والولد . متخذ او حقيقيا . له مثال على أية حال ، فالوالد بأجزائه الروحية والبدنية مثال للولد المنفصل عنه ، فليس بديعا منه و «ان الله عز وجل ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السموات والأرض ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون ...»<sup>(١)</sup> .

---

. به في الشتاء؟ فقالوا : لا فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فكذلكم الله تعبدكم في وقت بصلاح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه في شيء آخر فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتن ثوابه فانزل الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...﴾ يعني : إذا توجهتم بامرهم فثم الوجه الذي تفقدون منه الله وتأملون ثوابه .

(١) نور الثقلين ١ : ١١٩ في اصول الكافي بسند عن سدير الصيرفي قال : سمعت حمرا بن أعين .

والمتبني غير ولده يتبناه بمثل له من أولاد آخرين ، وهو في الحالتين بحاجة اليه ف ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ برهان أوّل على أنه تعالى «سبحانه» من اتخاذ الولد فضلا عن أن يلد ، ثم ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ برهان ثان على أنه لم يلد ولن يلد ، وعلى هامشه استحالة اتخاذه ولدا.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ فليس ليبلده او يتخذه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقوله فعله!. والقضاء هنا يعني ارادة التكوين «فإرادته للفعل إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهّم ولا يفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق ، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك ، يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له» (١).

فقضاء أمره في الخلق الأوّل خلقه لا من شيء ، ثم في سائر الخلق خلقه مما خلقه ، وفي كلا الخلقين ليس منه إلّا الإرادة ، دون حاجة الى ما يحتاجه خلقه من محاولات ومساعدات.

ومن شؤون اتخاذ الولد لله سبحانه خرافة وحدة حقيقة الوجود . الإغريقية ، التي نشبت في الفلسفة الإسلامية وترسبت فيها ، فإن الفلسفة الإسلامية . ومع الأسي . تأثرت بأصداء الفلسفة الإغريقية في أصول لها وهذه منها ، والبراهين العقلية ونصوص الكتاب والسنة معسكرة على أن الخلق غير الخالق فإنه ليس

. يسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ أما تسمع لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

(١) تفسير البرهان ١ : ١٤٦ عن الكافي عن صفوان بن يحيى قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ، فقال : الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله فإرادته.

كمثله شيء ، باين عن خلقه وخلقته باين منه ، لا هو في خلقه ولا خلقه فيه ، فليس الكون إشعاء ذاتيا من خالق الكون فانه ولادة وليس خلقا بديعا ، ولا هو صورة مرئية لكونه أو تجل منه ، فان هذه ولادة مهما اختلفت صورها ، تبديلا للخالق . بكله او جزء منه او مرتبة من كيانه . الى المخلوق ، حيث الولادة . ككل . هي التبدل . ككل . سبحانه وتعالى عما يشركون .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ١١٨ .

فلقد كذب الله وشتمه من اتخذ له ولدا وكما يروي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله : «كذبي ابن آدم ولم ينبغ له أن يكذبي وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني ، أما تكذبيه إياي فقلوه : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، واما شتمه إياي فقلوه : اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» (١) .

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عليهم هنا هم المشركون المنقطعون عن وحي السماء ، أم وكل المجاهيل في معرفة الله ووحيه ، فقالتهم الأولى : ﴿لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ لو أنه يكلم بشرا كما يدعيه محمد والمرسلون قبله ، فلما ذا هذه

(١) الدر المنثور ١ : ١٠٩ . اخرج البخاري وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول الله : ... وفيه عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا يشرك به وهو يرزقهم ويعافيتهم . وفي نور الثقلين ١ : ١١٩ في العلل باسناده الى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لم يخلق الله شجرة إلا ولها ثمر تؤكل فلما قال الناس : اتخذ الله ولدا . ذهب نصف ثمرها ، فلما اتخذوا مع الله ولدا شاك الشجر .

التكلفات بوساطات الوحي ، المعرقله مسير الكثير ومصيرهم ، فلو أنه كلمنا دون وسيط  
لكنا مؤمنين <sup>(١)</sup> ، والثانية كتنزّل التنازل عن الأولى : ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ كما أرسل الأولون ،  
وما نقترحه عليه من آية؟.

«كذلك» البعيد البعيد ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ على  
مدار الزمن الرسالي ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ المقلوبة كلمة واحدة في القالة الأولى ، وطلبها لما  
يشتهون من آيات الرسالة في الثانية ، والجواب كلمة واحدة ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ الرسالية في  
كل أدوارها ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بما فمن لا يوقن بآيات الله إذا جاءت ، لا تتبين له آية ، وحتى  
لو كلمه الله ، وكما كلم الله قائدهم الشيطان الرجيم بما كلم ، فرد عليه وإبليس عن أمره إلى  
هواه!.

وتراهم كيف يصدقون كلام الله لو أنه كلمهم الله ، وليس ليريههم ذاته ، ثم لا يتم  
الإختيار لو أن الله أوحى الى كل ما يوحى ! : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ .  
فالذي يجد رياحة اليقين وراحته في قلبه ، مفتوحا الى آياته بمنافذه ، يجد في آيات الله  
مصدق إيقانه وإيمانه ، فليست الآيات لتنشئ اليقين بأنفسها ، وإنما ينشئ في قلوب صافية  
ضافية ، مهما كانت الآيات بعيدة الدلالة في مقياس الآخرين.  
ولقد أصبحت كفار اليهود والنصارى ، الناكرون لهذه الرسالة السامية ،

(١) المصدر ١١٠ عن ابن عباس قال قال رافع بن حرمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا محمد! ان  
كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلنا حتى نسمع كلامه فانزل الله في ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
...﴾ قال : هم كفار العرب ﴿لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ قال : هلا يكلنا الله ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني  
اليهود والنصارى وغيرهم ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم.

متشابهي القلوب مع الذين لا يعلمون ، بل وأنكر وأنكى وهم يتلون الكتاب ، عارفين طبيعة الوحي وشاكلته ، فإذا جاءهم الوحي القممة أنكروه قضية العصبية القومية والعنصرية.

لقد تشابهت قلوب المشركين الذين لا يعلمون ، وأهل الكتاب الذين يعلمون ، إذ أصبحت مقلوبة عن الهدى ، مليئة بالهوى ، فابتليت بأمثال هذه الأسئلة الجاهلة.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ١١٩ .

«إِنَّا» بجمعية الصفات الربانية ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ بجمعية العطيات جمعية الميزات الرسالية

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ مزودا ببيانات الآيات ، فإذا حققت البشارة والندارة كما حققت ﴿لَا تُسْئَلُ

عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ الراضين لآياتك ودعواتك الرسالية ، فلا تحزن عليهم لو لا يؤمنون ،

ولا على نفسك لأهم لا يؤمنون ، فلست أنت . كرسول بشير نذير . مسئولاً عن أصحاب

الجحيم ، لماذا لم يؤمنوا؟ وإنما تسأل لو كنت مقصراً في دعوتك ، على تقصيرهم في قبولها

والإقبال إليها ، وقد بلغت القمة في دعوتك ، ثم لا عليك أن يصبحوا من أصحاب

الجحيم.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ١٢٠ .

قد تلمح ﴿لَنْ تَرْضَىٰ﴾ أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدأب محاولاً

ترضية اليهود والنصارى حتى يؤمنوا ، فأيسه الله أولاً بإحالة رضاهم إلا أن يتحول إلى

ملتهم ، وثانيا **﴿لَنْ اتَّبَعَتْ...﴾** بتهديد شديد ، فليس الحق ليقبل أنصاف حلول ولا جعل البلد بلدين ، او الشطر شطرين ، ف «قل» لهؤلاء حماقى الأنكاد ، المحاولين لتحويلك إلى ملتهم **﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾** وليست هي الهوى ، فامض في صراط الحق ، وامش في دعوتك صارحة ناصحة ناصعة ، ولا تتحول عن هدى الله قيد شعرة ، وان وعدوك . إذا . اتباعك في ملة الحق ، فليس الباطل . أيّا كان . ليتذرع به إلى الحق ، فإما حقا وإما باطلا ولا عون في ملة الحق!.

وكيف تتبع أهواءهم ليتبعوك وهم عارفوك بما عرفهم إياك في كتب السماء :

**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ**

**الْخَاسِرُونَ﴾** ١٢١ .

هناك باطل تلاوة الكتاب ، كالتي للأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ، والتي للمحرفين الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فهم لا يؤمنون بالقرآن ونبيه وهم يعلمون .

ثم الذين **﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾** كما أنزله الله وقصده ، إيمانا به خالصا دونما شائبة **﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** لا سواهم منهم **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾** شركية وكتابية فإن تلاوة كتاب الوحي تحمل على الإيمان بالقرآن من زاويتين اثنتين ، زاوية الأنس بالوحي فوحي القرآن آنس ، وأخرى هي البشارات القرآنية المحمدية في كتابات الوحي ، وفي كل منهما كفاية للإيمان بهذه الرسالة السامية .

ولأن التلاوة . لا سيما المجردة عن حروف جارة كما هنا . هي المتابعة ،

فهي هنا «يتبعونه حق اتباعه»<sup>(١)</sup> وما حقّ اتباعه إلا بعد حق معرفته وتدبره إيماناً به ف «إنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه»<sup>(٢)</sup> والقصر هنا في ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نسبي في الحقل الكتابي ، إذ يؤمن به من غير اهل الكتاب من يتحرون عن الحق. ثم ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كما تعني أهل الكتابين حيث يؤمنون بالقرآن على ضوء تلاوة كتبهم حق التلاوة ، كذلك تعني أهل القرآن حيث يزيدهم حق تلاوته إيماناً به. كما ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ تعم كفار اهل الكتاب والمشركين ، وكذلك كفار المسلمين وهم الذين لا يتلون حق تلاوته «فأولئك» ككل ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إذ خسروا الحق وهم على نبعته.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٢٢  
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا

(١) الدر المنثور ١ : ١١١ . اخرج الخطيب في كتاب الرواة عن مالك عن ابن عمر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : يتبعونه حق اتباعه.

(٢) تفسير بيان السعادة ١ : ١٤١ نسب الى الباقر (عليه السلام) انه قال : يتلون آياته ويتفقهون فيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ، ودرس أعشاره وأخماسه ، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده ، انما هو ... قال الله تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، فالذين آتاهم الكتاب وشرفهم بذلك يحزنهم ترك الرعاية ، والقصور والتقصير في مراعاته ، والذين آتاهم الشيطان الكتاب أو أخذوه من الآباء بحسب ما اعتادوه او تلفقوه من الرجال بحسب ما تدارسوه فإتهم يعجبهم حفظ الرواية ولا يباليون بترك الرعاية.

وفي ارشاد الديلمي عن الصادق (عليه السلام) مثله باختلاف يسير ، مثل «يرتلون» بدلا عن «يتلون»

وليس فيه ذيله من قال الله

تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ .

ذلك هو اهتاف الأخير ببني إسرائيل بعد طويل المجاهدة في الحجاج على طول اللجاج ، وهم على أبواب الإهمال والإغفال والتدجيل والإدغال ، متورطين في التجرد النهائي عن شرف الأمانة العظمى بالنسبة للرسالة الأخيرة الكبرى.

يذكّرهم هنا مرة أخرى ب ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بشرف الرسائل والكتابات الإسرائيلية.

ثم ويحدّثهم ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ وتكفي ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْنًا﴾ على الإطلاق في نفس او شيء سواها.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ بديل ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ ككفيل ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بعد هذا المثلث السليب باي من الأساليب ، فلا كافي ولا عدل ولا شفاعاة ولا نصرة ، إلا كفاية الإيمان ، وعدل عمل الإيمان ، وشفاعة الصالحات لإيماننا وعملا ، ونصرة الله . إذا . فيما يتبقى من لم وعصيانا .

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْنًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣) وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)  
 وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ  
 (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا  
 نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ  
 أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَقَالُوا  
 كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى كَتَبْنَا قُلُوبَنَا فَلَمْ يَلْمِزْهُمْ عَزِيزاً (١٣٥) قُولُوا  
 آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ  
 مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)  
 فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ

فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ  
 اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَنْتَجِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ  
 وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ  
 شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ  
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قطاعات من هذه السورة مضت بشأن الجدل مع أهل الكتاب ، أكثرها مع بني  
 إسرائيل ، منذ موسى إلى محمد عليهما السلام ، بإشارات إلى المشركين بما يلتقون فيها مع  
 أهل الكتابين.

وفي هذه الآيات رجعة الى مرحلة تاريخية أسبق من عهد موسى (ع) إلى ابراهيم (ع)  
 فإنه الأصل الذي يتبناه أهل الكتابين فيما يدعون ، كما وأن قريشا كانوا إليه يرجعون ، فهو  
 المحور المرجع لذلك المثلث الكتابي والشركي ،

فأحرى أن يرجع إليه إصلاحا لما أفسدوا زعم الانتساب اليه في شرعتهم وطقوسهم.  
 هنا يبدأ بشريطة الإمامة الابراهيمية ، وهي الابتلاء العظيم ، إمامة لها شروطها  
 وظروفها الخاصة كنبراس شامل لإمامة الرسالة ورسالة الإمامة على طول الخط.  
 ذلك . وليعلم بنو إسرائيل ، ألا يرثوا الإمامة من إبراهيم كسائر الميراث الذي لا شرط  
 فيه إلا قرابة الدم واللحم على شروطها ، فانما هي على شرط التوفية الشاملة لكل الابتلاءات  
 الربانية وترك المظالم كلها مهما لم يكن من ذريته ، أم كان منهم من إسرائيل ، ام كان من بني  
 إسماعيل حين تنقرض شروطات الإمامة في بني إسرائيل :

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي  
 قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ١٢٤ .

«ابراهيم» مذكورة في سائر القرآن (٦٩) مرة في (٢٥) سورة وهي لغة سريانية قد  
 تعني أب الجماعة الكثيرة وقد قرأت بأشكال تسعة (١) أثبتها

(١) والثمانية الأخرى هي : «إبراهام - إبرهم - ابرهم - ابراهم - ابراهم - ابرهوم» والظاهر ان هذه كلها الا  
 لفظ القرآن سريانية أم عبرانية ، والمعربة الصحيحة هي «إبراهيم» ، وقد فسرت بتفاسير عدة ك «أب رحيم»  
 برىء من الأصنام هام الى ربه . الشديد النظر . والأولان بعيدان لأنها سريانية لا نفسر بتجزئات عربية ، رغم ان  
 ذلك خلاف التجزئة أيضا ، فأين أب من أب واين راهيم من رحيم! مهما عنت الأب الرحيم من غير هذا  
 التحليل ، وقد يعني الأب العالي كما في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست ، يعني أب الجماعة الكثيرة  
 (التكوين ١٧ . ٤ و ٥) : «أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أيا لجمهور من الأمم ٤ فلا يدعى اسمك بعد إبرام  
 بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أيا لجمهور من الأمم ٥ واثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما»

وأضبطها «إبراهيم» حسب متواتر القرآن.

ولماذا هنا ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ تقدما للمفعول وهو مفضول؟ علّه اختصاصا له بذلك الابتلاء ، ام ولان «ربه» لا مجال له ادبيا لو لا تأخيرها إلا تحريرا له ك «ابتلى رب ابراهيم إياه» فنقصان في ادب اللفظ ، ام «ابتلى رب العالمين . او . الله . ابراهيم» فنقصان في حدب المعنى حيث القصد بيان ربوبية خاصة في ذلك الابتلاء.

وهنا ابتلاء رباني خاص لإبراهيم الخليل يتلوه به ربه في أخريات حياته كما تلمح له ﴿مَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقد كانت له ذرية بعد الإياس : ﴿قَالَ أَبَشْرُثْمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ ثُبَشْرُونَ﴾ (١٥ : ٥٥) فلما وهب له ذريته قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (١٤ : ٤١).

ثم ومن أهم الكلمات التي ابتلي بها فأتتها بعد نفس الإمامة هي قصة ذبح إسماعيل وهو بكر ذريته : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ... إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (٣٧ : ١٠٦) <sup>(١)</sup>.

إذا فقد كان ابتلاءه بكلمات فأتتهن ، وكان ذلك في أخريات حياته النيرة ، مهما شملت «كلمات» طول حياته النيرة التي كانت كلها ابتلاءات بكلمات مهما كانت درجات ف ﴿مَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ تشمل ذريته من إسماعيل كما من إسحاق.

. وهنا نعرف ان «أب» في السريانية هو الأب و «راهم» هو جمهور الأمم.

(١) ومن ذلك ابتلاءه بابه آزر وغمرد وسائر المشركين ، ومن أبرز بلاءه هنا إلقاءه في النار وقول جبريل له : ألك حاجة وجوابه : أما إليك فلا ، وعلّ فوقه بلاء ابتلاءه بذبح اسماعيله (عليهما السلام).

والابتلاء الرباني هو الامتحان الاختبار ليظهر بإتمامه مكنون اللبابة والياقة ، إما للمبتلي والمبتلى أمامه كما في الخلق ، أم دون الأول كما للخالق فانه يعلم السر وأخفى ، وقد يكون الابتلاء من خلفيات اعتداء الناس قضية إيمانك او سواه ، او من نتائج تخلفك عن شرعة الله .

ثم وليس الابتلاء الرباني الايماني إلا في أمور صعبة ملتوية معقدة ، لا يسطع لها إلا الأشداء الأقوياء ، ويسقط دونها الضعفاء .

وإذا كان المبتلي هو الرب فالبلية هي الأشد حسب مختلف الأهداف منها بدرجاتها ، ولأن الإمامة الرسالية هي القمة المرموقة من درجات الكمال ، فالابتلاء الهادف إليها ، المحضّر لها ، هي أصعب البليات وأنسبها لهذه الدرجة العليا .

وهنا «ربه» دون «رب العالمين» أمّا شابه ، مما تلمح صارحة صارخة أن هذه البلية بكلمات هي بلية ربانية كما تناسب الساحة الإبراهيمية وسماحتها وكما يسطع له ويليق به دوغما إطاقة تزيل الطاقة .

وهي مناسبة لتلك الإمامة الخاصة التي هي فوق الرسالة والنبوة حيث جعلت له بعدها .

أترى . إذا . ما هي الكلمات؟ أهي . فقط . كلمات لفظية حملت عليه ليقولها؟ وليست فيها تكلفات وبليات! فكثير هؤلاء الذين يكثرون من كلمات طائلة . أية كلمات . وليس لهم فيها ابتلاء ، ولا هم أهلون لمعانيتها ومغازيها ، ولا أنهم مطبقوها! ثم التلغظ بهذه الكلمات ليس إتماما لها : «فأتمهن» بل هو «قالهن» أمّا شابه .

أم هي . فقط . أعمال شاقة لا يسطع لها إلا أقوياء بالإيمان؟ وصحيح

التعبير عنها وفصيحه هو «الأعمال» أو «الصالحات» أما شابه دون «كلمات»!.  
 علّها هي كلمات الله التشريعية : الآمرة والناهية ، الخاصة بموقف الابتلاء الإبراهيمي ، التي يَخْلَفُ إتمامها الإمامة بإذن الله؟ ولكن «فأتمهن» بضمير جمع العاقل قد لا تناسبها!.  
 ام هي . فقط . تطبيق هذه الكلمات بما فيها تحمل الإمامة وذبح إسماعيل فتحقق ضمير العاقل؟ اضافة الى مواد عاقلة في سائر ابتلاءه فانها من منتوجات كمال العقل واللب .  
 قد تعني «كلمات» هنا كلا الأمرين الأمرين ، فاستماع تلك الكلمات التشريعية ولا سيما شرعة الإمامة ، الحصييلة عن سائر الكلمات ، إنه ابتلاء ، وتقبلها دون تعنت وسؤال ابتلاء ، وتطبيقها ابتلاء ، كما وقصة أمره بذبح إسماعيل ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ تشمل مثلث الابتلاء ، الذي لا يخلد بخلد اي مبتلى .

فإبراهيم : كلمة الله ، توجهت إليه كلمة الله . وهي أمر الله . أن يذبح إسماعيل كلمة الله ، وذبحه هو كلمة الله ، الدالة على قمة التسليم لله ، كما وتحمل الإمامة من عليا هذه الكلمات ، وهنا «فأتمهن» لائقة بهذه الكلمات ، فقد أتم استماع الأمر ، والايمان به ، والتسليم له ، ثم وتطبيقه .

ذلك! كما ومن الكلمات كلمات الله العليا الأربعة عشر المحمديون «أتمهن» إلى القائم اثنا عشر إماما تسعة من ولد الحسين (١).

(١) نور الثقلين ١ : ١٢٠ في الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: سألته عن الآية ما هذه الكلمات؟ قال : التي تلقاها آدم من ربه فتاب .

والإتمام في ميزان الله - إن صح التعبير - هو إله الإتمام ، الذي ليس فوّه إتمام .  
 إذا فكل الابتلاءات الإبراهيمية طول حياته النيرة تشمله «كلمات» وهي الدالات  
 على العناية القمة التربوية الربانية فيما أمره ربه ونهاه ، والدالات على قمة التسليم قلبيا إذ  
 سلم له ، والدالات على تمام التسليم وكما له إذ طبقها ، و «أتمهن» هنا كما تعني أن الله أتم  
 هذه الكلمات في ابراهيم تأييدا وتسديدا ، كذلك تعني أن ابراهيم أتمهن حسب الطاقة  
 البشرية مزودة بعصمة ربانية ، ويقابله تركهن ، أو انتقصهن ، لا! بل «أتمهن» كما أراد الله  
 منه ، وأتمهن الله تميما لناقص الإرادة البشرية بعصمة إلهية .

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ .

هنا «قال» دون «فقال» : تفريعا للإمامة على إتمام الكلمات ، لأن إتمامها ليس إلا  
 ظرفا صالحا لجعل الإمامة ، لا نتيجة ضرورية مفرعة عليه ، أم ولأن من هذه الكلمات هي  
 كلمات جعل الإمامة : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ . ومنها قوله : ومن ذريتي ، ثم جوابه :  
 ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ .

فإن الإمامة ولا سيما هذه الكبرى ابتلاء عظيم بمسئوليتها الكبرى ، ثقيلة على من  
 يحملها ، عظيم حملها بحملها ، ولكن ابراهيم (ع) أتمها وأتى بها كما أريد منه .

---

. عليه وهو انه قال : يا رب اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت على فتاب الله عليه أنه هو  
 التواب الرحيم ، فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله فأتمهن؟ قال : أتمهن إلى القائم ...

ثم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ...﴾ مما يدل على انحصار جعل الإمامة بالله ، وانحصاره عن سواه ، و «جاعلك إماما...» حيث اسم الفاعل عامل في مفعوليه هنا ، دليل انه جعل في الحال ، حيث الفاعل الماضي لا يعمل ، واما الاستقبال فهو مجاز يحتاج إلى دليل وصدق المشتق بمادته ليس إلا بصادق واقعها في الحال.

والإمامة بإطلاقها هي القيادة الحقّة كما هنا او الباطلة كما ﴿جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وليس المعنى منها في ذلك الجعل ما دون العصمة من القيادة فان ابراهيم معصوم حينه بأعلى درجات النبوة ، وان الله لا يجعل قيادة روحية بانتصاب لمن هو دون العصمة ، فانه قد يخطأ او يقصر او يقصر ، فكيف يأتّمه الله على قيادته للناس؟!.

بل وليست هذه الإمامة هنا هي الرسالة او النبوة ، فإنهما مجعولتان له ماضيتان ، ونفس ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ وحيها دليل على حاضر الوحي رسالة ونبوة ، فكيف يجعله صاحب وحي وهو رسول ، كما وهو الآن في محتتم عمره وقد آتاه الله الحكم والنبوة في شبابه : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٢٦ : ٨٣) . ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ (١٩ : ٤١) وذلك حين كان فتى وهو يحارب الآلهة المزيفة وعبّادها : ﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُهَا وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤٩).

فلأن الإمامة هنا هي بعد كامل العبودية والنبوة والرسالة والنبوة والخلقة (١) حيث تخطّأها إلى القمة مرحليا كلاً تلو الأخرى ، إذا فهي الإمامة بين

(١) تفسير البرهان ١ : ١٤٩ عن الكافي بسند متصل عن زيد الشحام قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبدا قبل ان يتخذ نبياً وان الله اتخذ نبياً .

المرسلين دون سائر الناس فحسب ، حيث الإمامة الرسالية على الناس كانت له سابقة ، فلتكن الإمامة الحاصلة بعد إتمام كلماتها هي الإمامة على المرسلين كما هم على سائر الناس . فكل رسول - غير اولى العزم الذين دارت عليهم الرضى - هو إمام أمته ، وولي العزم فوقه هو إمامه ، مهما كان في زمنه أم يأتي بعده ، فقد جعل الله كلاً من اولى العزم إماماً لسائر الرسل والنبیین .

فموسى إمام وكتابه إمام ، وطبعا لكافة الرسل الإسرائيليين إلا المسيح (ع) : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ (١١) : (١٧).

ثم الرسل الإسرائيليون بين الإمامين : موسى والمسيح ، هم كذلك أئمة لمن دونهما : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٢١ : ٧٣) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٣ : ٢٤).

وهنا مرتبة ثالثة من الإمامة الرسالية تحلق على ولاية العزم وما دونهما من رسالات هي الإمامة المحمدية السامية ، المنقطعة النظير بين ملاء العالمين ، من الملائكة والجنة والناس أجمعين ، كما بيّنها هكذا أمثال قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ

---

قبل ان يتخذه رسولا وان الله اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا وان الله اتخذه خليلا قبل ان يتخذه إماما ، فلما جمع له الأشياء قال : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال : فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال : لا يكون السفهه إمام التقي .

أقول : «نبيا» هنا تقول الى النبوة فبعدها الرسالة ثم لم يذكر النبوة بعدها اكتفاء بالخلة .

اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتُلْتَصِرُنَّ قَالِ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٢٨﴾

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اضافة إلى أنه إمام سائر المكلفين ، كذلك هو إمام المرسلين والنبیین ، وإمام على اولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، كما وهو امام على الأئمة الإثني عشر من عترته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، وامام على كافة الكروبيين.

ف ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ تعني الإمامة الوسطى ، دون العليا المحمدية ، ولا الدنيا الرسالية لغير من دارت عليه الرحي من الرسل.

اجل! وإنما لا تعني أية إمامة رسالية بدرجاتها ، لكي تطرد رسالة آدم (ع) إذ ظلم بما أكل من الشجرة فعوى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يعني عهد الإمامة الوسطى كما لإبراهيم ، وباحرى العليا كما لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دون سائر الإمامات في سائر الرسالات وأدناها رسالة آدم وقد ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٢٠ : ١٢١).

ف «عهدي» هنا هو ذلك العهد الخاص ، دون أي عهد كان ، فعهد الفطرة الإنسانية . المعبر عنها بفطرت الله . يناله كل إنسان ، وعهد العقلية الإنسانية يناله كل عاقل ، وعهد الشرعة الإلهية يناله كل مؤمن ، وعهد الرسالة الإلهية لا يناله إلا المصطفون مهما سبق لهم ظلم ما كآدم ، ثم عهد الإمامة بين المرسلين لا ينال الظالمين ، مهما كان ظلما سابقا مغفورا.

وحتى إذا عنت «عهدي» كل إمامة في مثلها . شاملة لرسالة آدم . لم تكن «الظالمين» تعم ماضية الحال ، بل هي حسب الوضع والاستعمال تعني

الحال والاستقبال ، فليكن من يجعل إماما غير ظالم حال جعله وحتى آخر عمره.

أترى آدم الذي ظلم بما عصى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ هل هو طي هذه المراحل تشمله «الظالمين» وصفا ماضيا بدّل إلى تمام العدل والاصطفاء؟!.

إذا فلتشمل «المشركون» كل الموحددين الذين كانوا مشركين ، ثم آمنوا وأصبحوا من المقربين كسلمان آمن شابهه من أفاضل المؤمنين.

وكما «الظالمين» حالا عند جعل الإمامة خارج عن «عهدي» كذلك «الظالمين» استقبالا ، بمناسبة العهد الخاص الرباني الواجب ذكره على اية حال.

بل وكذلك «الظالمين» ماضيا حين يكون فاحشا كالشرك ، ام أيا كان حين تكون الإمامة المطلقة التي تقتضي الاصطفاء المطلق بين ملا العالمين.

فكما لا ينال عهد الإمامة الوسطى مثل آدم عليه السلام على عصمته حين اصطفاه بالرسالة ، فبأحرى ألا ينال أمثال الخلفاء الثلاث ، أن يحملوا الإمامة القمة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فالإمامة التي هي عهد خاص رباني هي القيادة الروحية ، مهما حملت . واقعا كما هو شرعيا . القيادة الزمنية.

فمهما عنون الخلفاء الثلاث ثم الائمة الرابع بعنوان الإمام ، فهم ليسوا أئمة يحملون شرعة الله بذلك الانتصاب الخاص بعهد خاص.

ثم «عهدي» هنا . وإن على القدر المتيقن . هو عهد الامامة الإبراهيمية وهي بعد المحمدية فضلا عنها ، و «الظالمين» بعد «فأتمهن» هم المنتقصون

الكلمات المبتلى بها ، ولان الابتلاء لإبراهيم بتلك الكلمات يخلق على كل حياته ، فإتمامها كذلك حذو النعل بالنعل.

فكل من انتقص كلمة من هذه الكلمات طيلة حياته ، انتقاصا في عدتها ام عدتها ، في مادتها ام هيئتها ، فقد يعد من «الظالمين» الذين لا ينالهم «عهدي» هذا. ومن أشر الانتقاص هو الإشارك بالله ، فكيف يجعل إماما . بهكذا إمامة أم فوقها وهي المحمدية . من عبد وثنا ردحا عظيما من عمره.

فمهما لم تدل «الظالمين» على الماضي ، إلا الانتقاص في تلکم الكلمات المحلقة على مثلث الزمان ، يمنع منعا باتا عن جعل تلك الامامة الكبرى.

ولم تقل «ينال عهدي العادلون» لأن العدل مهما كان ظرفا لتأهل الإمامة لم تكن لزامه الإمامة ، فقد اكتفى بالشرط السلبي وهو عدم انتقاص الكلمات في مثلث ازمنا الحياة ، حيث يراد هذه الإمامة الخاصة.

إذا فكيف يحل الإمامة المحمدية وهي المطلقة القمة ، من عبد وثقنا فيما مضى ، لا وحتى آدم الذي عصى ربه فعوى ، ولا ذا النون إذ ذهب مغاضبا ... فننادى في الظلمات ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولا موسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ فضلا عن الخلفاء الثلاث الذي لا يسوون شسع آدم عليه السلام!.

ثم ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لا يستلزم انه يناله غير الظالمين بصورة مطلقة ، وانما هو سلب لأهلية هذه الامامة عن الظالمين ، لا واثبات للزوم الإمامة لغيرهم ، فهم إذا من هو كإبراهيم ام فوقه ، وقد تحققت الامامة فوق الإبراهيمية لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته المعصومين اللهم إلا لفاطمة (ع) حيث اكتفي بعصمتها.

فإنما «أبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة فصارت في الصفوة»<sup>(١)</sup> وهم المصطفون حين جعل الإمامة حتى الموت ، مهما زادت الصفوة العليا صفوة في ماضيها ، كما في حالها واستقبالها بأدلة أخرى.

أجل قد يمنع الظلم الماضي من عهد الإمامة إذا كان من كبائر الإثم والفواحش ومن أكبرها وأفحشها الإشراك بالله مهما كان مغفورا بالإيمان ، ولكنه ليس مغفورا لمنصب الإمامة ، فان الاصطفاء ، وقاعدة إمكان الأشراف ، يمنعان انتصاب من كان مشركا لمنصب الإمامة ، مهما أصبح من أعدل العدول ، كما والغضاضة الشركية السابقة تمنع المأمومين على الائتمام بذلك الإمام ، مهما صحت الصلاة خلفه ، وصح قضاءه وشهادته أمّا إذا سوى القيادة الروحية العليا وهي إمامة الأمة<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير البرهان ١ : ١٥٠ عن الكافي بسند متصل عن عبد العزيز بن مسلم في حديث فضل الامامة قال : كنا مع الرضا (عليه السلام) بمرو . الى ان قال (عليه السلام) : ان الامامة اجل قدرا وأعظم شأنًا وأعلى مكانا وامنع جانبًا وابعد غورا من ان يبلغها الناس بعقولهم او ينالوها بأرائهم وقيموا اماما باختيارهم ، ان الامامة لله عز وجل خص بها ابراهيم الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال عز وجل ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل مسرورا بها ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية ...

(٢) روى الشيخ في اماليه بسند متصل عن عبد الله بن مسعود والشافعي ابن المغازلي في المناقب على ما في تفسير اللوامع ١ : ٦٢٩ . باسناده يرفعه اليه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف صرت دعوة إبراهيم أبيك؟ قال : اوحى الله عز وجل الى ابراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فاستخف ابراهيم الفرح فقال يا رب ومن ذريتي مثلي ، فأوحى الله عز وجل اليه ان يا ابراهيم إني لا أعطيك عهدا لا أفي لك به ، قال : يا رب ما العهد الذي لا تفي به؟ قال : لا أعطيك عهدا الظالم من ذريتك ، قال يا رب ومن الظالم من ولدي لا ينال عهدك؟ قال : من سجد لصنم من دوني لا اجعله إماما ابدا ولا يصلح ان يكون اماما ، قال ابراهيم : واجنبي وبني ان .

ثم ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلمْ نجدْ لَهُ عَزْمًا﴾ تنفي عن مثل آدم عهد الإمامة المعني بـ «عهدي» فليس يكفي في ذلك العهد حاضر العدالة ، بل وماضيها كما في حاضرها ، حتى تحل في ظرف ظريف طريف حفيف في مثلث الزمان لكل أبعاد العدالة . مطلق الإمامة الشامل لإمامة الجماعة وإمامة القضاء وإمامة التقليد ، لا يقتضي هذه المرتبة القمة من الاصطفاء ، ولا تعني الإمامة في الآية مطلقها الشامل لها ، بل هي الإمامة المطلقة لمكان «للناس» دون اختصاص بحقل او ناس خاص ، كما وأنها فيها بعد الرسالة والنبوة.

فمن يحمل قيادة الأمة الاسلامية ككلّ بعد إمام الائمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس إلّا من أصفى الأصفياء كما محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قمتهم علي الإطلاق ، فكيف يصح أن تشمل هذه الإمامة من عبد صنما ، كما و ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ تختص جعل ذلك العهد بالله ، والخلفاء الثلاث بعد الرسول لم يكونوا منتصبين من قبل الله ، ولا هم أصفياء الامة ككل ، بإجماع الامة الإسلامية ككل!.

ثم النسبة بين هذه الإمامة والنبوة عموم من وجه ، فقد يكون نبيا وليس هكذا إماما ، كآدم ومن فوقه من غير اولي العزم ، أم يكون إماما وليس نبيا ولا رسولا ، كالائمة الإثني عشر المحمديين ، ام هو إمام وني كالخمسة أولي

---

. نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، ومن ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فانتهدت الدعوة إلي والى اخي علي (عليه السلام) لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبيا وعليا وصبا(تفسير البرهان ١ : ١٥١).

ومن أخرجه عن ابن مسعود المير محمد صالح الترمذي الكشفي في مناقب مرتضوي ص ٤١ ، روى عن الحميدي عن عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما ترجمه انه قال : ان دعوة ابراهيم الإمامة لذريته لا تصل إلّا لمن لم يسجد لصنم قط ومن ثم جعلني الله نبيا وعليا وصيا لي.

العزم ، ام هو إمام الأنبياء والائمة ككل وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).  
ولان أئمة اهل البيت عليهم السلام يحملون الإمامة فهم أفضل من سائر اولي العزم  
عليهم السلام وقد تدل على ذلك آية التطهير وما أشبهه.

وترى الخليل تطلب من ربه الإمامة المجعلة له للبعض من ذريته : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؟  
علها هي إمامة مطلقة لا مطلق الإمامة كما وانها قضية الموقف : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ...﴾ إذا  
ف ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ تجتث كل دركات الظلم ، ناحية منحى كل درجات العدل  
في حياة الإمام كلها ، وذلك منطبق على أئمة المرسلين بعده : موسى والمسيح ومحمد عليهم  
السلام ، آمن حذى حذوهم من أئمة الإسلام المعصومين ، فلا تشمل . ولأقل تقدير . مثل  
آدم ، الذي عصى ربه قبل رسالته فعوى ، مهما اجتباه ربه . بعده . فتاب عليه وهدى .

ومن مميزات هذه الإمامة أن ليس يختص وحيها بالعلوم والمعارف بل وفعل الخيرات ،  
كما والهداية بأمر الله تكوينيا وتشريعيا ، فكما هم مهتدون بأمر الله فيهما ، كذلك هم  
هادون بأمر الله فيهما ، وهم عاملون الخيرات بوحى الله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٢١ : ٧٣).

وإطلاق القول ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ضاربا الى كل أبعاد الماضي . وهي قبل الإمامة .  
ذلك الإطلاق يخرج كمثل آدم عليه السلام.

### وفي رجعة أخرى إلى آية الابتلاء

: «و» اذكر يا إمام أئمة الهدى ، الرسول المصطفى ، «اذكر» ذكرى من ابراهيم  
الخليل (ع) كأفضل مثل من أمثولات الإمامة بالابتلاء ، ولكي تكون على أهبة لابتلاء أشد  
وأقوى لإمامة هي أشمل وأنبل وأعلى ، اذكر ﴿إِذِ ابْتَلَى

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ... ﴿ فربك يتلى بكلمات ويجعلك للناس إماما على العالمين أجمع .  
كما جعله .! .

«فأتمهن» ابراهيم و «أتمهن» ربه ، وأين إتمام من إتمام ، وكذلك الله يتم لك وتتمه أنت ، واين كلمات من كلمات .

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقد جعلت أنت إماما على النبيين ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ...﴾ .

﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وكما قال موسى ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ولكن الله جعل لك من ذريتك أئمة يحملون أمانة إمامتك ككل وكما يبدو من آية التطهير ، الجاعلة طهارتك القمة لأهل بيت رسالتك القدسية وهم الائمة الإثني عشر عليهم السلام .

وقد تعني «بكلمات» قسما منها يناسب الإمامة الإبراهيمية ، ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كل الكلمات لأن إمامته هي كل الإمامات : ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ (٧ : ١٥٨) إيمانا علميا وعقيدا وعمليا في كل الحقول المعرفية والعملية ، دون إبقاء لكلمة يتلى بها إلا وأتمها كأتمها حتى نال الإمامة الكبرى .

ولئن نال الخليل مرتبة الإمامة بعد العبودية والرسالة والنبوة والخلة كما تناسب إمامته ، فقد نال الحبيب الإمامة الكبرى بعد أن أصبح أول العابدين : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ ثم أصبح آخر النبيين ورسولا إليهم أجمعين : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ...﴾ ثم حبيبا لرب العالمين لحد يحلف بعمره ربه ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥ : ٧٢) كما ويحلف بنفسه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾ (٤ : ٦٥) .

وترى الخليل . بعد . يتطلب من ربه إمامته للبعض من ذريته دون شرط

إلا أنهم من ذريته؟ وذلك بعيد عن مقام الخليل أمام ربه الجليل ، وقد ابتلي هو نفسه بكلمات ، فكيف يدعو لذريته دون ابتلاء!.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ليست لتعلق . فقط . ب ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ...﴾ بل وقبلها ب ﴿ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ إذا فلدعاه بعدان اثنان ، أن يبتلي ربه من ذريته . كما هو . بكلمات ، ثم يجعله بإتمامهن إماما ، فأضاف ربه إليهما بعدا ثالثا ﴿قَالَ لَا يِنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فلا يصلح الظالم أن يبتلي بكلمات تلك الإمامة حتى يجعل إماما.

وترى ابراهيم الخليل (ع) هو بعد كأضرابه من النبيين ، حكمت عليه رغبة امتداد الإمامة في ذريته فسألها لهم ربه؟ ولا وراثة فيها ، ولا تقدم لها فيهم لأنهم . فقط . ذرية!.

نقول هنا : إضافة إلى أن امتداد الشخصية . زمنية او روحية أما هيه؟ . هو رغبة فطرية ، أودعها الله في فطرت الإنسان ، تنمية للحياة ، ومضيا في طريقها المرسوم ، وقد قرر الإسلام على أساسه شرعة الميراث وسائر الإختصاص في حقل التربية مادية ومعنوية : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ . ﴿فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ . نقول إضافة إلى ذلك إنه استدعاء بشروط ، دونما فوضى جزاف ، ودون سلب لغير ذريته ، ومن ثم فدعاه . كسائر فعله . إنما هو بإذن ربه ودعاه . قضية التسليم المطلق لساحة الربوبية وقد عرف وحيا من ربه ان من ذريته من إسماعيل من ياهل لتلك الإمامة.

وكما في دعاه ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ (٢) : (١٢٨) وما البعد الثالث لتحقيق ذلك الدعاء : ﴿لَا يِنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إلا توضيحا لسائر الأجيال في هذه الإذاعة القرآنية العالمية ، وليس تفهيمًا لإبراهيم ، العارف شروط تلك الإمامة الكبرى كما لمسها في نفسه.

فطالما يدعو ابراهيم إمامته للبعض من ذريته ، ولكنه يشترط شرط إتمام نفس الكلمات ، مما لا يحصره في ذريته ، اللهم إلا بما أوحى إليه ربه ، ألا يصلح لشروطاتها إلا بعض من ذريته كمحمد وعترته المعصومين عليهم السلام أجمعين.

وهنا «من ذريتي» لا تعني إلا البعض منهم ، وهم بين عادل وظالم ، فتراه أراد الظالمين منهم فقط ترجيحاً للمفضل على الفاضل! ام عنى الفريقين؟ و «من» تبعض! فهو - إذا - يعنى العدول منهم - ولأقل تقدير - حالة الإمامة ، و ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أخرجت كل ظالم منتقص كلمات الابتلاء ، ماضيا او مستقبلا فضلا عن الحال ، فلم يشمل عهد الامامة كل العدول حال الجعل ، بل هم العدول في مثلث الزمان لقمة العدالة وهي عدم الانتقاص في الكلمات المبتلى بها هكذا إمام.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥).

«البيت» هنا هو البيت العتيق : الكعبة المشرفة ، والجعل هنا تشريفي تشريعي ، وواقعي تكويني ، في مثابته وأمنه ، فما هي «مثابة» وما هو «أمن».

«مثابة» هي في الأصل المثوبة اسم لمكان «البيت» ام ومصدرا ميميا ، ام وعلى هامشهما اسم زمان ، فان لإتيانه حجا زمان خاص ، والتناء للمبالغة ، فالبيت مصدر لكل صادر بكل معاني «مثابة» كما هو ملجأ لكل حائر سادر ، فهو «مثابة» مصدرا وزمانا ومكانا.

ولقد أتت «مثابة» في مختلف المناسبات لمعان عدة ، فلا تختص بواحدة دون أخرى ، وقضية الإفصاح البليغ في مذهب الفصاحة البالغة ، ان يؤتى باللفظ قدر المعنى المرام ، لا زائدا على المعنى ولا ناقصا عنه ، وخرافة استحالة استعمال لفظ واحد في أكثر من معنى واحد تنحل في ألفاظ الكتاب والسنة بأن للقائل مقام جمع الجمع فلا مشكلة له في هكذا استعمال جامع بين شتات ، وذلك من اختصاصات الكتاب والسنة ، اختصارا في التعبير ، وعناية للمعنى الكثير .

كما وتنحل في اصطلاح من يقوم لما يستعمله من ألفاظ كل المعاني الصالحة في اللغة ، دون حاجة الى لحاظها ردف بعض حتى يحيله قوله تعالى ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ .

فمختلف التفسير لمثابة مختلف عن تفسيرها المعنى منها دون أية حجة لواحد من معانيها ، وهي :

١ المقام . ٢ المرجع . ٣ المجتمع . ٤ الممتلىء . ٥ الملجأ . ٦ الماتي متواترا . ٧ المقبل . ٨ المتاب . ٩ محل الثواب . ١٠ المنتبه . ١١ المستقى . ١٢ مجتمع الماء ... وبضرب مثلث الصيغة من «مثابة» إلى المعاني الإثني عشر تصبح معانيها المعنية ستة وثلاثين مهما اختلفت عنايتها في درجات ، واين هي من معنى واحد لا دليل له ، وهو في نفس الوقت خلاف الفصيح بل وغير صحيح!

اجل إنه ١ مقام الإسلام ومنطقه ، ومقام المسلمين بكل انطلاقاتهم الحيوية السامية . ٢ ومرجعهم حيث يرجعون اليه في مشاكلهم الروحية والجماعية أماهيه؟ «لا يقضون منه وطرا»<sup>(١)</sup> .

(١) كما يروى عن باقر العلوم (عليه السلام) تفسيراً لمثابة : يرجعون اليه ...

٣ ومجتمعهم ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ...﴾ اجتماعا عن كل التفرقات والتفرقات.

٤ ومتملى مجدهم الحافل الكافل لحل كل المشاكل بتساور وتساور مليء بما يغنيهم.

٥ وملجؤهم في مخاوفهم عن مفازاتهم في سياساتهم الزمنية والروحية ، وسائر حاجياتهم الحيوية.

٦ يأتونه متواترا في حجهم وعمرتهم دونما انقطاع ، قطاعات عظيمة من مختلف الألسن والألوان من مشارق الأرض ومغاربها ، من كل فج عميق.

٧ مقبلين اليه زيارة له ، واستقبالا في صلواتهم وسائر عباداتهم ، استقبالا لقبيلته الواحدة.

٨ ومتاهم عن ذنوبهم فردية وجماعية ، فيأنهم فيه من ضيوف الرحمن وحاشاه ان يرجعهم خائبين!

٩ ومحل ثوابهم إذ يثيبهم الله بزيارته حقها كما وعد عباده الثائبين اليه الثائبين.

١٠ ومنبتها لهم عن كل غفلاتهم وغفواتهم ، وليشعروا ماذا عليهم في مسئولياتهم الإسلامية الهامة.

١١ ومستقى لهم من تروية ماء الحياة في كل حقولها الروحية والمادية ، من مشارف بئر العظيم ، بدلاء التضامن والتعاقد الأخوي الاسلامي.

١٢ ومجتمع مياه الحياة في كافة الجنبات : العلمية . العقيدية . الأخلاقية . العبادية . الاقتصادية . السياسية والعسكرية أماهيه.

ذلك هو كيان جعل البيت في الأساس ، يجمعها ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ : ﴿جَعَلَ اللَّهُ  
الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ (٥ : ٩٧) ومباركا وهدى للعالمين : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ  
لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِنِكَهٖ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا  
...﴾ (٣ : ١٦).

و «الناس» كل الناس هم المحور الأساس في مثابة البيت وأمنه والقيام فيه وبركته وهداه  
، مما يلح أن الحج فريضة إنسانية تصلح الحيوية الجماهيرية.  
«وأمنا» هنا دون «أمنا» كما ل ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ مما يدل على خالص الأمن  
والسلام فيه ، أمنا في شرعة الله أكثر من كل بيت ، وأمنا واقعا ليس في اي بيت ، مهما  
يوجد فيه خلاف الأمن من متخلفين ، ولكنه اقل بكثير من غيره على طول الخط.  
والبيت هنا «مثابة وأمنا» لا يخص الكعبة المباركة . مهما كانت هي الأصل فيهما . بل  
والمسجد الحرام والحرم كله كما ﴿هَدًى بَالِغَ الْكُعْبَةِ﴾ و ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ اجعل  
هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا تشهد على هذه الشمولية.

ثم ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ تأمر الحجاج والمعتمرين . الطائفين والعاكفين  
والركع السجود . تأمرهم ان يتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أمرا تشريعا بعد أمنه تكوينا  
وتشريعا ، فما هو مقامه المأمور باتخاذ مصلى منه؟.

يأتي مقام ابراهيم في ثانية : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٣ : ٩٧) مما تلمح .  
بين معانيها . وتلمح ان ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كلها مقام ابراهيم ، وقد ذكرنا في مسرحها اثنتي  
عشرة آية ، من أبرزها . المعروف بينها عند الكل . هو مقام ابراهيم . موضع قدمه من الحجر  
الموجود في المقام حيث هو الآن ، إذ أثرت

قدمه المباركة حين كان يرفع القواعد من البيت ، وحين أذن في الناس بالحج<sup>(١)</sup>.  
 ذلك الحجر نزل في مثلث الحجر . كما يروى . من الجنة<sup>(٢)</sup> وكما لمقام ابراهيم أبعاد ،  
 كذلك اتخذ مصلى منه له أبعاد ، أو سعتها مقام البيت ككل ، فانه مصلى لكافة المصلين في  
 هذه المعمورة وسواها ، مصلى واسع ابتداء من البيت نفسه وإلى كل أنحاء العالم .  
 ثم في مقام الحجر فان الصلاة فيه مفضلة على غيره من كل أنحاء البيت ، ثم المسجد  
 الحرام كله ، ثم مكة كلها ، ثم الحرم كله ، ثم المشاعر كلها ، فانها كلها مقام ابراهيم .

(١) في حسنة ابن سنان او صحيحه . على الأصح . قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾  
 ما هذه الآيات البينات؟ قال : مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه ، والحجر الأسود ومنزل  
 إسماعيل .

وفي الدر المنثور ١ : ١١٨ . اخرج ابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال : لما وقف رسول  
 الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة عند مقام ابراهيم قال له عمر يا رسول الله (صلى الله عليه وآله  
 وسلم) هذا مقام ابراهيم الذي قال الله : ﴿وَإِخْتِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال : نعم .  
 (٢) المجمع روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال : نزلت ثلاثة أحجار من الجنة مقام ابراهيم وحجر  
 بني إسرائيل والحجر الأسود ، وفي الدر المنثور ١ : ١١٩ . اخرج الترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الدلائل  
 عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله  
 نورهما ولو لا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب ، واخرج البيهقي في شعب الایمان عن ابن عمر قال قال رسول  
 الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الركن والمقام من ياقوت الجنة ولو لا ما مسهما من خطايا بني آدم لأضاتا ما  
 بين المشرق والمغرب وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفى .

ول «من» - في ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ بالنسبة لخصوص المقام . موقعها الدلالي فقهيها لهندسة «مصلّى» فلم يقل «في» لأنه لا يكفي مكانا لصلاة ، ولا لمصلّ واحد فضلا عن مئات الآلاف ، ولا ﴿اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حتى يصبح كالبيت يصلّى حوله من كل الأطراف ، مهما جعل البيت دبرا ، ولا «الى مقام ابراهيم» وكيف يجعل خلف المصلّي . وإنما ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فهي ابتدائية تبين مبتداء لركعتي الطواف أنه حد المقام . وطبعا حيث هو الآن وكما كان . وليست تبعية فان كلّ المقام لا يسع لمصلّ واحد فضلا عن بعضه وجموع المصلين! .

ذلك بيان ظريف لمبتداء الصلاة الخاصة . دون كل صلاة . فقد يشمل خلف المقام وجانيه حياله ، ما صدق انه ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ مهما كان خلفا وحيالا بعيدا لإطلاق «من مقام» ثم المنتهى . طبعا . هو منتهى المسجد الحرام ، وإن كان الأقرب منه فالأقرب أقرب في تطبيق الأمر ، إلا أن مختلف الظروف والحالات لها مختلف الأبعاد ل ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ .

ومستفيض النقل عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة اهل بيته عليهم السلام عنه ، ليس إلا «عند المقام» و «خلف المقام»<sup>(١)</sup> وهما بيانان ل ﴿مِنْ مَقَامِ

(١) فمما روي في «خلف المقام» ما في الدر المنثور ١ : ١١٨ . اخرج مسلم وابن أبي داود وابو نعيم في الحلية والبيهقي في سننه عن جابر ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعاً حتى إذا فرغ عهد الى مقام ابراهيم فصلّى خلفه ركعتين ثم قرأ : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى وفيه ١٢٠ . اخرج الحميدي وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من طاف بالبيت سبعا وصلّى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت وفيه أخرج الأزرقى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض الرحمة فإذا دخله غمرته ... فإذا فرغ من طوافه فأتى قام ابراهيم فصلّى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم .

**إِبْرَاهِيمَ** ، فلا يتجاوز المقام الى البيت فانه ليس «من مقام» علما أن البيت هو القبلة في المسجد الحرام ، إذا ف . «من مقام» تعني الصلاة الى البيت ، فكيف تتجاوز قدام المقام الى البيت؟.

ولان خلف المقام أقرب مقاما في «من مقام» الى المقام ، فليقدم على جانبي المقام ، ولكلّ منهما مقامات حسب مختلف المقامات.

ولقد رأوا «أبا الحسن موسى (ع) يصلي ركعتي طواف الفريضة بحيال المقام قريبا من ضلال المسجد لكثرة الناس»<sup>(١)</sup>. وذلك **«مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ** بعيدا عنه قضية الضرورة ، مهما بعد عن «عند المقام» فضلا عن «خلف المقام» حيث المدار هو صدق «من مقام». وهو يشمل كل أضلاع المقام سعة المسجد الحرام إلا ضلعه القبلي ، ثم و

---

. ولدته امه ... أقول : لا تجد فيما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا خلف المقام او دبره. وفي التهذيب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ليس لأحد ان يصلي ركعتين طواف الفريضة الا خلف المقام لقول الله تعالى : **«وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ان صليتهما في غيره فعليك اعادة الصلاة.

وفي الكافي ٤ : ٤٢٣ والتهذيب ١ : ٤٨٥ حسنة معاوية بن عمار او صحيحته «إذا فرغت من طوافك فأتت مقام إبراهيم (عليه السلام) وصل ركعتين واجعله أماما ...» وفي التهذيب عن أبي عبد الله الأبراري سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل نسي ان يصلي ركعتين طواف الفريضة في الحجر؟ قال : يعيدها خلف المقام لان الله يقول : **«وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة.

(١) كما في الكافي ٤ : ٤٢٣ . في الصحيح عن الحسين بن عثمان رأيت أبا الحسن موسى (عليه السلام) يصلي ... وفي التهذيب ١ : ٤٨٦ . «قريبا من الضلال لكثرة الناس». وقد يشملهما «عند المقام» مع رعاية الترتيب كما في خبر زرارة : «لا ينبغي ان يصلي ركعتي طواف الفريضة إلا عند مقام إبراهيم» (الكافي ٤ : ٤٢٤ والتهذيب ١ : ٤٨٥).

«خلف المقام» يشمل كل مساحة الضلع الخلفي حتى آخر المسجد الحرام ، مهما لم يشمل «عند المقام» كل السطح اليميني واليساري.

فخلف المقام نص في جعل المقام أماما كإمام ، وعند المقام يعمه وحيال المقام برجاجة الخلف ، إذا فخلفه هو الأوّل ما صدق الخلف ، ثم حiale ما صدق الحيال ، وأجمل تعبير عنهما «من مقام».

فمن الأضلاع الاربعة للمقام يبقى الضلع المواجه للكعبة حيث لا يصح ان يتخذ مصلى إذ يستلزم استدبار الكعبة ، ثم الأضلاع الثلاثة الاخرى هي بين الأخرى فالأخرى كلها ﴿مَنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ في كونها مصلى الأقرب منها فالأقرب الى المقام حيث هو المبتدء فيها ، ما صدق انه من مقام ، والخلف والحيال البعيد عن المقام ، مهما بعدا عن خلف المقام وحياله حسب النصين ولكنهما داخلان في «من مقام» حيث المنتهى هو آخر المسجد الحرام إذ لم يذكر هنا منتهى آخر ، فلو كان لذكر كالمبتدء!

وترى إن نسي الصلاة خلف المقام حتى قضى مناسكه كلها او بعضها ، عليه ان يرجع فيصلي خلف المقام؟ طبعاً نعم إن أمكن «يرجع إلى المقام فيصلي ركعتين»<sup>(١)</sup> «وان كان ارتحل فإني لا أشق عليه ولا أمره أن يرجع ولكن يصلي حيث يذكر»<sup>(٢)</sup>.

(١) كما في الكافي ٤ : ٤٢٦ والاستبصار ٢ : ٢٣٤ والتهذيب ١ : ٤٨٦ صحيحة ابن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال : سئل عن رجل طاف طواف الفريضة ولم يصل الركعتين حتى طاف بين الصفا والمروة ثم طاف طواف النساء ولم يصل أيضاً لذلك الطواف حتى ذكر وهو بالأبطح؟ قال : يرجع الى المقام فيصلي ركعتين.  
(٢) كما في التهذيب ١ : ٤٨٦ والاستبصار ٣ : ٢٣٥ صحيحة أبي بصير سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل نسي ان يصلي ركعتي طواف الفريضة خلف المقام وقد قال الله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حتى ارتحل؟ فقال : ان كان ارتحل ...

ذلك لإطلاق الأمر ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ للناسي كما الذاکر ، خرج موقف المشقة والحرص ، إذ لا عسر في الدين ولا حرج ، وان كان الأحوط الجمع بين ان يصليهما حيث يذكر ، وأن يستتیب (١) لادائهما عند المقام ، ام وإذا رجع في سفرة أخرى يقضيهما.

فالأصل المرجع . ككل . هو على أية حال ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ ما أمكن دون عسر ولا حرج ، والجمع بين صلاة الأصيل والوكيل يجمع بين مختلف الدليل . وهنا ويالات من مختلفات الروايات ان فلانا وفلانا سألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾! ويكأن الله يتبع في وحيه إلى رسوله أهواء فلان وفلان ، فهما أخرى بالاتباع وأعرف من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استصلاحا لركعتي الطواف (٢).

وكما يهرف فيما يخرف «كان المقام إلى لزق البيت فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو نُحِّيْتِه عن البيت ليصلي إليه الناس ففعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزل الله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾! (٣)

(١) في التهذيب عن ابن مسكان قال : حدثني من سأله عن الرجل ينسى ركعتي طواف الفريضة حتى يخرج؟ فقال : يوكل ، قال ابن مسكان وفي حديث آخر : ان كان جاوز ميقات أهل ارضه فليرجع وليصلهما فان الله تعالى يقول ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾.

(٢) الدر المنثور ١ : ١١٩ . اخرج الطبراني والخطيب في تاريخه عن ابن عمر ان عمر قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ وفيه خرج عبد بن حميد والترمذي عن انس قال : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو صلينا خلف المقام؟ فنزلت ...

(٣) المصدر ١١٩ أخرج ابن أبي دواد عن مجاهد قال : ...

كآلاً! إن المقام هو المقام الآن كما كان دون تحوّل ولا تحويل ولا تحويل في تحويل ، كما البيت هو البيت ، والمشاعر هي المشاعر ، والحرم هو الحرم .

ولأن المطاف يتسع حسب اتساع الطائفين . والى خلف المقام بقليل او كثير . فحتى لا تكون فوضى الصدام بين الطائفين والمصلين ، قد تلمح ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ . دون «صلوا» او ما أشبهه . تلمح بأن المصلّى من المقام مرحليّ لجمهرة المصلين كما المطاف ، فليتقدم المطاف على المصلّى ، وعلى المصلين أن يتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى إلى آخر المسجد الحرام بصورة مقررة محسوبة على الجميع ، حيث لا يضيق المطاف على الطائفين .

فالإسلام بكل مقرراته نظام ، ولا سيما في القرارات الجماعية تحسباً دقيقاً رقيقاً لسلامة التطبيق في كل جليل ودقيق ، ومؤتمر الحج هو من أدق التنظيمات الجماعية الإسلامية السلمية ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ . ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ .

فليكن المطاف والمصلّى بحيث لا يكون صدام واحتدام بين الطائفين والمصلين ، فليراع المصلون كتلة الطائفين ، كما على الطائفين رعاية كتلة المصلين ، مع تقدم الأولين حسب الحاجة الضرورية لصالح الطواف من متّسع المطاف .

ولو أن المطاف احتل . يوماً ما . المسجد الحرام كله ، وطبعاً في واجب الطواف ، فليقرّر لكلّ من الطواف والصلاة موعد يكفيه ، باستثناء أمام المقام الى البيت فانه مطاف على أية حال ، وليراع واجب كلّ من الطواف وصلاته ، تقدبماً على تطوعه ، ولا يجوز إشغال المصلّى خلف المقام مع الزحام . كما المطاف . تقدبماً للفرض على النفل كما قدّمه الله . (١)

(١) راجع كتابنا . اسرار . مناسك وادلة حج . باللغة الفارسية ، وفيما أوردناه من الفروع كفاية كأصول لأحكام صلاة الطواف .

ثم وفي رجعة اخرى الى الآية مسائل :

الاولى : لو تحوّل المقام الى غير مقامه الآن ، لم تتحول الصلاة خلفه عما خلفه كما كان حيث المقام لا يختص بذلك الحجر القابل للتحويل ، بل هو مقامه من أرض المسجد الحرام الى تحوم السماوات والأرض ، وكما الكعبة المباركة والمسجد الحرام ، والحل والحرام ، حيث الظاهرة الآن على الأرض هي علامات ، وليست هي . فقط . الأصل في مسرح الأحكام .

الثانية : المأمور بالصلاة خلف المقام أم عنده هو هو المكلف بطوافها ، فلا يستتنب فيها مهما كلف الأمر ، إلا إذا لا يسطع أن يأتي بالأمر ، عذرا يسقط عنه أصالة الأمر ، إذا فإلى الاستنابة ، كالمغشي عليه والميت ومن أشبهه ، فإجادة القراءة وسائر الواجبات والأركان وإن كانت مفروضة في تطبيق الأمر ، إلا أنها لا تسمح للاستنابة ، قصورا عن الإجادة أم تقصيرا فيها .

ثم الاستنابة في الواجبات هي خلاف الأصل حتى عند الضرورة حيث تسقط الفريضة عندها ، اللهم إلا بدليل ، ولا دليل على الوجوب او السماح في استنابة لصلاة الطواف إلا لمن يعذر بنفسه عنها ، في نفسه ، ام لأنه خارج لا يسطع على العودة .

الثالثة : لا يجوز له طواف واجب ما لم يعرف واجبات ركعتيه كواجباته ، إلا إذا ضاق وقت الطواف ، فان طاف في سعة الوقت ولا يعرف واجب الصلاة آخرها حتى يعرفها تعلمها ، ام يقتدي في ركعتي الطواف ، فان صلاحها محلا بصحتها أعادها بعد تعلمها ان أمكن ، فان كان خرج ام في تعلمه حرج ، صلاحها حيثما كان واستناب .

فالأمر الذي لا بد منه هنا كضابطة أن عليه نفسه ركعتي الطواف كما

الطواف ، فلا استنابه هنا او هناك إلا عند الضرورة ، وليس منها عدم معرفته كيف تؤدي الصلاة؟.

الرابعة : لا تجب في ركعتي الطواف رعاية عدم تقدم النساء على الرجال ، قضية تضييقها مكانا وزمانا ، ففي رعاية المكان والزمان ، الى رعاية عدم التقدم حرج فلا وجوب . وأخيرا ذكر مصلى المقام مما يدل على ان صلاة الطواف فريضة كسائر ما يذكر من فرائض الحج في القرآن ، ولكنها ليست ركنا كسائر أركانه .  
ثم والتفصيل الى سائر المفصلات المخصصة لهذه الفروع ، فانما علينا ان نلقي إليكم الأصول وعليكم التفريع (١).

ثم ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾  
مفسرة في نظيرتها : ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٢ : ٢٦).

فالركع السجود فيهما هم المصلون . ككل . طائفا او عاكفا او قائما ، ثم الطائفون هم المسافرون لقرنهم في آية الحج بالقائمين ، ام هم أعم منهم ومن يطوف بالبيت وعله أصلح ، حيث التعبير عن خصوص المسافرين بالطائفين هو أوسع من معناها ، كما والعاكفين . عله . أعم من المقيمين والمعتكفين في المسجد الحرام والقاعدين فيه ، فقد شملت الآيتان كل عابد في المسجد الحرام ، مسافرا او مقيما ، معتكفا او طائفا او مصليا ام جالسا فإنه أيضا عبادة ، والتطهير المأمور به هو . ككل . تعبيد الكعبة المباركة بما حولها لهؤلاء العباد ، إزاحة لمعالم الشرك ، وإراحة للموحدين بمعالم وطقوس التوحيد ، فيعم تطهيره عن كل الأرجاس ظاهرة وباطنة.

(١) نور الثقلين ١ : ١٢٣ عن تفسير القمي في الآية قال الصادق (عليه السلام) يعني نج عنه .

وقد تلمح «طهرا...» بأولى وأحرى إلى طهارة نفوس هؤلاء ، وطهارة ملابسهم وأبدانهم ، وطهارتهم عن الأحداث ، فمثلت الطهارة قد تعنى ضمن المعنى من «طهرا»<sup>(١)</sup>.  
ولأن أظهر مصاديق «بيتي» . الموسع إلى المسجد الحرام . هو نفس الكعبة المباركة ، فقد يظهر من الآية جواز الصلاة في جوف البيت ، وأما الطواف فلا يشرع إلا حول البيت لنص آخر ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وكيفما توجهت في جوف البيت كنت متجها الى القبلة لأنه كله قبلة من داخله كما هي من خارجه ، اللهم إلا من يقوم على أشرف سطح البيت فليست صلاته إلى القبلة فلا تصح ، إلا مستقبلا لسائر الأشراف.  
وليس يعني ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ إلا الخارجين عن البيت والمسجد الحرام ، حيث الشطر هو الجانب ، وهي تعني شطر المسجد الحرام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٢٦).

هنا ﴿هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ لا تعني انه لم يكن حينذاك بلدا ، حيث المفعول

---

. المشركين ، وقال : لما بنى ابراهيم البيت وحج الناس شكت الكعبة الى الله تبارك وتعالى ما تلقى من أنفاس المشركين فأوحى الله إليها قري كعبي فاني ابعث في آخر الزمان قوما يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون.  
(١) المصدر في كتاب العلل بسند متصل عن عبيد الله بن الحلي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) أيعتسلن النساء إذا اتين البيت؟ قال : نعم . ان الله عز وجل يقول : ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فينبغي للعبد ألا يدخل إلا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهر.

الثاني «آمنا» يكفي لجديد الجعل ، ف «هذا» إشارة الى البلد كما في ابراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (٣٥) (١).

فقد تطلّب آمنه في حقلّي التكوين والتشريع كما شرحناهما في آية «ابراهيم» . ثم ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ينضاف الى اهله المؤمنين ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ولكن رزقه بدعائه ليس لينجيه من عذاب الله حيث ﴿فَأَمْتِعْهُ قَلِيلًا﴾ وكل متاع الدنيا قليل!

﴿ثُمَّ اضْطُرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُنَسِّ الْمَصِيرُ﴾ وقد يكون الطائف من ثمرات الحرم كما دعى الخليل فأعطاه الجليل الطائف لتكون من رزق الحرم (٢).

ثم «الثمرات» نعم ثمرات القلوب الى ثمرات القوالب كما يروى عن أئمة الهدى عليهم السلام (٣).

(١) تفصيل البحث عن موقفى الدعائين نجده في تفسير آية ابراهيم.

(٢) الدر المنثور ١ : ١٢٤ . اخرج الأزرقى عن محمد بن المنكدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «لما وضع الله الحرم نقل له الطائف من فلسطين» أقول : قد يعني من ذلك النقل وضع مماثل لقرية فلسطين فيه حيث الطائف يشبهها في جوّها ومنظرها وثمارها ، وفي نور الثقلين ١ : ١٢٤ عن العلل عن ابن مهزيار عن الرضا (عليه السلام) في الطائف : أتدري لم سمي الطائف؟ قلت لا ، قال : ان ابراهيم (عليه السلام) دعى ربه ان يرزق اهله من كل الثمرات ، فقطع له قطعة من الأردن فأقبلت حتى طافت بالبيت سبعا ثم أفرها الله عز وجل في موضعها ، فانما سميت الطائف للطواف بالبيت.

(٣) الدر المنثور ١ : ١٢١ . اخرج احمد عن أبي قتادة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توضأ ثم صلى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ثم قال : اللهم ان ابراهيم خليلك عبدك ونبيك دعاك لأهل مكة وانا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك ابراهيم بمكة ، أدعوك ان تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم ، اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة ، واجعل ما بما من وراء الخم ، اني حرمت ما بين لا بيتها كما حرمت على لسان ابراهيم الحرم.

ولقد تصبغ دعاء ابراهيم لأهل البلد الحرام بما صبغة الله من قبل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إفادة له من هذه العظة البالغة ، محترسا في دعائه محمدا المرزوقين من اهله بمن آمن وقد تبرء من قبل من المشركين ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (٩ : ١١٤).

ولكن يبقى هنا مجال السؤال : هل إن طلب الرزق للمشرك ضمن المؤمن ، هو من الاستغفار له؟ طبعا لا! ولكنه استرحام قد يحوم حوم الاستغفار.

فانما حصر الخليل دعاءه في المؤمنين حائطة على مرسوم الدعاء ، ولكيلا يكون مطلقا يقيّد كما قيّدت ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وقد حسره عن حصره الجليل ، ولأن هذا الرزق ليس ليختص بالمادي منه المؤمنين ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ...﴾ ولكن كيف؟

إنما ﴿فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا﴾ ، ثم الرزق الآخر وهو الروحي الإيماني يختص بالمؤمنين ، وكما اختص عهد الإمامة بغير الظالمين ، وقد يروى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعى لأهل المدينة كما دعى ابراهيم لأهل مكة<sup>(١)</sup>.

ذلك وإلى رسم راسم لمشهد تنفيذ الخليل بإسماعيل لأمر الجليل بإعداد البيت وتطهير  
﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ :

. وفيه اخرج مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اللهم ان ابراهيم عبدك و خليلك و نبيك و ابي عبدك و نبيك و انه دعاك لمكة و ابي ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة و مثله معه ، وفيه اخرج الطبراني في الأوسط عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... و اجعل مع البركة بركتين.

(١) الدر المنثور ١ : ١٢٨ . اخرج الأزرقى عن ليث بن معاذ قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا البيت ...

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ ١٢٧ .

قد تعني ﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ أن ليس البيت هو القواعد والبيان ، مهما كانت منه ، إذا فالبيت هو المربع الخاص من سطح الأرض ، ثم من فوقها إلى السماء السابعة ، وكذلك من تحتها ، عمود مستقيم يربط أعلى النقط من الكون إلى أدناها ، وقد يصدقه ما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«هذا البيت خامس خمسة عشر بيتا سبعة منها في السماء وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى ، وأعلىها يلي العرش البيت المعمور ، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت»<sup>(١)</sup>.

وقد يعني البيت المعمور - حيث يلي العرش - السدرة المنتهى ، التي انتهى إليها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في معراجه ، مجتازا ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - إلى سائر بيوت الله في السماوات والأرضين - ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وهو البيت الأقصى في أقصى الكون في السدرة المنتهى .

وهكذا يحق لخاتم النبيين وأشرف الخلق أجمعين أن يطوف البيوت الخمسة عشر بأهلها ، وكما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سفرته هذه : «رأيت في كل سماء ميادين فيها خلق كثير ...» .

(١) عن الصادق (عليه السلام) يعني من ثمرات القلوب اي جهنم الى الناس ليثوبوا إليهم (تفسير البرهان ١ : ١٥٤). وعن الباقر (عليه السلام) ان الثمرات تحمل إليهم من الآفاق وقد استجاب الله له حتى لا توجد في بلاد المشرق والمغرب ثمرة لا توجد فيها حتى حكى انه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعية وصيفية وخريفية وشتائية (تفسير بيان السعادة ١ : ١٤٥).

لقد رفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل بما بوّء له ربّه مكان البيت : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٢ : ٢٦).

بوّأه له بما أوحى إليه هندسة المكان ليرفع القواعد عليه كما هندسه ربّه. إذ لم تكن له . حينذاك . قواعد ولا أعلام ، إلا بذلك الإعلام من الله الملك العلام<sup>(١)</sup>. وان هذا البيت المبارك . قبل ان يضع ابراهيم القواعد منه . كان بيتا بأعلام أحيانا ودون أعلام أخرى ، كيف لا و ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣ : ٩٦).

(١) الدر المنثور ١ : ١٢٦ . اخرج الديلمي عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : «جاءت سحابة على تربيعة البيت لها رأس تتكلم ارتفاع البيت على تربيعة فرفعاه على تربيعةها. وفي نور الثقلين وعن الصادق (عليه السلام) ان إسماعيل (عليه السلام) لما بلغ مبلغ الرجال امر الله ابراهيم (عليه السلام) ان يبني البيت فقال : يا رب في اي بقعة؟ قال : في البقعة التي أنزلت بها على آدم القبة ، فأضاء لها الحرم فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فان القبة التي أنزلها الله على آدم كانت قائمة الى أيام الطوفان فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وبقي موضعها لم يغرق ولهذا سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فبعث الله جبرئيل (عليه السلام) فخط له موضع البيت فانزل الله عليه القواعد من الجنة وكان الحجر لما أنزله الله على آدم أشد بياضا من الثلج فلما مسته ايدي الكفار اسودّ ، فبنى ابراهيم (عليه السلام) البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم (عليه السلام) ووضعته في الموضع الذي هو فيه الآن فلما بنى جعل له بابين ، بابا الى المشرق وبابا الى المغرب يسمّى المستجار ثم ألقى عليه الشجر والأذخر وعلقت هاجر على بابه كساء وكان معها وكانوا يكتسون تحته.

فإبراهيم (ع) ليس إلا أول بان لقواعده ، بما بوأه ربه من مكان البيت ، وقد كان بيتا منذ آدم ، مطافا له ولذريته ، بل ومنذ كانت خليفة على وجه الأرض ووجوه السماوات السبع والأرضين السبع.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ما نرفع من قواعد البيت ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ دعاءنا سرا او جهرا «العليم» بنياتنا وطوياتنا ، و «العليم» سؤلنا ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أفطر قال : «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا انك أنت السميع العليم»<sup>(١)</sup>.  
﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ١٢٨.

وتراهما لما يسلم بعد لربهما حتى يسألانه ﴿وَاجْعَلْنَا...﴾؟ إن الإسلام المسؤول هنا هو غاية التسليم ، وهي لا تحصل إلا بعد العروج الى معارج الإيمان ، ومما استجاب لهما ربهما عن سؤال الإسلام : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧ : ١٠٣).

ولذلك الإسلام درجات تدرج إبراهيم الى ما دون العليا منها ، فان محمدا أول من اسلم :

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (٦ : ١٤) حيث الأولية هنا ليست لتكون زمنية وقد كان قبله مسلمون كإبراهيم وإسماعيل ومن أشبهه ، فهي أولية في الدرجة ، و «الإيمان من الإسلام بمنزلة الكعبة الحرام من الحرم قد

(١) الدر المنتور ١ : ١٣٧ . أخرج الدار قطني عن ابن عباس قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ، ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم» (١) ولذلك الإسلام ميزات عن مطلق الايمان وسمات ، فلا يلبس الإسلام بظلم أو مشرك مهما لبسهما الإيمان : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَمَ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمَنُ﴾ (٦ : ٨٢) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

ولقد قورن مطلق الايمان بمقارنات الظلم والشرك والفساد والعصيان ، ولم يقارن بشيء منها ذلك الإسلام ، فلذلك يعدّ من ميزات المرسلين دون الإيمان فانه لكل المؤمنين بدرجاتهم.

لذلك يطلب الخليل الى ربه الجليل ان يجعله وإسماعيل مسلمين له ، بعد كل درجات الإيمان ودرجات من الإسلام.

ثم يتطلّب من ربه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ ذريتي من إسماعيل ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ وهم أهل بيت الرسالة المحمدية ، فالرسول فيهم هو محور الدائرة ، وذووه المعصومين هم الأشعة ، فلأن ابراهيم تطلّب لهم أصل الإسلام لا درجته ، لم يمنع سؤاله أن يكون محمد أوّل المسلمين.

ولقد أسلم إبراهيم لدرجة قبل هذا الوقت : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) ثم يتطلب بعده إسلاما أرقى ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...﴾ فهو كما الإيمان درجات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ...﴾

ولو أنه إسلام قبل الايمان أم إسلام الإيمان ، لم يكن يسأله من ربه ، بل كان يفعله لأنه من فعله ، فإنما الإسلام المسؤول هنا هو قمة التسليم بما آمن وأسلم ، توفيقا من الله.

(١) في الكافي عن سماعة عن الصادق (عليه السلام) : ...

وهكذا نرى ذلك الإسلام أنه من حصائل الإيمان ، كل درجة منه حصيلة درجة منه  
فإنهما كلاً درجات :

ف ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٠ : ٥٣) ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى  
الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥ : ١١١).  
كما ويوصي المصطفى من عباده أن يكونوا من المسلمين : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ  
الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢ : ١٣٢).

ثم ولا تسمع أحدا من النبيين يؤمر بالإيمان ، اللهم إلا بالإسلام ، اللهم إلا شذرا في  
عرض إيمان المؤمنين بعرض الرسول تليفقا رفيقا بينهما : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ  
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ﴾ على أن إيمانه هنا ليس بالله ، بل بما أنزل  
إليه ، طمأنة للمؤمنين.

ولا تجد الله يذكر أحدا منهم بخير أفضل من الإسلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا  
نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ (٣ : ٦٧) وتراهم - دوما - يؤمرون بالإسلام ومرتبون  
بالإسلام!.

فذلك بدرجاته إسلام ، وقبله الإيمان بدرجاته ، ثم قبلهما إسلام لما يصل إلى القلب  
فلم يصل لحد الإيمان : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ  
الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٤٩ : ١٤) واين إسلام من إسلام!.

وهنا ﴿مَنْ ذُرِّيَّتَنَا﴾ تختص دعاء الخليل بأمة مسلمة لله من ذرية ابراهيم من إسماعيل ،  
فلا تشمل الأمة الإسرائيلية حتى المسلمة منهم لأنهم من إسحاق ، دون إسماعيل ، ولا كل  
المسلمين إذ ليسوا كلهم ولا جلهم من

إسماعيل ، أترأهم بعد هم كل بني هاشم فإنهم من ذرية إسماعيل ، وكيف تعمهم ذلك الدعاء لإسلام ردف إسلام ابراهيم؟ وفيهم عصاة بغاة طغاة! ولئن خصت بعدولهم فليس كل العدول مسلمين بذلك المعنى الرفيع ، ثم لماذا تختص بهم وممن سواهم مسلمون أرقى واجل من جلهم؟.

إذا فهم مسلمون خصوص من ذرية إسماعيل ، والمعصومين الاربعة عشر عليهم السلام<sup>(١)</sup> أم هم أصدق مصاديقها ، وسائر الامة المسلمة من ولد إسماعيل هم على هامشها؟ إلا إسلاما أدنى مما لإبراهيم وإسماعيل والمحمدين المعصومين ، هو إسلام يحصل على ضوء الصمود والرقى فلما ذا يسأله لها ولهم من الله .  
فلا بد . إذا . أنه إسلام العصمة القمة المرموقة ولما يصلا اليه إذ يرفعان القواعد من البيت .

وهكذا تكون ﴿وَتُوبَ عَلَيْنَا﴾ فإنها ليست توبة عليهم من عصيان ، بل هي توبة رجوعا عليهم برحمة خاصة تضمن لهم كامل الإسلام .

فقد يتوب الله على عبد يتوب إليه عن ذنب كما في آدم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٢٠ : ١٢١) .

او يتوب على عبد رجوعا برحمة خاصة تعصمه وتسدده عما لا يحمده ، لولاها لكاد أن يقتربها او يقتربها حيث تكل الطاقات البشرية كما في يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (١٢ : ٢٤) وفي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٠ في الكافي باسناده الى أبي عمر والزييري عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه ... ثم اخبر عن هذه الامة وممن هي وأنها من ذرية ابراهيم وذرية إسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط الذين وجبت لهم الدعوة دعوة ابراهيم وإسماعيل من اهل المسجد الذين اخبر عنهم في كتابه انه «اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» .

﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (١٧ : ٧٤) وهكذا يكون . دوما .  
توبة الله على أصفى المصطفين .

ثم ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قد تعم الإراءة المعرفية الى إراءة فقهية ، فحين يرينا الله مناسكنا  
كما هي ، كان بإمكاننا تطبيقها كما هي ، فتصبح حجة مقبولة مشكورة محبورة ، وقد تعم  
«مناسكنا» مصدرا ميميا واسم زمان ومكان ، والارءاء المعرفية تناسب الأولى .  
وكان ﴿تُبَّ عَلَيْنَا﴾ هي من الظروف الصالحة ل ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ إراءة لملكوتها ، بعد  
هذه التوبة التي توصل إلى الملكوت .

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٢٩ .

هناك ﴿أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ كانت ظرفا ظرفيا لبلورة هذه الرسالة السامية هنا بدعاء ثان  
، ولقد سمع الله دعاءه في إسماعيل كما في الأصل العبراني من تكوين التوراة :  
(١٧ : ٢٠) : «وليشمعيل شمعتيخا هينه برختي أوتوا وهيفرتي أوتوا وهيربتي أوتوا بمئد  
مئد شنيم عاسار نسيئيم يولد وتنتيو لغوي غادل» . :  
«ولإسماعيل سمعته : . ابراهيم . ها أنا أباركه كثيرا وأمئيه وأثمره كثيرا وارفع مقامه كثيرا  
بمحمد واثني عشر إماما يلدهم إسماعيل واجعله أمة كبيرة» .  
وفي التكوين ٢١ : ١٢ «... وابن الجارية ايضا سأجعله أمة لأنه نسلك» .  
وقد سمي إسماعيل به لأنه مسموع الرب في ولادته وفي نسل امة مسلمة من ذريته .

وفي الأصل الانقلوسي من «نبؤت هيلد» : وحي الطفل : شيوخه شباباه بهيها  
 شعطاطابا لأرعابتيا وو رهاباه دعبداء تشوباه ويرحم إباطابا عل بوخرا حببيا :  
 يأسر أعداءه . محمد المذكور قبل . في ساعة جيدة في ارض مرغوبة ويرحمه الله هناك  
 اجابة لدعوة ابراهيم لإسماعيل.  
 ذلك . ثم نجد التوراة تبشر في آيات أخرى ان ذلك الموعود من ولد قيदार بن إسماعيل  
 في عدة تصريحات (١).

(١) منها ما في اشعيا (١٤٢ : ١ - ٢٠) ... لتشد البرية ومدنها والحظائر التي يسكنها قيदार وليرتم سكان  
 الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال (١١) ليؤدوا المجد لله ويخبروا بحمده في الجزائر (١٢).  
 هذه بشارة لنبي من قيदार و «هو الولد الثاني لإسماعيل» (تك ١٣ : ٢٥) و «أبوه من أشهر قبائل  
 العرب وبلادهم الجزيرة العربية» (اشعيا ٢١ : ١٦).  
 فالصرخات التي تسمع من اهل قيदार وترنماتهم من الصخرة وهتافاتهم من رؤوس الجبال كل ذلك  
 تصريحات لطيفة بشأن الرسول المبعوث من نسل قيदार ابن إسماعيل ، ترنمات من اعالي جبال مكة وعرفات ومنى  
 والمشعر الحرام في حج البيت.  
 وفي الآية (١٠) منها : انشدوا للرب نشيدا جديدا تسبيحة له من اقاصي الأرض يا هابطي البحر ويا  
 ملأه ويا أيتها الجزائر وسكانها.  
 والنشيد الجديد هو الشريعة الجديدة المخلقة على كل الجزائر من ذلك النبي الإسماعيلي ، وفي بعض التراجم  
 (هذه ترجمة القسيس اوسكان الارمني في ترجمته لكتاب اشعيا المطبوعة ١٧٣٣ في مطبعة انتوني بورتولي وقد الفها  
 في ١٦٦٦ . اي قبل ٦٧ سنة من طبعتها) تأتي هذه الآية هكذا : يسبحون الرب تسبيحا جديدا ويبقى اثر  
 سلطانه بعده واسمه «احمد» (٨٩).

وفي اشعيا ٦ : ١ - ٢٢) توصيفات لمكة المكرمة بالكعبة المباركة وهذا الرسول المكّي قائلا :  
 قومي استنيري فان نورك قد وافى ومجد الرب أشرق عليك ١ ها ان الظلمة تغطي الأرض والد يجور يشمل  
 الشعوب ولكن عليك يشرق الرب ويترائى عليك مجده ٢ فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك ٣ ارفعي  
 طرفك الى ما حولك وانظري كلهم قد اجتمعوا وأتوا إليك . بنوك من بعيد .

وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : «انا دعوة ابراهيم»<sup>(١)</sup> و «اني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينة وسأنبئكم بأول ذلك

. يأتيون وتحملين بناتك في حضنك ٤ حينئذ تنظرين وتتهللين ويخفق قلبك ويرحب إذ تنقلب إليك ثروة البحر ويأتيك غنى الأمم ٥ كثرة الإبل تغشاك بكران مدين وعيفة. كلهم من «شبا» يأتيون حاملين ذهباً ولبانا يبشرون بتساويح الرب ٦ .

كل غنم قيثار تجتمع إليك . وكباش نبايوت تخدمك. تصعد على مذبحي المرضي لدي واجمّد بيت جلالتي ٧ من هؤلاء الطائرين كالسحاب وكالحمام إلى كواها ٨ إن الجزائر تنتظري وسفن ترشيش مستعدة منذ الأول ان تأتي بينيك من بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم لاسم الرب إلهك ولقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك ٩ وبنو الغرباء يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأني في غضبي ضربتك وفي رضاي رحمتك ١٠ وتفتوح أبوابك دائماً لا تغلق نهاراً ولا ليلاً ليؤتي إليك بغنى الأمم وتحفر إليك ملوكهم ١١ لان الامة والمملكة التي تتعبد لك والأمم تحرب خراباً ١٢ مجد لبنان يأتي إليك السرو والسنديان والشربين لزينة مقدسي وأجد موطن قدمي ١٣ وبنو الذين عتوك يفتدون إليك خاضعين ويسجد لأخامص قدميك كل من ازدراك ويدعونك مدينة الرب ١٤ وبما أنك كنت مهجورة متروكة فلم يكن أحد يجتاز فيك سأجعلك فخر الدهور وسرور كل جيل فيجيل ١٥ وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي المملوك وتعلمين أني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب ١٦ آتي بالذهب بدل النحاس وآتي بالفضة بدل الحديد والنحاس بدل الخشب وبالحديد بدل الحجارة واجعل ولائك سلاماً ومسخريك عدلاً ١٧ لا يسمع من بعد الجور في أرضك ولا بالدمار والحطم في تخومك بل تدعين اسوارك خلاصاً وأبوابك تسيبها ١٨ لا تكون الشمس من بعد نورا لك نهاراً ولا يبرك القمر بضياته ليلاً بل الرب يكون لك نورا أبدياً وإلهك يكون فخرك ١٩ لا تغرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نورا ابدياً وتكون ايام مناحتك قد انقضت ٢٠ ويكون شعبك كلهم صديقين والى الأبد يرثون الأرض. هم فرع غرسي وعمل يدي الذي أتمجد به ٢١ القليل منهم يصير ألفاً والصغير يصير امة عظيمة. انا الرب أعجل ذلك في ميقاته ٢٢ .

(١) الدر المنثور ١ : ١٣٩ . اخرج ابن سعد في طبقاته وابن عساکر من طريق جويبر عن الضحاک ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انا دعوة ابراهيم ، قال : وهو يرفع القواعد من البيت : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ... حتى أتم الآية.

دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين»<sup>(١)</sup>.  
**﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾** هذه الأمة المسلمة من ذريتنا **﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾** وكلهم نور واحد فإن  
 : أولنا محمد آخرنا محمد أوسطنا محمد وكلنا محمد صلوات عليهم أجمعين.  
**﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾** تكوينية : آفاقية وأنفسية ، وتدوينية : قرآنية  
 وكتايبات أخرى.

ولماذا **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾** هنا **﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ﴾** في ثلاث أخرى<sup>(٢)</sup> أترى تعليم الكتاب والحكمة هو المقدم على التزكية كما هنا ،  
 ام هي المقدمة عليها كما في الثلاث الأخرى ، ام هما صنوان لا يتفاضلان ، فهما متعاضدان  
 مع بعضهما البعض متقارنان؟ فلما ذا تتقدم التزكية ثلاثة أضعاف تقدم التعليم عليها؟  
 علّ الأضعاف في التزكية للتأشير إلى أهميتها ، حيث التعليم ذريعة الى

(١) المصدر اخرج احمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن العرياض بن سارة  
 قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني عند الله ...

وفيه اخرج احمد وابن سعد والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي امامة قال قلت يا رسول الله (صلى الله  
 عليه وآله وسلم) ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه يخرج منها نور أضاءت له  
 قصور الشام.

(٢) وهي : **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ  
 تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** (٢ : ١٥١) **﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (٣ : ٦٤) **﴿وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ  
 رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (٦٢ : ٢).

التزكية فهي رأس الزاوية في محاولات الرسالة ، فلو أمكنت التزكية دون تعليم لما كان ضرورة ، وهما صنوان متعاملان ، كلما ازداد التعليم المعرفة ازدادت التزكية ، وكلما ازدادت التزكية ازداد العلم والمعرفة ف «العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد ان يهديه».

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٣٠ .

﴿مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هي توحيد الإسلام وإسلام التوحيد لوجه الله ، ولا يرغب عنها إلا من سفه نفسه : حملا لها على خفة العقل والإدراك ، فالنفس الانسانية فطريا وعقليا راغب الى هذه الملة المسلمة الحنيفة ، فلا يرغب عنها إلى سواها إلا من حمل نفسه على التنازل عن ذاتيتها ، استخفافا بها وتعزبا عنها.

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ بقمة الاصطفاء فانه من أصفى الأصفياء ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كما تطلبه يوم الدنيا ﴿وَأَخْفَيْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وسعى له سعيه ، ومتى اصطفيناه في الدنيا؟ :

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٣١ .

وعلّه إسلامه بفعله لما أمر به قبل إسلامه المطلوب من ربه حين دعا ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ...﴾.

فهناك إسلام قضية كمال الإيمان ، وهنا إسلام قضية الأمر الخاص ، وعلّه لأمر خاص كما ﴿أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ثم إسلام بعدهما تطلباه إذ يرفعان القواعد من البيت ، وقد يجمع مراتب الإسلام حديث قدسي يذكر عيشا أهني وحيوة أبقى<sup>(١)</sup>.

(١) في البحار عن ارشاد الديلمي قال الله سبحانه يا أحمد هل تدري اي عيش اهني وأي حيوة أبقى؟

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٢.

«بها» لا مرجع صالحا لها إلا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دون الإسلام لذكوريته ، ثم وهذه هي ملة الإسلام في توحيد العقيدة والعمل.

. قال : اللهم لا . قال : اما العيش الهنيء فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكرى ولا ينسى نعمتي ولا يجهل حقي ، يطلب رضائي في ليله ونهاره ، وأما الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتى تمون عليه الدنيا وتصغر في عينه وتعظم الآخرة عنده ، ويؤثر هواي على هواه ويتغني مرضاتي ، ويعظم حق نعمتي ، ويذكر عملي به ، ويراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة او معصية ، وينقي قلبه عن كل ما أكره ، ويبغض الشيطان ووساوسه ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطانا وسيلا ، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبا حتى أجعل قلبه وفراغه واشتغاله وهمه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي وافتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي ، وأضيق عليه الدنيا ، وأبغض اليه ما فيها من اللذات وأحذر من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي على غنمه مراتع الهلكة ، فإذا كان هكذا يفر من النار فرارا وينقل من دار الفناء الى دار البقاء ، ومن دار الشيطان الى دار الرحمن ، يا أحمد ولأزيننه بالهيبة والعظمة فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية ، وهذا مقام الراضين فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال : أعرفه شكرا لا يخالطه الجهل ، وذكر لا يخالطه النسيان ، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين ، فإذا أحبني أحببته وافتح عين قلبه إلى جلالي ، ولا أخفي عليه خاصة خلقي ، وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم ، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي ، وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي ، وألبسه الحياء حتى يستحيي منه الخلق كلهم ، ويمشي على الأرض مغفورا له . واجعل قلبه واعيا وبصيرا ، ولا أخفي عليه شيئا من جنة ولا نار ، وأعرفه ما يمر على الناس في القيامة من الهول والشدة وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء ، وأنوّمه في قبره ، وأنزل عليه منكرا ونكيرا حتى يسألاه ، ولا يرى غم الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع ، ثم انصب له ميزانه وأنشر ديوانه ، ثم أضع كتابه في يمينه فيقرأه منشورا ، ثم لا أجعل بيني وبينه ترجمانا ، فهذه صفات المحبين ، يا أحمد اجعل همك هما واحدا ، واجعل لسانك لسانا واحدا ، واجعل بدنك حيا لا يغفل أبدا ، من يغفل عني لم أبال في أي واد هلك .

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٣ .

هنا في ذكر إسماعيل في عداد آباء يعقوب دليل السعة في لغة الأب فهي تختلف عن الوالد ، فأبوه آزر في آيات ليس والده ، لا سيما وانه تبرء من آزر ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ثم نراه في أواخر عمره يدعو لوالديه ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ إذا فوالده غير أبيه .

وانه لمشهد عميق التدليل . في لحظات الموت . على عمق عقيدة التوحيد بين آل ابراهيم ، فيعقوب . وهو رأس الزاوية في بيت إسرائيل . لا يوصي عند احتضاره بمال ، ولا يشغله بال ، إلا ذلك الأمر الجليل فهو المبتدء وهو المال ، فهو . فقط . تركته وتركه آباءه ، قضية كبرى لا تشغله عنها سكرات الموت ، بل هي تشغله عما سواها .

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ اختبار حاسم تظهر فيه مدعى الدعوة التوحيدية لهم طول حياته الرسالية ، يتلوه جواب حاسم ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ...﴾ أن إلهنا جميعا إله واحد ، خلاف المشركين الذين لكل منهم إله او آلهة ، ثم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لا فقط مقرون وإنما إسلام له قلبا وقالبا .

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤) .

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ موحدة مسلمة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ فخلف من بعدها خلف أضعوا ملتها الوحيدة الموحدة المسلمة ، وتخلفت عن شرعة الله المرسومة بينها ، ف ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير «ولكم» الخلف المتخلف ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ . ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ﴾ أنتم ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما وهم لا يسألون عما كنتم تعملون ، كما «ولكم»

المسلمين ﴿مَا كَسَبْتُمْ...﴾ أمم ثلاث لكل ما كسبت وعليها ما اكتسبت. وليست الإمامة في ميزان الله أمة الجنس والإقليم والعنصر والتراب والدم ، فإنها موازين لحیونة الأمم ، أم وإنسانيتها المنفصلة عن شرعة الله ، وإنما هي جماعة ذات قصد واحد : خيراً أو شراً ، مهما اختلفت أجناسهم وأواصر الأنساب والقربات فيما بينهم.

أجل . إنها أمة دينية وليست أمة طينية ، وعلى هذا القياس فالكتلة الموحدة المسلمة من آل إبراهيم ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ثم الكتلة الكافرة من آل إبراهيم أمة ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ وكذلك المسلمون ، من آمن منهم حق الإيمان ومن لم يؤمن ، فلكل حساب حسب الصالحات والصلوات ، دونما فوضى جزاف بحساب القوميات والعنصريات أم سائر الصلوات غير الروحية.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥).

قالت اليهود : «كونوا هودا تهتدوا» وقالت النصارى : «كونوا نصارى تهتدوا»<sup>(١)</sup> فكل يتمسك بطائفة خاوية عن ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ فمجرد كونك من أولاء أم هؤلاء يكفيك هدى! «قل» لا هذا ولا ذاك ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ لا نسل إبراهيم كإبراهيم . إسرائيل وسواها . وإنما ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذه هي الهدى دون سواها ، أيا كنت في أصلك ونسلك ، في وصلك وفصلك ، وقد يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٠ عن ابن عباس قال قال عبد الله بن سوريا الأعور للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي ، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله فيهم ...

وآله وسلم) قوله : بعثت بالحنيفية السمحة<sup>(١)</sup> ، وترى الحنافة لما تكفي هدى لأنها الإعراض عما يخالف الحق ، ويقابله الجنف ، فلما ذا . إذا . ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟ .  
 علّه لأنهم تمسكوا بظاهر الحنيفية وانتساب النسب إلى إبراهيم الحنيف ، فلكي يسد عليهم كل ثغرات الجنف تحريفاً لمعنى الجنف يصرّح ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقسم من اليهود والنصارى مشركون .

ولقد وصف «حنيفاً» وصف إيضاح ب «مسلماً» في أخرى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣ : ٦٧) مما يلمح أنهم كانوا يتذرعون بصيغة «حنيفاً» لإصاق أنفسهم إلى إبراهيم ، وكأن «حنيفاً» لقب يلقب به نسل إبراهيم أيّ كانوا ، فجاء ﴿مُسْلِمًا . وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كإيضاح يجيب آمال المشركين الحنفاء الجنفاء! .

فلان الملة الإبراهيمية هي الناصعة بين الغابرين في خالص التوحيد ، المعروفة لدى الخواص والعوام ، لذلك فليعلن بملته الوحيدة الكبرى بين أهل الملل الثلاث وسواهم من الموحددين . رفضاً لكل الفواصل المختلفة . من لدن إبراهيم إلى موسى والمسيح وإلى خاتم النبيين (صلّى الله عليه وآله وسلم) :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦) .

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٠ . أخرج احمد عن أبي امامة قال قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ، وفيه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أي الأديان أحب إلى الله؟ قال : الحنيفية السمحة ، وعن سعد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : أحب الدين إلى الله .

«قولوا» أيا كنتم من الملل ، سلسلة موصولة متواصلة من ملل كتابية ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ كأصل هو رأس زوايا الإيمان ، ومن ثم فروع : ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ ككل الكتابيين ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ كمسلمين ، والإيمان بكتابات السماء ذريعة للإيمان بالقرآن وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «آمنوا بالتوراة والزيور والإنجيل وليسعكم القرآن»<sup>(١)</sup>.  
 أم و «قولوا» أيها المسلمون ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ : القرآن . لا فحسب بل ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ... وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ قبل إبراهيم وبعده ككل.  
 وترانا كيف نؤمن بعد ما أنزل إلينا . وهو ناسخ . بما أنزل إلى سائر النبيين وهي منسوخة؟.

إنه إيمان تصديق بكل ما أنزل الله أنه من الله ، ثم وإيمان تطبيق لكل في زمنه ، فتطبيق لشريعة القرآن الناسخة للبعث من سائر الشرائع ، وهو تصديق لها إذ تبشر بالقرآن ، ثم ومحور الإيمان هو الإيمان بالله وبرسالته واليوم الآخر ، الأصول الأساسية لكل إيمان ، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ في هذه الأصول ، ولا سيما رأس الزاوية وهو توحيد الله «ونحن» ككل «ونحن» المسلمين «له» لا لسواه «مسلمون».

كما و ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في ضابطة الإيمان ، أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، فلا تفريق هنا أو هناك ، وذلك كلمة الإيمان الجاسم الحاسم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ حيث ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٠ . أخرج ابن أبي حاتم عن معقل بن يسار قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ... ﴿٢﴾ :

(٢٨٥).

هذه هي قضية الإيمان المجرد عن انحيازات طائفية أم قبلية أما هي من امتيازات جاهلة قاحلة لا دور لها في حقل الإيمان الصالح.

وترى لماذا اختلاف التعبير لمنازل الوحي ب «ما أنزل» أولا و «ما أوتي» ثانيا ، وهذا أعم من الوحي كما ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (٣ : ١٢) والوحي النازل الى موسى وعيسى أعلى نازلا ومنزلا من النازل الى إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؟!.

علّه لأن أصل الوحي هو النازل على إبراهيم ، ثم تبعاه له ولمن تبعه ، ومن ثم أوتي موسى وعيسى والنبيون نفس الوحي مهما اختلف وحي عن وحي في درجات وبعض الطقوس ، وذلك معاكسة لما كان يزعمه الهود والنصارى أنهم الأصل في الوحي.

وكما أن «أنزل» أعم من الإيتاء والإعطاء ، كذلك «أوتي» أعم من الوحي وسواه ، فهذان التعبيران لسلسلة الرسالات الحاملة للوحي . علّها . للتدليل على أن النازل إلى المرسلين ليس عطية لهم فهم مالكوها ، بل هو إيتاء كأمانة ووديعة مرجوعة بعد تطبيقها ، فتلك الوحدة الكبرى بين الرسل والرسالات في أصول الدعايات والاتجاهات ، هي القاعدة المتينة الرصينة للتصور الإيمانى المسلم السليم ، السائرة في كل الدروب على هدى ونور ، التي تجمع كل الشعوب . بلا تمييز . على درب الإسلام التام والسلام العام ، مفتوحا للناس جميعا وكل العالمين في مودة ووثام ، ذلك هو الإيمان الإسلام السليم أيا كان وأيان ومن أيّ كان :

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧).

﴿آمَنُوا بِمِثْلِ...﴾ دون «آمنوا بما آمنتم به» تنازل في درجات الإيمان ، فإنهم لم يكونوا مؤمنين بمثل ذلك الإيمان المجرد عن حسابات دخيلة فيه ، فكيف يدعون إلى نفس ذلك الإيمان المجرد ، إلا قفزه لا تناسب سليم الدعوة والدعاية.

فليؤمنوا أولاً ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ إيماناً بكل ما أنزله الله على رسله دون تمييز ، ثم وذلك الإيمان المجرد يجرهم بطبيعة الحال إلى نفس ما آمنتم به من رسالة الإسلام ، حيث الإيمان السليم بالوحي الكتابي ، يجذب إلى الإيمان بمحور الوحي : القرآن العظيم ، ولا يعني ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ مثل الله الذي آمنتم به ، حتى تسقط «مثل» عن لفظ القرآن <sup>(١)</sup> إذ «ليس كمثلته شيء» بل هو مماثلة في أصل الإيمان ، لا الذي يؤمن به ، إيماناً بالله كما آمنتم ، وإيماناً برسالات الله كما آمنتم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن مثل هذا الإيمان ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ تقسيم لبلد الإيمان إلى شقين : إسرائيلي وإسماعيلي ، وذلك شقّ لوحدة الدين والإيمان ، وخروج عن واقع الإيمان إلى اللإيمان ، أم هو أنحس . أحياناً . من الكفر المطلق!

إذا ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ بعد ما أدبت واجب الدعاء وبالغ الدعوة ، فالله هو

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٠ عن ابن عباس قال : لا تقولوا ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ فان الله لا مثل له ، ولكن قولوا : فان آمنوا بالذي آمنتم به ، وفيه عن أبي حمزة كان ابن عباس يقرأ : فإن آمنوا بالذي آمنتم به.

الكافي لا سواه ، فلا ترج في سدّ ثغراتهم إلا إياه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ حواركم حول الدين ، و «السميع» لدعائك وسؤالك حفاظا على الدين «العليم» بما يصلحك ويصلح هذا الدين ، ف ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٥ : ١٠٥) وكل ما في البين حقا ولا حول عنه هو :

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (١٣٨).

آية فريدة في صبغة التعبير ، عرضا جامعا لما يتوجب الالتزام به على كل العالمين ، فما هي ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ حتى نصطبغ بها او نلتزمها؟ وليست لله صبغة يمكن الاصطباغ بها ، ولا أية صبغة!.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ هي من إضافة الفعل الى فاعله ، كخلق الله وروح الله وأخلاق الله وشرعة الله أم أي فعل لله ، وهي كفطرت الله أديبا ومعنويا مهما كانت أعم منها ومن سائر الصبغة ، تكوينية وتشريعية ، فهي مفعول مطلق نوعي تعني صبغا خاصا إلهيا لقبيل الإنسان وسائر المكلفين ، مما للإنسان في أصله خيار كمتابعة الفطرة والعقل والشرعة الإلهية ، أم ليس له خيار كأصل الفطرة ، أمّا يقدم سببه كتطبيق ماله خيار ثم الله يهديه كما اهتدى . وإضافة الفعل إلى فاعله كما هنا تقدّر «من» النسوية ، أي : صبغة ناشئة من الله كسائر خلق الله .

فليست من إضافة الصفة الى موصوفة تقديرا ل «في» ان تكون هذه الصبغة في الله كسائر صفاته الذاتية ، ام «ل» حيث تعم ما تعنيه «من . و . في» . ففي ذلك المثلث من تقادير الجار المحذوف لا تصلح هنا إلا «من» إذ ليست لذات الله صبغة وحتى المعنوية ، حيث الصبغة حالة خاصة من الصبغ

وليست له تعالى حالة دون أخرى إذ لا حدّ لذاته وصفاته حتى تصبغ بصيغة! وإنما المعنى منها ما صبغ به خلقه.

ولقد صبغ الله الناس كلهم بصيغة الفطرة ، ثم العقلية التي تتبناها ، ثم شرعة من الدين الهادية لهما ، الشارحة لأحكامهما ، الشارعة سبيلهما الى الخير المرام ، ولقد اختصرت في : ﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ...** ﴾ ولها . ككل . حصيلة مزيد الهدى والتقوى : ﴿ **الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ (٤٧ : ١٧).

ثم وهي «الإسلام»<sup>(١)</sup> و «الولاية في الميثاق»<sup>(٢)</sup> : إسلاما لله ورسله وكتبه ، وولاية توحيدية ورسالية أما هيه من ولايات إسلامية ، كلّ على درجاته.

وقد تتعلق «صبغة الله» بكلّ من ﴿ **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ . ﴿ **اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ** ﴾ . ﴿ **نَعْبُدُ إِلَهَكَ ...** ﴾ . ﴿ **بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ . ﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ ... آمَنُوا بِمَثَلِ مَا آمَنْتُمْ** ﴾ . والكل راجع إلى الإسلام والولاية في الميثاق في ذلك المثلث البارح الذي هو كيان الإنسان كإنسان : «فطرت الله . العقل . شرعة الله»!

صبغة سابغة سابقة على كل صبغة لأنها ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ كما صبغنا . في مثلث الفطرة والعقلية والشرعة . بعبادته السليمة عن كل إشراك ودون أي عراك.

(١) تفسير البرهان ١ : ١٥٧ يروي تفسير ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ** ﴾ بالإسلام عن عبد الله بن سنان وحمران ومحمد بن مسلم وأبان وعبد الرحمن بن كثير كلهم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال «الصبغة هي الإسلام» .  
(٢) المصدر عن الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق .

ويا له من تعبير منقطع النظير ، يتصبغ أولاً ب ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أمراً إلزامياً من الله ، بمواصفة غالية تجعلها في أعلى قمم الحسن والجمال ، وثانياً بإقرار المصبوغين بها «ونحن» المسلمون المحمديون «له» لا لسواه «عابدون» لا نعبد إلا إياه ، كحصيلة بارزة لصبغة الله . فحذار حذار في دين الله وشرعته عن كل صبغة غير إلهية في قال او حال او فعال على أية حال ، في تكوين او تشريع أم أية صبغة ربانية .

وكما الصبغة المادية تظهر على المصبوغ كأولى المظاهر ، كذلك الصبغة الروحية من طبعها الظهور في كافة المظاهر الحيوية الإنسانية ، وقد سميت بصبغة الله عناية بتلك الظاهرة في مظاهر الأقوال والأفعال ، كما هي في كامنات العقائد والأحوال ، فكل إناء بما فيه يرشح ، فالفطرة . وهي أعمق أعماق الإنسان . لما تصبغ بصبغة الله ، فلتصبق . على آثارها . النفس بكل جنودها ومراحلها الخيرة : عقلا وصدرا ولبا وقلبا وفؤادا ، ومن ثم في كافة الحواس ومظاهرها في كافة الحقول ، والقلب الفؤاد هو المحور الأصيل كإمام الائمة في مملكة النفس الإنساني ، حيث «القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء» .

وكل صبغة دون صبغة الله هي صبغة ابليسية مهما اختلفت دركاتها ، كما والصبغة الإلهية . في حقل التكوين والتشريع والتكليف ، والواقع الحاصل بينها . درجات .

أجل ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ لا الصبغة اليهودية والنصرانية <sup>(١)</sup> أمّا هيه من

(١) الدر المنثور ١ : ١٤١ عن قتادة قال : ان اليهود تصبغ أبناءها يهود وان النصارى تصبغ أبناءها نصارى وان صبغة الله الإسلام ولا صبغة احسن من صبغة الله الإسلام ولا أظهر وهو دين الله الذي بعث به نوحا ومن كان بعده من الأنبياء .

المختلقات الزور والغرور التي هي من صبغ الغرور ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾!.  
 وكما أن ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ آية يتيمة ، كذلك ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ وهي أعم منها وأتم وأطم  
 حيث تعم كل صبغة ربانية تكوينية او تشريعية ، ما بالإمكان الالتزام له أو تحصيله حتى  
 يصبح صاحبها من أهل الله وخاصته وخيرته وحزبه ، اللهم اجعلنا منهم بحقهم.  
 ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾  
 .(١٣٩).

فلما ذا الحاجة في الله : في ذاته وصفاته وأفعاله ، في وحيه وآياته ، لماذا الحاجة فيه  
 بين من يربيه دون نكير حسب الأصل الكتابي وصبغة الله ، ثم ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ دونكم  
 ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ دوننا كما ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ دونكم؟.  
 إن الحاجة في الدين هي حصيلة أحد أمرين : الاختلاف فيمن يعبد ﴿وَهُوَ رَبُّنَا  
 وَرَبُّكُمْ﴾ او الاختلاف في : أي الأعمال أصلح وأقرب الى الرب

. وفيه أخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان بني  
 إسرائيل قالوا يا موسى هل يصبغ ربك؟ فقال : اتقوا الله فناداه يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك فقل نعم ان صبغ  
 الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها في صبغتي وانزل الله على نبيه ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ...﴾ أقول : ولكنها لا  
 تعنى صبغة الألوان اللهم إلا هامشا كخلق الله ومنه الاصباغ كلها ، حيث الصبغة هيئة خاصة من الصبغ فلا تعني  
 . مبدئيا . كل صبغ .

والنصارى يشتغلون بصبغ أولادهم في سابع الولادة مكان ختان المسلمين ، بغمسهم في الماء الأصفر  
 المسمى عندهم بالمعمودية ، وهو اسم ماء غسل به المسيح (عليه السلام) ، فمزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه  
 جعلوا مكانه ماء آخر .

﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ لا فحسب حتى نستوي فيها بل ﴿وَنُحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ معرفيا وعبوديا دون إشرارك ، فلما ذا . إذا . تحاجوننا؟! ولقد كانت اليهود والنصارى . كل . يختص الرب بنفسه بأصرة النبوة الإلهية المزعومة او النبوة الممتازة المدّعاة ، فرد عليهم هذه التهوسة العمياء بأن ربوبيته . كأصل . هي بيننا وبينكم على سواء ، ثم ونحن نختلف في مدارج الزلفى إليه حسب الأعمال والإخلاص فيها ، فمن هو أخلص منا الله معرفيا وعمليا؟.

ثم إذا اختصت الهدى والزلفى بمن كان هودا او نصارى ، فما بال إبراهيم الخليل أهو كما نحن . في زعمكم . بعيد عن الهدى وأنتم به تنتسبون وتفتخرون؟ :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤١).

لقد كان هؤلاء قبل اختلاق اليهودية والنصرانية ، فهل كانوا . بعد . هودا أو نصارى؟ . وعجبا من حمقهم في عمقهم أنهم كانوا يتفوهون بهذه الفرية الوقحة على هؤلاء الرسل الكرام! وتراهم ماذا يظنون هؤلاء؟ أهم ضلال لأنهم ليسوا هودا أو نصارى ، أم هم هودا أو نصارى؟ ثم الله مشتبه في أمرهم ، وإنما يعرف الهدى هودا او نصارى! ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾؟

ولقد كتموا شهادة إلهية تحمل بشارة محمدية : كتماننا عن أسرها ، أم تحريفا في لفظها ومعناها لحسرها عن معناها وأسرها عن محتواها فهم أظلم وأطغى .

«تلك» الكتلة الرسالية والرسولية الصالحة ، إسرائيلية وسواها ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ومضت بإسلامها وأعمالها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ دونكم ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ دونهم ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ﴾ أنتم . أيا كنتم . ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . ولا تزر وازرة أخرى .

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ  
 وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ  
 (١٤٧) وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ  
 لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي

وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿ (١٥٢)

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢).

جزء ثان من القرآن يبدأ فيه بهامة تحويل القبلة ، مما أحدث عراكا حادا بين أهل القبلة وناس سفهاء من اليهود والمشركين ومنافقين من المسلمين ، فريضة كفريضة حريضة عليها هؤلاء السفهاء من الناس بملابسات أحاطت به ، سفسطة عارمة تواجهها حجة صارمة من رب العالمين :

«سيقول» المستقبل تستقبل تحويل قبلة الى أخرى وقوله سفيهة بعد التحويل ، و «ما ولاهم» تساءل استنكار على ذلك التحويل بصورة التهويل والتسويل و «هم» يحتمل أنفسهم الى جانب سفهاء غيرهم ف «هم» تعم سفهاء من المشركين وأهل الكتابين وجهالا من المسلمين ، ولكنما الخطر الحادق الذي سقّه جهالا من المسلمين هو سفاهة أهل الكتاب ولا سيما اليهود الذين كانت قبلتهم قبلة الإسلام لردح ابتلائي من الزمن.

لو كانت القبلة المتولى عنها في ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ هي القدس الى الكعبة ، زعم ان القدس هي القبلة المكية ، لكان صحيح التعبير هو «وقال السفهاء» فان

سفاسف القول وسفاهته من المشركين وضعفاء المسلمين كانت أشد خطرا على الدعوة الجديدة الإسلامية في مكة.

فلتكن الآية نازلة قبل أي تحول عن القبلة المرضية . وهي الكعبة المباركة . و «سيقول ...» توطئة لتحويلها الى القدس حيث يتبع قالة سفيهة من مشركين ويهود وضعفاء من المسلمين ، ثم تحول القدس الى الكعبة المباركة حيث يتبع قالة الآخرين وتقطع السنة المشركين .

فالتحويل الأول هو المحور لهذه السفاهة الثالوثية ، وعلى ضوءه الثاني قضاء على سفاهة وبقاء الأخرى .

ثم ﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ نازلة بعد التحويل الثاني فان ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ التي يعتذر منها هي القدس ، إذ لم يكن اتباع الرسول . كابتلاء للمسلمين . إلا في التحول عن الكعبة الى القدس ، فان التحول عن القدس الى الكعبة كان مرجوا لهم ينتظرونه ليل نهار كما والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرب وجهه الى السماء .

ولم تكن الكبيرة الثقيلة عليهم إلا قبلة القدس المتحوّل إليها من الكعبة المباركة ، ثم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ طمانة لهم بالنسبة لفترة القبلة الثانية ، زعما من بعضهم أن صلاتهم إليها كانت ضائعة .

ف ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ﴾ من المسلمين ، تعني . بطبيعة الحال . القبلة المكية ، وكذلك من غيرهم حيث القبلة المتولى عنها هي قبلة المسلمين ، فهي . على أي الحالين . ليست القدس ، بل الكعبة المباركة ، مهما شملت «ما ولاهم» التحويل الثاني ضمنا ، وهو من القدس الى الكعبة . ثم ﴿قُلْ لِلَّهِ

**المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ﴿﴾ اجابة صارمة عن كافة المشاكل المزعومة حول النسخ والتحويل ، سواء من أهل الكتاب أم سفهاء المسلمين ... أتري بعد ﴿قَبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ هي القدس؟ وصيغتها الصحيحة . ولا سيما من اليهود المتبجحين بقبلتهم وبكل ما لديهم . : «قبلتنا» توهينا للمسلمين أنهم ما كانت لهم قبلة في بزوغ إسلامهم إلا قبلتنا ، و «قبلتهم» هي الكعبة المباركة التي كانت قبلة لهم في العهد المكّي ، ثم حولت عنها بعد الهجرة لمصلحة وقتية مذكورة في آيات تالية ، ثم رجعت الى ما كانت للمصلحة الدائمة الخالدة في استقبال البيت العتيق ، وقد دلت على ذلك أحاديث (١).

أم إنها القدس إذ كانت قبلتهم منذ بزوغ الإسلام وحتى أشهر بعد الهجرة ثم حولت إلى شطر المسجد الحرام كما تدل عليه طائفة أخرى من أحاديث (٢) ، وعلّ التعبير عن القدس هنا ب «قبلتهم» يعني تعميق الشبهة

(١) كما في الدر المنثور ١ : ١٤٢ عن ابن عباس قال : أوّل ما نسخ في القرآن القبلة وذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود امره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعة عشر شهرا وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب قبلة إبراهيم ... وفيه عن البراء بن عازب كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صلى نحو بيت المقدس سنة عشر او سبعة عشر شهرا ... وعن ابن عباس ان محمدا كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهي قبلة اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا ليؤمنوا به وليتبعوه وليدعوا بذلك الأميين من العرب فقال الله : والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله وقال : قد نرى تقلب وجهك في السماء ، وعن سعيد بن عبد العزيز ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى نحو بيت المقدس من شهر ربيع الاول الى جمادي الآخرة ، وفيه عن انس ان القبلة قد حولت الى الكعبة مرتين . فمالوا كما هم ركوع الى الكعبة.

(٢) كما في الدر المنثور ١ : ١٤٣ . أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب ان الأنصار صلت للقبلة الأولى قبل قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة بثلاث حجج وان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى للقبلة الأولى بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا.

في ذلك التحويل ، أنها كانت قبلتهم منذ البداية ، فهي . إذا . قبلتهم ، مهما كانت كذلك قبلتنا ، فهم لا يعارضوننا . فقط . في شرعتنا ، بل وفي شرعتهم ، معارضة ذات بعدين بعيدين عن شرعة الحق التي لا تتحول . في قياسهم . نكرانا للنسخ . أيًا كان . وهم في الوقت نفسه معترفون بالشرعة الإبراهيمية المنسوخة في البعض من أحكامها بالشرعة التوراتية ، وعارفون التناسخ في التوراة نفسها ، وهم الآن ينددون بكل نسخ وناسخ بعد التوراة!

وعَلَّ **﴿قَبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾** تشمل القبلتين ، حيث كانت هي الكعبة ثم تحولت الى القدس ، ثم من القدس الى الكعبة ، وكلاهما «قبلتهم» إذ كانتا أمرًا من شرعتهم ، ولا صراحة في الآيات لإحدهما بل «سيقول» تعمهما مهما اختلفت قولة عن قولة كما اختلفت قبلة عن قبلة ، ثم الأحاديث القائلة أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمر في العهد المكي أن يستقبل القدس من واجهة الكعبة <sup>(١)</sup> قد تجمع بين القبلتين في العهد المكي ، ولكل من القبلتين ملامح

---

. وفي تفسير البرهان ١ : ١٥٨ . ابو علي الطبرسي عن علي بن إبراهيم باسناده عن الصادق (عليه السلام) قال : تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بمكة ثلث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة أشهر ، قال : ثم وجهه الله الى الكعبة ...

(١) المصدر عن ابن عباس ان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول الى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة.

وفي تفسير البرهان ١ : ١٥٨ . الامام ابو محمد العسكري (عليه السلام) قال : ان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذ كان بمكة أمره ان يتوجه نحو بيت المقدس في صلواتهم ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن لم وإذا لم يمكن استقبال بيت المقدس فكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يفعل ذلك طول مقامه بها ثلث عشر سنة فلما كان بالمدينة وكان متعبدا باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهرا او ستة عشر شهرا ...

وفي الدر المنثور ١ : ١٧٥ . أخرج احمد وابو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم .

في ذلك العهد من الآيات التالية ، لا سيما بالنسبة للكعبة المباركة.

ف «سيقول» كقولة معترضة آتية من السفهاء ، هي أخرى ان تكون «قال» لو أن القدس هي القبلة المكية ، فإنها هي الأصيلة عند الموحدين والمشركين ، فكون القدس . إذا . هي القبلة المكية هو مثار لسفاهة وسفاسفة القول أكثر من تحويل القبلة عن القدس إليها ، ومن ثم فكل من إلا لنعلم ... قد نرى تقلب وجهك ... لئلا يكون للناس عليكم حجة ... كل ذلك إضافة إلى أن مكة القدس في القبلة هي من الموانع العظيمة لقبول الإسلام لذلك القول اللد . لذا إلى لدهم! . هذه الخمس هي من عساكر البراهين لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة ، مهما اتجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى القدس من قبلها ضمنها أم لم يتجه ، وتفصيل الأربعة الأخيرة تجده عند آياتها.

وعلى أية حال فلقد جاء قوم من اليهود الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : يا محمد! هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها ثم تركتها الآن ، أفحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته الى باطل! فإن ما يخالف الحق فهو باطل ، أو باطلا؟ فقد كنت عليه طول هذه المدة! فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : بل ذلك كان حقا وهذا حق يقول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به ، وإن عرف صلاحكم في

---

. وصححه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة احوال واحيل الصيام ثلاثة احوال فاما احوال الصلاة فان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدم المدينة فصلى سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم ان الله أنزل عليه : قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الآية فوجهه الله الى مكة هذا حول ...

غيرها أمركم به ، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده الى مصالحكم ... (١)

والمشرق والمغرب هنا هما تعبيران عن كافة الجهات الأرضية ، لأنهما النقطتان الأصيلتان ، فليس المشرق : القدس . فقط . لله ، أو المغرب : قبله النصارى . فقط . لله ، بل والجنوب الكعبة فله الجهات كلها ، يحول عباده في صلاتهم وكل صلاتهم أينما يريد لمصالح وابتلاءات ، كما وأن أصل تحول شرعة الى شرعة ابتلاء : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥ : ٤٨) . فكما أن قبله القدس . في وقتها . صراط مستقيم لاتجاه الصلاة ، كذلك الكعبة المباركة صراط مستقيم ، بل هي الأصل المقصود على مدار الزمن الرسالي ، ولا سيما الإسلامي ، وقبله القدس ابتلاء وقتي لمصلحة وقتية وقد مضت .

وقد اختلفت الروايات في عديد الأشهر المدنية لقبله القدس من خمسة الى سبعة الى سبعة عشر ، ولأن عديد الأشهر ليس من صميم قصته التحويل ، لم تشر إليها الآيات وكما لم تصرح للقبلة المكية ، وإنما الأصل في مسرح البحث هو تحويل القبلة ، وأن أصلها هو الكعبة المباركة .

ولقد انطلقت أبواق اليهود السفهاء . ومعهم سائر السفهاء من الناس مشركين ومنافقين ومسيحيين . تصرخ على المسامع ﴿مَا وَوَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ مرة أولى حين تحولت عن الكعبة الى القدس ، ومرة أخرى إذ تحولت عن القدس الى الكعبة ، انطلقت تلقي في صفوف المسلمين وفي قلوب

(١) هذا من تنمة الحديث السابق عن الامام العسكري ، ومكان النقط ... اربع عشرة سنة ، فهو من القسم الثاني الدال على ان القبلة في مكة كانت هي القدس ، ولكن باتجاه الكعبة .

السذج منهم بذور الريبة والقلقة ، حيث النسخ . في زعمهم . دليل الجهل وهو لا يصدر عن مصدر الربوبية ، دليلا على أن محمدا لا يصدر عن ربه!

ذلك! رغم ما سبق في ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِنْهَا ... ﴾ إذ بينت أن النسخ . على أية حال . تحمل مصلحة مماثلة أو خيرا مما نسخ ، وقبله الكعبة خير من قبله القدس كأصل على مدار الزمن ، كما وأن قبله القدس كانت خيرا منها . مصلحيا وقتيا كاختبار . أو مثلها في أصل الاتجاه.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

... ﴾ ١٤٣ .

آية وحيدة تحمل صيغة الأمة الوسط ، لا تشبهها إلا آية الحج إلا في لفظ الوسط : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ (٧٨).

فهذه وإن لم تحمل صيغة الوسط ، ولكنها توأصفه تفسيراً له أنهم هم الوسط بين الرسول والناس ، «وكذلك» التحويل للقبلة الأصيلة الى قبله يهودية ، خروجاً عن العنصرية والطائفية فيها ، كذلك العبدى المدى ، الوسيط الصدى ، البليغ الهدى من صبغة الإسلام وإسلام الصبغة ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ فما هو الوسط لهذه الأمة ، ومن هم المعنيون بـ «كم أمة؟» أهم الوسط بين إفراط الحياة الجسدانية وتفريط الحياة الروحية ، حيث الوسط بينهما جامع لهما مهما كانت الحياة الروحية هي الأصيلة بينهما؟.

وهذا مهما كان صحيحاً في نفسه ، ولكنه لا يناسب خلفيته الصريحة هنا : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ فإن هذه الوسطية تتطلب مرجعية الأمة الوسط لطرفي الإفراط والتفريط ، لا أن تكون شهيدة عليهم ، إلا بمعنى الرقابة على

أعمالهم كشهادة خاصة! أم شهادة عليهم في حقل الاعتدال ، نبراسا لهم في ترك الانانية والإينية الطائفية ، وتحللاً في شرعة الله عن الانحيازات غير الشرعية ، اتباعاً لأمر الله كيفما كان وإن في ترك المجد القبلي والقبلي ، كما وأن الوسط اليهودي والنصراني لا يمت بصلة لهذه الوسطية الإسلامية لأنهما من أهل الكتب السماوية وهي كلها تحمل الشرعة المعتدلة الوسط ، اللهم إلا بالنسبة لإفراط اليهود في الاتجاهات المادية ، وتفريط النصارى فيها مبدئياً كنسبياً . مهما تورطوا في الماديات وأكثر من اليهود ، ولكن «جعلناكم» يختص الوسط بجعل رباني وليس الإفراط والتفريط يهوديا ونصرانيا من جعل الله! ... أم هم الوسط بين الرسول والناس ، كما ينادي به الانقسامات الثلاث : شهداء على الناس . الرسول الشهيد على الشهداء ، وناس ، فطبيعة الحال قاضية هنا باختصاص للشهداء على الناس بهذا الرسول الشهيد عليهم.

فهل هم - بعد - كل الأمة الإسلامية؟ وفيهم بغاة وفساق طغاة! أم وعدول لا يصلحون للشهادة على الناس! <sup>(١)</sup> اللهم إلا شهادة على حق الوسط الاعتدال.

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٥ عن تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال الله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ فان ظننت ان الله عنى بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحدين ، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاً! لم يعن الله مثل هذا من خلقه ، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وهم الأمة الوسطى وهم خير امة أخرجت للناس.

أقول : فكما الرسول شهيد على الامة الوسط كذلك الامة الوسط شهيدة على الناس ، وقد تعني الشهادة هنا كل مراحلها ولكنها محصورة في الشهادة على ، من شهادة على الأعمال لكي تكون وسطا ، وشهادة عليها إلقاء لها يوم يقوم الاشهاد فلا بد أولاً من تلقاها.

إن نفس الشهادة على الناس كوسط بين الرسول والناس ، يحد موقف الأمة الوسط ، فهنالكَ شهادة متعدية بنفسها : شهده ، وهنا «شهد على» ام شهادة له لصالحه كدعاية ذاتية ، أم تمثيلا للكيان الرسولي؟ وهنا «شهد على».

ف «شهده» تتطلب حضورا عند العمل أيا كان ، حضورا ذاتيا أم علميا ، ولا يتيسر إلا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعصومين من عترته! (عليهم السلام).

و «شهد له» محصورة في بعديها بالعدول الصالحين من الأمة المسلمة.

ثم و «شهد عليه» هنا في الدعاوي ، تتطلب العدالة ، وليست الأمة . ككل . عادلة ، ولا أن الآية تختص الشهادة بالدعاوي.

و «شهد عليه» هنا في الأعمال ، تختص بالصالحين الداعين إلى الخير الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، دون كل الأمة ولا كل العدول ، وتلك الدعوة . على شروطها . لا تختص بالأمة الإسلامية . و «شهد عليه» . إلقاء للشهادة على الأعمال يوم يقوم الأشهاد . يتطلب تلقيا لها هنا حضورا ذاتيا أو علميا بما يعلمهم الله ، وذلك مخصوص بالمعصومين! ثم ولا تختص تلك الشهادة بخصوص المعصومين من هذه الأمة!.

وعلى كلّ فلا تعني الآية كلّ الأمة الإسلامية دون ريب ، فقد تعني عدول الأمة حيث يمثلون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على قدر عدلهم بين الناس : مسلمين وسواهم ، ثم وبأحرى العدول الدعاة من الأمة ، الأمرة الناهية : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٥٧ : ١٩) <sup>(١)</sup> ، فهي مهما عمت كل المؤمنين ، إلا أن مؤمني هذه الأمة أعلى محتدا ممن سواهم.

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٣ عن الكافي باسناده الى أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) حديث طويل .

ثم في القمة ، الائمة الاثني عشر المعصومون (عليهم السلام) ، فإنهم القمة العليا بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الشهداء بكل معاني الشهادة ومغازيها ومراميتها ولا سيما الشهادة على الأعمال والأحوال ، فالوسط في الأمة هي العدل على مراتبه ومراتبهم<sup>(١)</sup> فلأن العدل في هذه الأمة أعدل منه في غيرها وأفضل ، فكأن العدل منهم هم الشهداء . فحسب . على الناس ، سواء ناس المسلمين او الكتابيين او المشركين والملحدين ، إلا أن لكل شهادة أهلها الخصوص دونما فوضى جزاف .

فمؤمنو هذه الأمة شهداء على الناس شهادة ذاتية بأعمالهم وأحوالهم ، وشهادة على كيان هذه الرسالة السامية ، شهودا منه (صلى الله عليه وآله وسلم) على محتده الرسالي . والدعاة الى الله منهم شهداء على الناس رقابة على أعمالهم وأحوالهم ، ودعوة لترقيتهم عن نقائصهم ممثلين للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل دعواتهم الصالحة . والائمة المعصومون منهم . إضافة الى هذه وتلك . هم شهداء على أعمالهم

---

. وفيه يقول : ولقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا ولنشهد على شيعتنا وليشهد شيعتنا على الناس .  
(١) الدر المنثور ١ : ١٤٤ . اخرج جماعات عدة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس وجماعة آخرين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان «وسطا» في الآية تعني «عدلا» والعدل درجات كما بيناه في درجات الشهادات .

وفي نور الثقلين ١ : ١٣٥ عن كتاب المناقب وفي رواية حمران بن أعين عنه (عليه السلام) انما انزل الله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يعني : عدولا . لتكونوا ... ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول (عليهم السلام) ، فاما الأمة فانه غير جائز ان يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل .

وأحواهم ، بل وعلى كافة المكلفين على مدار الزمن الرسالي دون إبقاء<sup>(١)</sup> .  
 فأعلى الوسط بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الناس هم هؤلاء الأكارم ،  
 تمثيلاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما هو ، وتبيننا لشريعة الحق كما هي «إلينا  
 يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر»<sup>(٢)</sup> .  
 كما وأن الشريعة الإسلامية هي الوسط المعتدل بين كل إفراط وتفریط مختلفين في  
 كتابات السماء ، فنفس تحوّل القبلة الى القدس ردحا من الزمن وسطية واعتدال حيث تزال  
 به العصبية القومية في القبلة ، رغم ان القبلة الإسلامية هي الكعبة المباركة ، بل هي القبلة في  
 كل الشرائع الإلهية ، فرغم كل ذلك يومر المسلمون قضاء على الأنحيازية القبلية والقبليّة ان  
 يتجهوا الى القدس شطرا من العهد المدني ، حال ان أهل الكتابين ليسوا تابعين قبلة بعضهم  
 البعض رغم وحدة الشريعة التوراتية بينهم ، فقد تعني «وسطا» كلّ هذه الأوساط ، متمحورة  
 الوسط المعصوم الرسالي المتمثل في الائمة الاثني عشر (عليهم السلام) أجمعين .

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٤ في تفسير العياشي عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر (عليهم السلام) يقول : نحن  
 نمط الحجاز ، فقلت : وما نمط الحجاز؟ قال : أوسط الأنماط ، ان الله يقول : **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** و**ثُمَّ**  
 قال : إلينا

(٢) نور الثقلين ١ : ١٣٤ عن اصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : نحن الامّة الوسطى  
 ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في ارضه ، ورواه مثله بريد العجلي عن الباقر (عليه السلام). وفيه عن المجمع  
 روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن  
 علي (عليه السلام): ان الله تعالى إيانا فأعنى بقوله : لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله (صلى الله عليه وآله  
 وسلم) شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه ونحن الذين قال الله تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ**  
**أُمَّةً وَسَطًا﴾** .

ثم ذلك الجعل يعم حقلي التكوين والتشريع ، فكينونة هذه الأمة الأئمة ومن دونهم من العدول ، هي مجعولة بجعل رباني بما سعوا ، كما وشرعتهم بما طبقوها فيما سعوا : ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ تمثلا بالحقلين ، جمعا بين الجعلين ، فكما ﴿جَعَلَ اللهُ الكُعبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً لِلنَّاسِ﴾ بكلا الجعلين ثم جعل القدس قبلة مؤقتة ابتلاء للمسلمين وإزالة للفوارق الطائفية ﴿وَكذلكَ جَعَلناكُمْ...﴾ أهل القبلة الواجبة لهم دعوة إبراهيم (عليه السلام).

ووسط الرأي في الأمة الوسط ، بعيدا عن كل الانحيازات إلا في حوزة الوسط وحيازتها ، إنها هي الوسط بكل معاني الوسط مهما اختلفت درجاتها وصلاتها : ﴿أُمَّةٌ وَسَطاً﴾ كمجعولة إلهية . في التصور والعقيدة ، بعيدا عن غلو التجرد الروحي ، وحمأة الركسة المادية ، معطية لكل من الروح والجسد حقه دون أي إفراط أو تفريط . ووسطا في المشاعر والإدراكات ، دون تجمّد على حاضرها لتغلق عليها كل منافذ المعرفة تجريبيا أماهيمه ، ولا اتّباع أعمى لكل ناعق ، بل هي منطلقة على ضوء الهدى القرآني والسنة المحمدية ، قابلة كل ما يوافق هديها المعصوم وعقلها المقسوم وصراتها المرسوم . ﴿أُمَّةٌ وَسَطاً﴾ في تنسيق الحياة ، فلا تطلقها . فقط . للضمائر والمشاعر ، ولا تدعمها . فقط . للتشريع والتأديب ، وإنما ترفع ضمائرهما بالتوجيه والتهديب ، فلا تكل الناس الى سوط السلطان ولا . فقط . الى وحي الوجدان .

﴿أُمَّةٌ وَسَطاً﴾ في العلاقات الحيوية ، لا تؤصّل الفرد فالمجتمع كهامش له

خادم ، ولا تلغي شخصية الفرد تأصيلا للمجتمع ، بل هما عندها أصلان ، كلّ يخدم الآخر ، ترجيحاً لكفة ميزان المجتمع لأنه مجموعة أفراد.

﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ في كل وسط وفي جميع الأوساط ، خارجة عن حدي الإفراط والتفريط ، فوسطا في النهاية تتمحورها كل الأمم حيث تسدد البشرية بسلطتها المهدوية في آخر الزمن.

فلا تعني وسطا وسطا بين الأمم في الواقع الزمني للأمم ، حتى يتعلق به متعلق ممن ينكر خاتمية الأمة الإسلامية ، انها الوسط بين الأمم ، فقد تأتي أمم رسالية بعدها.

فان «كذلك» وكذلك ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ...﴾ تنفيان ذلك ، حيث الوسطية بين الرسول والناس هي غير الوسطية بين الأمم ، فتلك الوسطية تقتضي الخاتمية لهذه الأمة ، حيث الوسطية الزمنية ليست فخرا ولا مستلزمة لكونهم وسطا بين الرسول والناس ، فإنما يعني من «وسطا» هنا ما يناسب تحويل القبلة كشرعة معتدلة ، أو يناسب الشهادة على الناس وسطا بين الرسول وبين الناس.

فما من شرعة حولت فيها القبلة كما حولت في شرعة الإسلام ، ولا أمة وسط بين الرسول والناس ، هم شهداء على الناس كما الرسول شهيد عليهم ، اللهم إلا شرعة الإسلام بأمته.

فتلك الشرعة البعيدة عن كافة الانحيازات والامتيازات القبلية والعنصرية ، هي الوحيدة بين كل شرائع الدين.

كما أن تلك الأمة الشهيدة على الناس هي الوحيدة بين كل الأمم الرسالية على مدار الزمن الرسالي ، والنظر إلى الآيات السابقة يوسع تلك الوسطية ، فإنها

تلتزم بصبغة الله دون الصبغة اليهودية او النصرانية ، وتلتزم يهدى الله تصديقا بكل رسالات الله وكل ما أنزل الله دون التجمد على طائفة كتابية : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥).

وكما هو وسط في القبلة ، لا خصوص الكعبة ولا خصوص القدس ، بل هما معا مهما كانت الكعبة هي الأصيل الدائبة ، وكما كانت قبلة لكافة الموحدين أحياء وأمواتا طول الزمن الرسالي.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ

...﴾ ١٤٣

﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ فيها بيان الحكمة الحكيمة لجعل القبلة الابتلائية السابقة ، بلمحة

أها كانت مؤقتة لمصلحة وقتية ، وكأن الله يعتذر فيها الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من جعل تلك القبلة ، وعلمه لم يسمها تخفيضا لشأها أمام الكعبة المباركة ، ولحمة في لمحات أن لم يبتدئ الإسلام بها عند بزوغه ، وإلا كان الحق الصحيح والفصيح ان يعبر عن القدس كقبلة وإن في مرة يتيمة ، ولا نجد في القرآن كله بيت عبادة ومتجه للصلوة إلا الكعبة المشرفة ، تارة ك ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ . وطبعا ليس للسكن ، وإنما للطواف حوله والصلاة تجاهه . وأخرى ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ومن مثابته : المقبل ، إقبالا إليه حجا له ، واستقبالا للصلاة إليه ، وثالثة يؤمر الخليل بتطهيره ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وهذه الثالثة المعبرة عن الصلاة تعم الصلاة فيه أم في المسجد الحرام ، ثم في المعمورة كلها ، ومن ثم الكون كله ، أن يستقبلوا البيت الطاهر عن قذارات خبيثة ، وعن الرجس من الأوثان.

ولا موقع ل «لنعلم» إلا في ظرف التحول عن الكعبة الى القدس دون

العكس فإنه مرغوب لكل من أسلم ، والكبيرة إلا على الذين هدى الله ليست إلا القدس المتحول إليها من الكعبة ، فهذه من اللمحات اللمعات كصراحة أن القدس هي ثاني القبلتين.

و «نعلم» هنا هي من العلم العلامة ، كما تشهد له وحدة المفعول وللعلم مفعولان اثنان (١) ف ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي القدس ، جعلناها قبلة بديلة عن القبلة الأصلية ، ردحا مؤقتا في بداية العهد المدني ﴿مَا جَعَلْنَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ...﴾ علامة واقعية ظاهرة باهرة ل ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ لى الله عليه وآله وسلم) حقا ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ جاهليا. فلقد كانت العرب تعظم البيت الحرام عربيا جاهليا ، ولما آمن منهم من آمن وكانت قبلتهم إسلاميا هي قبلة مجدهم القومي ، ولما يخلصوا ويتخلصوا عن آصرة القومية ، أراد الله منهم أن يتجردوا في قبلتهم . كما في كل شيء . إسلاميا ، تخلصا حثيثا من كل تعلقة بغير المنهج الإسلامي ، فابتلاهم في الفترة الأولى المدنية . وهم بين اليهود . أن يتحولوا إلى القدس ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ كرسول لا كعربي ، اتباعا مجردا من كل إجماع غير إسلامي ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ صراحا أم نفاقا عارما من هؤلاء الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، أو لما ، فإن فيها رواسب من الجاهلية الجهلاء ، ليسوا ليستقبلوا قبلة اليهود ، تاركين بيت مجدهم القومي القديم! فإنه الآن على أشرف تأسيس دولة إسلامية ، لا تصلح لها إلا أعواد وأعضاء وأعماد صالحة ، خالصة عن كل نزعة غير إسلامية ، فليبتلوا بذلك البلاء العظيم ، ليعرف الغث من السمين والخائن من الأمين ﴿وَإِنْ كَانَتْ الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ «لكبيرة» ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى﴾

(١) في آيات عشر او تزيد نجد هذه الصيغة مصوغة من العلم لا العلم ، وفي الكل نجد مفعولا واحدا لا يناسب العلم المتطلبة مفعولين ، فلا حاجة الى تعليقات عليلة لها.

**الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** ﴿١﴾ بما اهتمدوا بهدى الله ، بعيدين عن كل هوى إلا هوى الله وهدى الله ، و  
«إن ناسا ممن أسلم رجعوا فقلوا مرة هاهنا ومرة هاهنا» (١).

وهكذا تتجرد القلوب متخلصة من كل رواسب الجاهلية ووشائجها ، ومن كل سماتها  
القديمة ووصماتها ، ومن كل رغائبها الدفينة ، متعرية من كل رداء لبست في الجاهلية ولما  
تخلعها مهما ادعت خلعتها ، فتنفرد هذه القلوب لشعار الإسلام وشعوره تاركة كل شعور  
وشعار لغير الإسلام.

إن العرب كانت تعتبر . ولا تزال . أن الكعبة المباركة هي بيت العرب المقدس ، والله  
يريد لها منهم ان تكون بيت الله المقدس «مثابة للناس وقياما للناس . **سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ  
وَالْبَادِ** ﴿٢﴾ دون تمييز لقوم ، ولا تمييز بين عربي وأعجمي .

ومهما كان الانحلاع . وان مؤقتا . عن **﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾** الذي رفع قواعده  
الخليل وعظمه الجليل . مهما كان «كبيرة» لكنها على من لم يهدي الله **﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً  
إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾** .

ثم وردا على غيلة السفهاء من الناس . القائلة . : إذا فصلوات الذين صلوا إلى الكعبة  
طيلة العهد المكي باطلة . إذا كانت القبلة هي القدس . أم وصلوات الذين صلوا إلى القدس  
باطلة حين حولت القبلة عنه إلى الكعبة المباركة ، وكما «قال رجال من المسلمين : ودنا لو  
علمنا من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة كيف بصلاتنا نحو بيت المقدس» فأنزل الله  
**﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾** . ١٤٣

هنا تسمى الصلاة نحو القبلة الشرعية . كعبة أو قدسا . إيمانا ، لأنها

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٦ . اخرج ابن جرير عن ابن جريح قال : بلغني ان ناسا ...

قاعدة الإيمان وعمود الدين ، وأنها كانت بنزعة الإيمان ، فالذين صلوا نحو القدس تركا لبيت مجدهم القديم لم يصلوا نحوه إلا إيماناً بالله واحتراماً لأمر الله ، بل وصلاتهم أقرب إلى الله زلفى ممن صلوا من قبل ومن بعد إلى المسجد الحرام ، فكيف يضيع الله إيمانهم وهو الذي أمرهم باستقبالهم نحو القدس ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ فهل إن علامة اتباع الرسول ضائعة عند الله؟! ... هنا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ هي ثاني التأشير بعد ﴿مَا وَالَاهُمُ عَنْ قِبَلَتِهِمْ﴾ تأييداً لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة ، حيث العلامة هذه تحصل في بداية الفترة المدنية ، دون حاجة الى هذه الطائفة المكية المزعومة بلا طائفة : أربعة عشر سنة ، فلو أنهم أمروا في العهد المكي باتجاه القدس . ولم تكن فيه يهود ليزدادوا ابتلاء بهم . لكان ذلك رادعا عن إسلامهم ، وهم قوم لدا ليسوا ليؤمنوا بكل الجواذب والتبشيريات ، فكيف كان لهم ان يؤمنوا وهم يفاجئون في بزوغ الدعوة بترك القبلة المكية ، وما هو الداعي لتكون القبلة المكية هي القدس إلا صدا عن دخولهم في دين الله بداية الدعوة؟ ثم لم ينقل ولا مرة يتيمة أن جماعة من العرب امتنعوا عن الإسلام لأن قبلته متخلفة عن الكعبة المباركة ، ولا أنه كان يصلي إلى القدس في مكة متحولاً عن الكعبة! ... ولو كانت القبلة في العهد المكي هي القدس لشملت قصتها الكتب وتواترت في الألسن ، ونقلت اعتراضات متواترة من عرب الحجاز على هذه القبلة!.

ثم وإن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله ان يبين متبع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بها (١) لا يشبه حديث الحق ، فإن مجال مخالفة

(١) نور الثقلين ١ : ١١٤ في كتاب الاحتجاج قيل يا ابن رسول الله فلم امر بالقبلة الاولى؟ فقال: لما قال عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ﴾.

الهوى في شرعة الحق - وبهذه الصورة القاسية - ليس في غضون الدعوة التي تتطلب لينة وجاذبية هؤلاء القوم اللدّ! ، والبداية بقبلة القدس هي من أعضل المشاكل صدا عن دخولهم في دين الله!.

نعم قد يروى شطر قليل من العهدين لقبلة القدس أن صلينا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة بعد دخوله الى المدينة بشهرين ... (١) وهو وسط بين الأمرين ، وفيه محنة لأهلي البلدين في العهدين. هذا - وأما القبلة المدنية في بداية الهجرة فالجوّ اليهودي فيها كان يزيد ابتلاء لتحول القبلة إلى القدس ، فبرزوا بارزين من الناجحين في ذلك الامتحان العظيم كأعضاء للدولة الجديدة.

ثم لا معنى ل «لنعلم» في تحول القبلة ، إلا في تحولها عن الكعبة الى القدس ، حيث اتباع من اتبع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس علامة الإيمان إلا هنا ، وأما اتباعه في التحول الى الكعبة بعد القدس فهو رغبة المسلمين أجمع ، وحتى أهل الكتاب الذين اسلموا فضلا عن أهل الحرم!.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا

. الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنعلم ذلك منه وجودا بعد ان علمناه سيوجد ، وذلك ان هوى ... ولما كان هوى اهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه الى الكعبة ليبين من يوافق محمدا فيما كرهه فهو يصدقه ويوافقه ... فعرف ان الله يتعبد بخلاف ما يريد المرء لبيتي طاعته في مخالفة هواه ... أقول : تفسير «لنعلم» يشبه تفسير المتفلسفين ، ثم وسائر مواضع الحديث يشبه التقاطات ملفقة بين حق وباطل.

(١) الدر المنتور ١ : ١٤٦ . اخرج ابن ماجة عن البراء قال صلينا.

### الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ .

لقد بلغت محنة الامتحان في قبلة القدس لحدّ يتقلب وجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في السماء ، نظرة الأمر بتحول القبلة الممتحن بها إلى القبلة الأصيلة التي يرضاها ، فمهما يرضى كلما يرضاها الله من قبلة ، ولكن الكعبة المباركة هي أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، وهي مثابة للناس وقيام ، فهذه جهة من رضاه بها ، وأخرى هي انتهاء أمد الابتلاء بقبلة القدس ، وثالثة ان اليهود يحتجون عليه وعلى المسلمين بهذه القبلة ، إذا ف «ترضاها» لا تعني إلا مرضات الله ، إذ ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٧٦ : ٣٠) كما ولا تعني سخطه لقبلة القدس ، فإنما هو سخط لاستمرارية الحجة اليهودية على المسلمين ، زعرة في إيمانهم ، وزحزحة عن إيقانهم وكما قال الله : ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ...﴾ ثم «التقلب» دون «التقلب» تلمح أنه ما كان يقلّب وجهه ، وإنما يتقلب وجهه أتوماتيكيا في السماء كما كانت تقتضيه الحالة الرسالية الأخيرة ، الناظرة للقبلة الأصيلة ... ثم ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ هي ثلاثة التأشيريات لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة ، إذ كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجبها منذ عرف نفسه ومنذ أرسل ، فهل كان يتقلب وجهه في السماء طيلة العهد المكي إضافة الى ربح من المدني : أربعة عشر سنة؟ وصيغته الصالحة «تقلبات وجهك» تدليلا على التكرار والاستمرار ، دون ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ اللامح إلى مرة يتيمة جديدة جادة ، عرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها أن الامتحان حاصل ، وأمر التحويل الى المسجد الحرام على الأشراف ، ولكنه لم يتفوه بدعائه واستدعائه لذلك التحول ، فإنما إشارة الانتظار بتقلب وجهه في سماء الوحي نظرة نزول رسول الوحي حاملا تحويل

القبلة ... ﴿قَدْ نَرَى... فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ هي الكعبة المباركة التي أنا أرضاها ، بعد الفترة الابتلائية المدنية لقبلة القدس ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

كل ذلك يشي بتلك الرغبة القوية الرقبية الظروف المؤاتية لتحول القبلة بعد ما كثر حجاج اليهود ولجاجهم ، إذ وجدوا في اتجاه المسلمين الى قبلتهم في تلك الفترة الخطيرة ، وسيلة للتمويه والتضليل والبلبله والتجديل ، فأخيرا . ولما أحسن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بخاتمة البلية ، أصبح يقلب وجهه في السماء ، دون أن يصرح بدعاء<sup>(١)</sup> حرمة لأمر ربه على إمره ، وتحرجا من اقتراح مبكر ليس في وقته ، فأجابه ربه فور تقلب وجهه ﴿فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾<sup>(٢)</sup> ولقد أمر بتلك التولية وهو يصلي في المسجد المسمى لذلك ب «القبلتين»<sup>(٣)</sup>.

(١) نور الثقلين ١ : ١١٤ في تحذيب الأحكام الطاطري عن محمد بن أبي حمزة عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن قوله عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ أمره به؟ قال : نعم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقلب وجهه الى السماء فعلم الله عز وجل ما في نفسه فقال : ﴿قَدْ نَرَى...﴾ .  
(٢) فالروايات القائلة انه دعى مقترحا بوسيط ملك الوحي ترجع الى روايتها ، كما يروى عن الامام العسكري (عليه السلام) ... وجعل قوم من مردة اليهود يقولون : والله ما ندري محمد كيف يصلي حتى صار يتوجه الى قبلتنا ويأخذ في صلوته يهدينا ونسكنا واشتد ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاء جبرئيل فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس الى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلهم ، فقال جبرئيل (عليه السلام) فاسأل ربك ان يحولك إليها فانه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك ، فلما استتم دعائه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد ﴿قَدْ نَرَى...﴾ .

وفي المجمع عن القمي عن الصادق (عليه السلام) : ... ثم وجهه الله الى مكة وذلك ان اليهود .

﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ﴾ عن القبلة المؤقتة الابتلائية ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ كأمر يختصه تشريفاً لسماحته وتعظيماً لساحته ، ثم أمر يعم المسلمين كافة : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فما هو الشطر القبلة هنا ، وهل هو قبلة . فقط . للنائين ، أم وللقربيين إلى المسجد الحرام ، أم والكائنين فيه أمام الكعبة المباركة؟ .

الشطر . لغويا . هو نصف الشيء ووسطه ، وهو نحو الشيء <sup>(١)</sup> وجهته ، وهو بعده ، ويجمعهما جانب الشيء إما بجنبه داخليا وهو نصفه ، أم خارجيا وهو نحوه بعيدا عنه . فهل هو بعد : البعض؟ ولم تأت في اللغة كبعض! والمعنى . إذا . بعض المسجد الحرام ، فتراه أي بعض هو؟ أهو أي بعض منه؟ وتعبيره الصحيح ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ دون شطره ، أم شطرا من المسجد الحرام ، فان ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني شطرا خاصا منه! ، ثم

. كانوا يعيرون على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقولون : أنت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك غما شديدا وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله في ذلك أمرا فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم وقد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه وحوله الى الكعبة وانزل عليه ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾ فكان قد صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ .

(٣) وفي نور الثقلين ١ : ١١٤ عن أحدهما في حديث القبلة قال : ان بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة وقد صلوا ركعتين الى بيت المقدس فقبل لهم ان نبيكم قد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء ، وصلوا الركعتين الباقيتين الى الكعبة فصلوا صلاة واحدة الى قبلتين فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين .

(١) عن تفسير النعماني بإسناده عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) في الآية قال : معنى شطره نحوه ...

الشرط العام هو طبيعة الحال لمستقبله ، إذ لا يمكن لأي أحد أن يستقبل كل المسجد الحرام!.

أم هو شرط خاص ولا أخص من الكعبة؟ فلما ذا . إذا . شرط المسجد الحرام دون «الكعبة» وهي أصل القبلة! ثم وعين الكعبة لا يمكن أن تكون هي القبلة للنائي!.

أم هو نصف المسجد الحرام؟ فهل هو أي نصف منه؟ فلما ذا . إذا . نصفه لا نفسه حيث تعني أي نصف منه ثم وتعبيره الصحيح «شطرًا من المسجد الحرام» ثم وكيف يولي وجهه نصفه؟ ولا يولّى إلا جزءه قدر الوجه لو أمكن! ثم لا يتمكن البعيد أن يولي وجهه لا نصفه ولا بعضه! ... أم هو منتصفه «الكعبة» وهو غير النصف! ثم صالح التعبير عنه «الكعبة» دون منتصف المسجد الحرام ، ثم ونفس الكعبة لا يمكن أن تكون قبلة النائي!.

أم هو نحوه وجانبه؟ وذلك هو الصحيح ، وتعبيره ذلك الفصيح! فليس بإمكان النائي أن يولي وجهه إلا نحوه حيث يسع بين المشرق والمغرب وكما في الأثر المستفيض «بين المشرق والمغرب قبلة».

و ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني خارج الحرم ، أم . وبأحرى . خارج مكة ، والسند ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتُمْ﴾ يعني من مكة ، وليس ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ...﴾ تكرارا ، حيث الأول خطاب لخصوص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد يظنّ ان حكمه يخصه ، والثاني يعم عامة المسلمين ، ثم «فول» لا تدل على ان القبلة هي ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أينما كانوا و ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ تصريحاً لشمولية الجهات ، ثم الوجه . وهو ما يواجه أو يواجهه . هو بأقل تقديره ثلث الدائرة ، فالوجه المولّى وشرط المسجد الحرام المولى إليه ، هما يصدّقان «بين

المشرق والمغرب قبله» والكل مصدق ب ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. ثم الوجه هنا لا يخص خصوص الوجه ، بل وكل مقادير البدن ، فلتوجه كلها نحو المسجد الحرام ، فان للوجه وجوها حسب المولى إياه ، فوجه القرائة هو البصر ، ووجه الوضوء هو كل الوجه ، ووجه الاتجاه لجهة سفرا أو صلاة هو كل وجوه البدن ، اللهم إلا اليد فإنها لا وجه لها ، أم لا وجه لتوجيه وجهها المسجد الحرام.

وليست هذه التوسعة إلا رعاية للسعة في الاتجاه نحو الكعبة المباركة ، فالمتمكن لاستقبال عين الكعبة يستقبلها ، ثم المتمكن لاستقبال المسجد الحرام يستقبله ، ومن ثم استقبال شطر المسجد الحرام ، المحدد بما بين المشرق والمغرب باتجاه الجنوب من كل أنحاء الكرة الأرضية ، كما وأن الكرة الأرضية ككل هي ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لسكان سائر الكرات!.

وهذه طبيعة الحال في زاوية الاتجاه الى قبله وسواها ، فكلما ابتعد مكان الاتجاه عنها انفرجت زاويتها حدّ يصدق أن «ما بين المشرق والمغرب قبله» وهي الزاوية المنفرجة حسب انفراج المستقبل بعدا عن القبلة.

ف ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو ناحيته وجهته ، ليس له حدّ خاص ، بل هو حسب بعد الجهة يتشطر أكثر ، كما في قريها تنقلب منفرجة الزاوية الى قائمة والى حادة ، وكل ذلك حسب امكانية الاتجاه كالعادة المستمرة ، مهما هندست واجهة القبلة في عصر العلم بما يقرب شطر المسجد الحرام ، إلا أن رعاية الجهة المهندسة ثابتة شرط ألا يكون عسر أو حرج.

ومن لطيف أمر السعة في القبلة إضافة سعة الوجه للمستقبل الى سعة المواجهة للقبلة ، فالوجه هو ثلث الدائرة ، وشرط المسجد الحرام هو الجهة التي

فيها المسجد الحرام ، فالإتجاه بجزء من الوجه في زاوية قدرها (٦٠) درجة ، نحو المسجد الحرام كلما صدق عليه زاوية الإتجاه ، ذلك هو فرض النائي ، والنتيجة كما في المستفيضة «ما بين المشرق والمغرب قبله» يعني جهة الجنوب وهي قرابة تسعين درجة ، خارجا عن نقطة الشرق والغرب ، ما صدق أنه جهة الجنوب.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

(١٤٤).

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ عله ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ كقبلة ، وبأحرى الكعبة المباركة كقلب القبلة ، أم وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لسابق ذكره ، إذا فقبلته حقّ ضمن رسالته ، أم هما معنيان على البدل والأصل هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتراهم كيف يعلمون أنه الحق من ربهم؟ قد تعني أن السنة الكتابية هي النسخ ابتلاء وتدريرا ، فكما أن سائر كتابات السماء فيها نسخ ما قل أو أكثر ، فليكن كذلك القرآن! ، أم إن معرفة كتابات الوحي تحمل على تصديق القرآن كواحد منها لأقل تقدير ، فليصدق . من ضمنه . البيت كقبلة!

أم ولأن في هذه الكتابات تأشيريات أم تصريحات بالكعبة المباركة كقبلة إسلامية أم وأمية إلا شطرات في تاريخ الرسالات.

ومنها ما في (أشعيا ٥٦ : ٨) حسب الأصل العبراني : «كي بيتي بيت تفيلا ييقارء لخال هاعميم» «بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الشعوب».

مع العلم ان «بيتي» صيغة خاصة للكعبة المباركة ، ولم تستعمل بهذا الإختصاص إلا فيها.

﴿وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ﴾

قَبِلْتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبْلَةٍ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ تعم كافة اهل الكتاب في الرسائل الكتابية على مدار الزمن ، فالانحيازات الكتابية . ككل . من جهة . إلا من آمن .

والعنصرية الإسرائيلية بوجه خاص ، ثم الطائفية الكتابية في الرسالة الإسرائيلية بوجه عام ، هما من الموانع لأن يتبعوا قبلك . إلا قليلا منهم . وان أتيتهم بكل آية بينة ، ثم ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعِ قِبْلَتِهِمْ﴾ سنادا إلى حجة الوحي الصارم ، وقبلة القدس المؤقتة لم تكن متبوعة لك كقبلة يهودية ، وانما «لنعلم ...» وليعلم أهل الكتاب انك لست جامدا على قبلة عنصرية أم طائفية ف ﴿مَا أَنْتَ بِتَابِعِ قِبْلَتِهِمْ﴾ تنفي هذه التبعية بأمر الله . فضلا عن سواه . من الحال حتى آخر زمن التكليف ، فهي عبارة أخرى عن انها . بعد . لا تنسخ ، قطعا لآمال أهل الكتاب ، وصدا عما يخلد بخلد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التحول الى قبلة القدس تقريبا لأهلها الى الإسلام .

ذلك! وكما نفت . عما سلف من قبلة القدس . إتباعه لها مجرد هوى أهلها ، فانه اتباع لأمر الله في مصلحة وقتية ، ثم هنا مقابلة بين حق القبلة وباطلها ، فهم ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ سلبا باطلا ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعِ قِبْلَتِهِمْ﴾ سلبا حقا .

ثم وكيف بالإمكان اتباع قبلتهم وهي بين القدس والمشرق ، فاتباع كل رفض للآخر ، فليترك اتباع الأهواء المختلفة . المستحيل تحقيقها . إلى اتباع هدى الله .

ثم ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبْلَةٍ بَعْضٍ﴾ فالبعض اليهود مستقبلون القدس على طول الخط دون تحول الى شرق المسيحي ، والبعض المسيحي مستقبلون الشرق

دون تحول الى القدس ، أفأنت تهوى . بعد . ان تتبع أهواءهم في اتباع قبلتهم لفترة أخرى حتى يتبعوا قبلتك؟.

فحتى ولو اتبع بعضهم قبلة بعض ، وأصبحت القبلة الكتابية واحدة ، ف ﴿ **مَا أَنْتَ بِتَابِعِ قِبَلَتِهِمْ** ﴾ إذ قضي أمر التحويل تمييزاً لأهل الحق عن غير أهله .  
ثم اليهود والنصارى على وحدتهم في تكذيبك هم مختلفون في قبلتهم ، فكيف يرجون أن تتبع قبلتهم؟!.

﴿ **وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** ﴾ في أي من الطقوس الكتابية ﴿ **إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ بحق الشرعة الإلهية ، بعد ما كنت من العادلين في استقبال القبلتين .

هنا «ولن...» تلمح أن الرسول كان يودّ . بعنوان ثان . التحول الى قبلة القدس فترة أخرى رغبة في تميل اليهود إلى الإسلام ، إذا ف ﴿ **قِبَلَةَ تَرْضَاهَا** ﴾ لا تعني انه لا يرضى القدس ، وإنما هو لو خلّي ونفسه كان يرجح الكعبة المباركة ، وهو . كضابطة رسالية . يجب ما أحبه الله ثم ﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ هنا هم العارفون بما في الكتاب من حق هذه الرسالة الأخيرة ، ثم ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ لا وعوامهم المشتبهون باتباعهم إلا الصامدون في تقليدهم الأعمى ، ولا كل علماء الكتاب ، فالذي يجحد بالحق وهو على علم به بأدلته ، ليس ليتحول عن نكرانه له بأدلته ، فهو من الذين ﴿ **زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ** ﴾ امتناعاً لاتباع هذه القبلة باختبار .

وهنا ﴿ **مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** ﴾ تشديد على العلماء في مسؤولية الحفاظ على ما يعلمونه حقاً ، وتنديد بهم إن تركوها كأنهم لا يعلمون ، فالإقدام على أمر جهلا هو أقل مسؤولية من الإقدام عليه بتخلف علما .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦).

إيتاء الكتاب هنا هو الإيتاء معرفيا ، دون مجرد الانتساب انه كتابي ولا يعلم الكتاب إلا أماني.

و «يعرفونه» بعد ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ دليل أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معروف لديهم في الكتاب كمعرفة الأبناء . وهي قمة المعرفة المعروفة . حيث الضمير راجع اليه دون القرآن ، فان تعبيره الصحيح . إذا . كما يعرفون كتابهم ، كما ونجد نفس الآية في الأنعام بنفس المعنى ونفس السند : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠).

ولماذا «أبناءهم» دون «آباءهم» . أو . أمهاتهم؟ لأن كلا من الأبوين يعرف ما ولده دونما استثناء ، وقد لا يعرف الولد من ولده ، إذ ولد بعد موته أم مات في صغره ، إذا فأعرف التعريف بهذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في معرفة أهل الكتاب هو ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

ويا له من معرفة نظرية بمواصفة كتابية ، تشبه معرفة حسية في قمتها ، وهم له منكرون ، مؤولين اسمه المذكور في كتبهم تارة بغير اسمه ؛ وصفا أو فعلا ، ومسقطين له عن الترجمات أخرى ، وناظرين محمدا غيره ثالثة دون حجة عليه إلا أنه غير إسرائيلي ، وقد جاء بما لا تهوى أنفسهم ، وهو مذكور باسمه ورسمه ومولده ونسبه وحسبه ولكن لا حياة لمن تنادي .  
وجوابا عن سؤال : مهما بلغت البشارات الكتابية بحق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وواضحة ، لم تأت بمعرفة له كما يعرف الأبناء ، فان هذه

حسية لا ريب فيها ، وتلك بالاسم والمواصفة وقد تعترضها ريبة؟

نقول : «يعرفونه» دون «عرفوه» مما يدل على معرفة لا حقة بعد ظهوره بآيات صدقة فإنها كافية لتصديقه رسولا مهما لم تكن هناك معرفة سابقة ، وحين تجتمعان لأهل الكتاب في مثلث : البشارات الكتابية - مماثلة الوحي الكتابي في قرآنه - بينات رسالته ، فهم - إذا - يعرفونه كما يعرفون أبناءهم دون آية ريبة وشبهة ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ الناصع اللامع ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق وأنهم كاتموه.

وقد جاء في الأصل العبراني من كتاب هوشع الآية (٧) : «بائوا يمي هفقوداه بائوا يمي هشلون يدعو ييسرائل إويل هناي مشوكاع إيش هاروح على رب عونحا ورباه مسطماه» .

«تأتي أيام التمييز ، تأتي أيام الجزاء سيعلم إسرائيل أن النبي السفية ورجل الروح مجنون لكثرة إثمك وشدة الحنق» . أجل ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾! وقد جاءت في ترجمة أخرى عنها : «بنو إسرائيل يعلمون ويعرفون ان النبي الأمي المصروع صاحب روح الهامي وصاحب الوحي» وقد قال ربي حليم ويطل في كتابه «عصحييم» إن القصد من النبي الأمي هنا هو محمد بن عبد الله الذي بعث في زمن عبد الله السلام .  
ويا لعبد الله السلام من سلام حين يجيب السائل عن هذه الآية : «لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذ رأيته مع الصبيان وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني ...»<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٧ . اخرج الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام قد انزل الله على نبيه ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فكيف يا عبد الله هذه .

أجل وهم «يعرفون محمدا والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم»<sup>(١)</sup>.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١٤٧).

وليس ذلك الخطاب . كأمثاله . يعني ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . وعودا بالله . كان من الممترين في الحق من ربه ، فإنما ذلك له تثبيت ، وللممترين من أهل الكتاب تثبيت ، ولكل دعاية ضالة تمويت وتفويت .

«الحق» كله «من ربك» الحق الرسالي بالقرآن الحكيم الذي هو كل الحق ، المحلّق

على كل حق ، إنه «من ربك» لا سواه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ

المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام يا عمر : ... فقال عمر كيف ذلك؟ قال : انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء ، فقال له عمر : وفقك الله يا ابن سلام . وفيه اخرج الطبراني عن سلمان الفارسي قال : خرجت أبتغي الدين فوقعت في الرهبان بقايا اهل الكتاب قال الله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فكانوا يقولون : هذا زمان نبي قد أطل يخرج من ارض العرب له علامات من ذلك شامة مدورة بين كتفيه خاتم النبوة .

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٨ في اصول الكافي عن الأصبع بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه يقول : فاما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى يقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ...﴾ وان فريق منهم ليكنتمون الحق وهم يعلمون. ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أنك الرسول إليهم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ وفيه في تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني رسول الله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لأن الله عز وجل قد انزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجرته وهو قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ فهذه صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه ، فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾.

**الْمُمْتَرِينَ** ﴿ فيه ، وذلك إيجاء صارم الى من وراءه من المسلمين تنبيها ، والى الناكرين من أهل الكتاب تنبيها ، ثم ومتعلق الامتراء ليس يختص بأصل رسالته ، أم وقبلته ، بل وأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون ، إذ كانوا يرتابون فيه كأهم لا يعلمون ، أم هم شاكون ﴿ **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ أنهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم ، وأنهم يكتمون حقاك وهم يعلمون.

﴿ **وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (١٤٨).

هنا محتملات حسب عديد الاحتمالات أفضلها جمعها ما لم تطارد أدب اللفظ والمعنى : «ولكل» من الناس : ملحدين ومشركين وكتائبين ومسلمين . أم «لكل» من الثلاث الآخرين ، او الآخرين ، أم المسلمين.

«وجهة» قلبية أو قلبية ، فالثانية هي القبلة لدعاء وصلاة ، والأولى هي لكل الحالات والصلوات.

«هو» الله «موليها» أيها ، أم «هو» صاحب الوجهة مولي نفسه أيها ، وهذه ستة عشر وجها في الوجهة المولاة ، تضرب في استباق الخيرات مادة ومدة وعدة وعدة فهي (٦٤) احتمالا ، والأصل في معارك الوجهات والاتجاهات هو ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ** ﴾ في كل المجالات ، فمهما كانت وجهة الملحد الماديين هي المادة قلبا وقالبا ، ووجهة المشركين . كذلك . هي الآلهة المختلفة المختلفة ، ووجهة الكتابين قبله هي القدس والمشرق ، وروحية هي مختلف اتجاهاتهم في شرعة الله ، ووجهة المسلمين كقبلة قدسا لفترة وكعبة على طول الخط ، وفي كل جهات حسب مختلف الواجهات في المعمورة وسواها ، والوجهة الروحية حسب مختلف المذاهب والاجتهادات «هو» الله «موليها» تكويننا وتشريعا ، و «هو» صاحبها «موليها» اختيارا دونما اضطرار ...

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ و ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ (٥٧ : ٢١) في ذلك المسرح الواسع الحافل بمختلف الوجهات والواجهات ، و «الخيرات» هي التي يوليها الله إياكم دون سواه ، فاجعلوا الحياة ميدان سباق في الخيرات كلها ، في كل وجهة واتجاهة قلبية وقلبية ، استباقا في موادها ومددها وعددها وعددها ، فإن استباق الخيرات والمسارعة فيها هي بعدها كأصل أصيل في الحياة ، فرضا أو نديا : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣ : ١١٤) .  
﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ. وَلَا تَكْفُلْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ (٢٣ : ٦٢).

إن استباق الخيرات والمسارعة فيها أصل حيوي تخلق على كافة النشاطات الصالحة للصالحين ، يتسابقون في الخيرات ما استطاعوا ، ويسارعون فيها ما استطاعوا ، ومن أفضل الخيرات الصلاة ، واستباقها يعم ظاهرها وباطنها وقبلتها كما هو مولئها ، وزمانها ومكانها كما أمر الله ، مجردة عن كافة الصلوات إلا بالله ، وعن كافة النزعات إلا نزعة الله ، وعن كافة الوجوه إلا وجه الله.

ذلك! ومن ثم يصرف الله المسلمين عن الانشغال بما يبثه أهل الكتاب وسواهم من دسائس وفتن في أقاويل وأفاعيل ، يصرفهم إلى استباق الخيرات حيث مصير الكل إلى الله :  
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ مكانا ومكانة ومكنة وفعلية وفاعلية ، وفي أية اتجاهه خيرة أو شريعة.  
﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ مع بعضكم البعض ليوم الجمع ، و «جميعا» مع كل أعمالكم واتجاهاتكم ليوم الحساب ، ولا يعزب عنه منكم ومن أعمالكم

شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن مجالات خاصة ل ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ حشر أصحاب ألبية القائم المهدي من آل محمد (عليهم السلام) <sup>(١)</sup> وهو من تأويل الآية ، فإن تنزيلها هو الحشر العام ليوم القيام ، ومن تأويلها هو الحشر الخاص ، ولا ينبئك مثل خبير .  
﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩).

﴿حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ هو . لأقل تقدير . خروجه عن مكة ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ ...﴾ (٨ : ٥) ﴿مَنْ قَرَّبْتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾ (٤٧ : ١٣) ، ولأكثر تقدير هو خروجه عن الحرم ، فقد يصدق الخبر : «البيت قبله لأهل المسجد

(١) نور الثقلين ١ : ١٣٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سهل بن زياد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى (عليه السلام) إني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . الى قوله في وصفه وانه غيره . يجتمع اليه أصحابه عدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أفاضي الأرض وذلك قول الله عز وجل : ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً ...﴾ وفيه باسناده الى أبي خالد الكابلي عن سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) قال : المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة اهل بدر فيصبحون بمكة وهو قول الله عز وجل : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا ...﴾.

وباسناده الى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من اصحاب القائم (عليه السلام) ليفقدون عن فرشهم ليلا فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب يعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه ، قال فقلت جعلت فداك أيهم أعظم إيمانا؟ قال : الذي يسير في السحاب نهارا.

وفيه تفسير القمي قال ابو جعفر (عليه السلام) مثله وهو قول امير المؤمنين (عليه السلام) هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله ...

وفي المجمع قال الرضا (عليه السلام) في الآية : وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان.

والمسجد قبله لأهل الحرم والحرم قبله للناس جميعاً»<sup>(١)</sup> فان الحرم هو شطر المسجد الحرام للخارج عنه ، والضابطة امكانية استقبال القبلة دون عسر ولا حرج.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠).

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ تتكرر في مسرح التحويل ثلاث مرات ، ثم ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ مرتين ، فلما ذا هذا التكرار والصيغة نفس الصيغة دوغما زائدة؟ الله ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ وفي كل مرة من الثلاث فائدة زائدة تثبتنا للقبلة الجديدة ، ففي الأولى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ إخراجا لذلك التحويل عن الباطل.

وفي الثانية ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ تثبتنا لحقه كأنه هو الحق لا سواه ، فالقبلة المكية أصيلة ، وقبلة القدس ابتلائية فرعية.

وفي الثالثة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ...﴾ ثم وفي هذا التكرار بمختلف التلحيقات تأكيد أكيد لتداوم هذه القبلة ، وكما في تكرر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عدّه مرات ، تلحيفا بها لكل مقطع من مقاطع البيان لذكر نعم الرحمان ، ثم وفيها رابعة التأشير أن القبلة المكية هي الكعبة المباركة دون القدس ، حيث الابتلاء يقدر بقدر الضرورة ، ولا سيما إذا كان فيه حجة على المبطلين ، فالضرورات تقدر بقدرها ، وما هي الضرورة الابتلائية أن يكون

(١) وسائل الشيعة أبواب القبلة ب ٣ ح ١ و ٣.

القدس هو القبلة منذ بزوغ الإسلام إلى أشهر في المدينة ، خلقا لجوّ الحجة على المؤمنين من قبل المشركين <sup>(١)</sup> والكتابين ، وصدا عن دخول العرب . الهائمين الى الكعبة المباركة . في هذا الدين؟! فابتلائية قبلة القدس . بما تخلف حجة على المسلمين . وعلى رسول الإسلام أيضا إذ هم عارفون من كتبهم ان قبلة هذا الرسول هي الكعبة المباركة ، فلما صلى . لفترة . الى القدس أخذوا يحتجون عليه انه ليس هو الرسول الموعود! . هذه الابتلائية غير صالحة إلا لقضاء الابتلاء ، وظرفه الصالح هو بداية العهد المدني ، بلورة لصالح المؤمنين عن طالحهم ، وما إضافة العهد المكي إلى أشهر الابتلاء المدني ، إلا زيادة لحجة اليهود ، إضافة الى حجة العرب في رفضهم لهذا الدين .

و «الناس» هنا كما الناس في ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ هم السفهاء من الناس ، مشركين وكتابين ، فان كلاً كان يحتج على الرسول والمسلمين «ما ولاهم...» .  
وهنا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ استثناء لجماعة خصوص منهم استمرارا لحجتهم على المسلمين ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ فان حجتهم داحضة عند ربهم ، وذابطة بعد تحوّل القبلة إلى الكعبة المباركة . ثم وفي ذلك التحويل إضافة الى سلبية حجتهم إيجابية إتمام النعمة والاهتداء .

﴿وَلَا تُمِّنْ بِغَمَّتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فقبلة الكعبة إتمام للنعمة ،

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٨ . اخرج ابن جرير من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا لما صرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو الكعبة بعد صلاته الى بيت المقدس قال المشركون من اهل مكة تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم انكم أهدى منه سبيلا ويوشك أن يدخل في دينكم فانزل الله ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً﴾ .

واهتداء كما قال الله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ .  
 وقد تحمل «لأتم وتهدون» بشارة لفتح مكة كما تحملها آية الفتح : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ  
 فَتْحًا مُّبِينًا لِيُفْعَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ...﴾ .  
 ومن أهم النعم التامة الاعتصام بحبل الله جميعا : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ  
 أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ .  
 ثم ومن أهمها في مظاهر العبودية الاتجاه الى قبلة واحدة هي أول بيت وضع للناس ،  
 مثابة وأما وهدى وقياماً ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ...﴾ .

### كلام فيه ختام حول القبلة

القبلة هي هيئة خاصة للمقابلة ، فهي تعم المستقبل اليه ، فان لكل هيئة خاصة  
 للمقابلة ، فشطر المسجد الحرام نص أم ظاهر كالنص في أن قبلة النائي عن مكة المعظمة  
 هي ناحية المسجد الحرام ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ تحلق على ذلك الاستقبال أولا لسكنة المعمورة  
 كلها ، ثم سكان سائر المعمورات ، إلا ان شطر المسجد الحرام لهم هو الكرة الأرضية ككل  
 ، ولا يخص شطره ، الناحية القاطعة له إلى الكعبة المباركة . فقط . سطح الأرضية ، بل شطره  
 في العمود الذي يربط الكون كله بسماواته وأرضيه ، كما الكعبة المباركة ممتدة من ناحيتها  
 فوق وتحت الى أعماق السماوات .  
 ثم الداخل في مكة المكرمة ، هل يستقبل . كما الخارج . شطر المسجد الحرام أم عينه؟  
 طبعاً عينه ما أمكن حيث الشطر قبلة النائين كضابطة ، وإلا

فالأقرب الى العين فالأقرب ، دون شرطه كضابطة <sup>(١)</sup> ... والداخل في المسجد الحرام يستقبل الكعبة المباركة من جوانبها ، وندب الصلاة جماعة أو فرضها يقتضي صحة صلاة الجماعة الدائرية حول البيت بإمام واحد ، ولو كانت محظورة لورد فيها نهي ، وهل الداخل في البيت يصلي كالعادة إلى أيّ من جوانبها؟ قد يقال : لا ، لأنه هو القبلة من خارجه دون جوفه ، وقد ورد في الصحيح : « لا تصل المكتوبة في جوف الكعبة فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدخلها في حج ولا عمرة ولكنه دخلها في الفتح وصلى فيها ركعتين بين ميري العمودين ومعه اسامة ابن زيد» <sup>(٢)</sup> وفي آخر «لما دخل

(١) في صحيحة زرارة عن أبي جعفر (عليهما السلام): يجزي التحري ابدأ إذا لم يعلم أين وجه القبلة. (الوسائل أبواب القبلة ب ٦ ح ١).

وعن تفسير النعماني باسناده عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) في قوله تعالى : ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال : معنى شرطه نحوه إن كان مرثياً وبالدلالات والأعلام ان كان محجوباً ، فلو علمت القبلة وجب استقبالها والتولي والتوجه إليها ، ولو لم يكن الدليل عليها موجوداً حتى تستوي الجهات كلها فله ان يصلي باجتهاده حيث أحب واختار حتى يكون على يقين من الدلالات المنصوبة والعلامات الماثورة ، فإن مال عن هذه الوجوه مع ما ذكرناه حتى يجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً زال معنى اجتهاده وفسد حال اعتقاده. (الوسائل أبواب القبلة ب ٦ ح ٤).

(٢) الوسائل أبواب القبلة ب ١٧ ح ٣ و ١ صحيحتان فالصحيحة الاولى عن معاوية عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) والثانية عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال : لا تصل المكتوبة في الكعبة ، وأورده مثله في صحيح البخاري حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن سيف قال سمعت مجاهداً قال : أتى ابن عمر فقيل له : هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل الكعبة ، فقال ابن عمر : فأقبلت والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد خرج وأجد بلالا قائماً بين البابين فسألت بلالا فقلت : أصلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكعبة؟ قال : نعم ركعتين بين الساريتين اللتين على يساره إذا دخلت ثم خرج فصلّى.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال : هذه القبلة»<sup>(١)</sup>.

ولكن النهي عن الصلاة فيها هو أعم من التحريم والتنزيه ، وتحريمه أيضا أعم من أن جوفها ليست قبلة ، مع العلم أنها أصل القبلة ، وقد يعني النهي رعاية حرمة البيت ، ورعاية الجماعة القائمة حول البيت ، وكما تدل عليه الموثقة : «إذا حضرت المكتوبة وأنا في الكعبة أفأصلي فيها؟ قال : صل»<sup>(٢)</sup> إلا أن «هذه القبلة» تعارض نصا «قال صل» فالأحوط إن لم يكن الأقوى ترك الفريضة في جوفها ، وان كان الأشبه صحة الصلاة فيها فان «هذه القبلة» لا تنفي كون جوفها أيضا قبلة كما ظاهرها ، كذلك والصلاة على سطح الكعبة ، حيث العمود الأسطواني من مكان البيت قبلة في طرفيه إلى أعنان السماء ، والاستلقاء على السطح استلغاء لكون الأسطوانة قبلة ، وتشكيك أو الغاء لصحة صلوات الساكنين أو الكائنين في محلات أرفع من البيت!.

وترى إذا فقد العلم أو والظن بشرط المسجد الحرام ، فهل يصلي الى أربع جهات لمرسلة يتيمة<sup>(٣)</sup> لا توافق الكتاب ولا السنة؟ مع العلم انه ليست عليه

(١) موثقة يونس بن يعقوب قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) إذا حضرت الصلاة المكتوبة ...

(٢) صحيح البخاري حدثنا إسحاق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريح عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال لما دخل ...

(٣) هي مرسله قريش عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت : جعلت فداك إن هؤلاء المخالفين علينا يقولون : إذا أطبقت السماء علينا او اظلمت فلم نعرف السماء كنا وأنتم سواء في الاجتهاد؟ فقال : ليس كما يقولون ، إذا كان ذلك فليصل لأربع وجوه.

وعن الفقيه «وقد روي فيمن لا يهتدي الى القبلة في مفازة انه يصلي الى اربع جوانب» أقول : وأظنها

هي نفس مرسله خراش.

إلا صلاة واحدة حتى مع تقصيره في اجتهاد القبلة فضلا عن قصوره! وحتى إذا أريد بذلك  
درك القبلة فصلوات ثلاث هي الكافية ، فان بين المشرق والمغرب قبلة!.

أم يصلي لجهة واحدة ، لذلك ، ولصحيحة الفاضلين عن أبي جعفر الباقر (عليه  
السلام): «يجزي المتحير أبدا اين ما توجه إذا لم يعلم وجه القبلة»<sup>(١)</sup> و «المتحير» أعم من  
القاصر والمقصر .

ثم ولا ريب في أجزاء صلاة واحدة أم أقل من الأربع في تضييق الوقت مع الاحتمال  
الأول ، وترى حين ينحرف عن القبلة قاصرا يمينا أو شمالا أم بينهما ثم تتبين هل يعيد أم  
تجزئه؟ الظاهر «قد مضت صلاته وما بين المشرق والمغرب قبلة»<sup>(٢)</sup>.

وإذا زاد الانحراف كأن يستدبرها أمّا شابه أعادها في الوقت دون خارجه<sup>(٣)</sup> حيث  
الميسور في الوقت لم يتجاوز ما أداه فلا إعادته خارجه ،

(١) هي صحيحة زارة ومحمد بن مسلم المروية في الفقيه عن أبي جعفر (عليهما السلام) انه قال : ...

(٢) تدل عليه صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت له : الرجل يقوم في الصلاة ثم  
ينظر بعد ما فرغ فيرى انه قد انحرف عن القبلة يمينا او شمالا؟ فقال : «قد مضت صلاته وما بين المشرق والمغرب  
قبلة» وموثقة عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) رجل صلى لغير القبلة فيعلم وهو في الصلاة قبل ان يفرغ من  
صلاته؟ قال : ان كان متوجها فيما بين المشرق والمغرب فليحول وجهه الى القبلة ساعة يعلم ، وان كان متوجها  
الى دبر القبلة فليقطع الصلاة ثم يحول وجهه الى القبلة ثم يفتح الصلاة (الوسائل أبواب القبلة ب ١٠ ح ١ .

(٣) تدل عليه صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «إذا صليت وأنت على  
غير القبلة واستبان لك انك صليت وأنت على غير القبلة وأنت في وقت فأعد وان فاتك الوقت فلا تعد»  
وصحيحة سليمان بن خالد قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) الرجل يكون .

والمستدبر فيها والوقت باق لم يأت بما عليه مهما أخطأ.

وعلى أية حال فواجب القبلة . عينا أو شطرا أما بين المشرق والمغرب . هو المستطاع ، لا يجوز البعيد عنها ما أمكن القريب لها ، وإذا كنت على راحلة متحولة عن القبلة إلى جهات ، فلتتحول ما أمكنك ، إلا في عسر أو حرج فجهة واحدة ، لا سيما بين المشرق والمغرب فإنه قبلة المقدور على أية حال.

ومن اللائح اللامع من الكتاب والسنة عدم وجوب الاجتهاد للقبلة إلا حسب الميسور المتعود بين عامة الناس ، دون الدراسات الهندسية والنجومية أما هي ، التي لا تيسر إلا لجماعة خصوص ، إلا إذا شاعت نتائج هذه الدراسات بمتناول سائر الجموع ، فهي . إذا . تصبح من الميسور ، فهي . إذا . واجب كل الجموع ، اللهم إلا من يهتدي على شياعها . ولقد بذلت مساعي عدة لتعيين القبلة لساكني المعمورة ، بعد ما كان المسلمون يعتمدون على الظن والحسبان باي نحو كان ، فاستنهض الحاجة العامة في ذلك الحقل جمعا من العلماء الرياضيين تقريبا للقبلة إلى التحقيق<sup>(١)</sup>

. في قفر من الأرض في يوم غيم فيصلي لغير القبلة ثم يضحى فيعلم انه صلى لغير القبلة كيف يصنع؟ قال : «ان كان في وقت فليعد صلاته وان كن الوقت قد مضى فحسب اجتهاده» (الوسائل أبواب القبلة ب ١١ ح ٥ و ٦) أقول : وإطلاقهما مقيد بالاخبار رقم (١٢٦). او يقال : بين المشرق والمغرب قبلة فلا انحراف . إذا . عن القبلة في غير الاستدبار كما تدل عليه صحيحة زرارة عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال : لا صلاة إلا الى القبلة ، قال قلت : اين حد القبلة؟ قال : بين المشرق والمغرب قبلة كله ، قال قلت : فمن صلى لغير القبلة او في يوم غيم في غير الوقت ، قال : يعيد.

(١) فقد استفادوا من الجداول الموضوعية في الزيجات لبيان عرض البلاد وطولها ، واستخرجوا انحراف مكة عن نقطة الجنوب في البلد ، اي انحراف الخط الموصول بين البلد ومكة عن الخط الموصول بين البلد ونقطة الجنوب (خط نصف النهار) بحساب الجيوب والمثلثات ، ثم عينوا ذلك .

ثم وتسريعا وتسهيلا لذلك عملوا الآلة المغناطيسية المعروفة بالحك<sup>(١)</sup> ولأنها لم تخل من الشبهة والنقصان ، قام المغفور له السردار الكابلي باستخراج الانحراف القبلي بأصول حديثة ، وحصل . من ضمنها . على استقامة كاملة للمحراب الخاص في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة المنورة<sup>(٢)</sup> ثم

. في كل بلدة من بلاد الإسلام بالدائرة الهندية المعروفة المعينة لخط نصف النهار ، ثم درجات الانحراف وخط القبلة.

(١) هذه الآلة بعقرتها تعين جهة الشمال والجنوب فتنبؤ عن الدائرة الهندية في تعيين نقطة الجنوب ، وبالعلم بدرجة الخراف البلد يمكن للمستعمل ان يشخص جهة القبلة

(٢) ولأن هذه الآلة تبين فيها الاشتباه من الجهتين جميعا . طولا وعرضا . : فان المتأخرين من الرياضيين عثروا على ان المتقدمين اشتبه عليهم الأمر في تشخيص الطول ، واختل بذلك حساب الانحراف فتشخيص جهة الكعبة ، وذلك ان طريقهم الى تشخيص عرض البلاد . وهو ضبط ارتفاع القطب الشمالي . كان اقرب الى التحقيق ، بخلاف الطريق الى تشخيص الطول ، وهو ضبط المسافة بين النقطتين المشتركتين في حادثة سماوية مشتركة كالخسوف بمقدار سير الشمس حسا عندهم ، وهو التقدير بالساعة ، فقد كان هذا بالوسائل القديمة عسيرا وعلى غير دقة ، لكن توفر الوسائل وقرب الروابط اليوم سهّل الأمر كل التسهيل فلم تزل الحاجة قائمة على ساق ، حتى قام الشيخ الفاضل البارع الشهير بالسردار الكابلي . رحمه الله . في هذه الأواخر بهذا الشأن فاستخرج الانحراف القبلي بالأصول الحديثة وعمل فيه رسالته المعروفة بتحفة الأجلة في معرفة القبلة وهي رسالة ظريفة بيّن فيها طريق عمل استخراج القبلة بالبيان الرياضي ، ووضع فيها جداول لتعيين قبلة البلاد .

ومن ألطف ما وفق له في وسعيه . شكر الله سعيه . ما اظهر به كرامة باهرة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في محرابه المحفوظ في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة ٢٥ ٢٥ . وذلك ان المدينة على ما حاسبه القدماء كانت ذات عرض ٢٥ درجة وطول ٧٥ درجة و ٢٠ دقيقة ، وكانت لا توافقه قبلة محراب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجده ، ولذلك كان العلماء لا يزالون باحثين في امر قبلة المحراب ، وربما ذكروا في الخرافة وجوها لا تصدقها حقيقة الأمر ، لكنه . رحمه الله . أوضح ان المدينة على عرض ٢٤ درجة ٥٧ دقيقة وطول ٣٩ درجة ٥٩ دقيقة ، وانحراف درجة ٤٥ دقيقة تقريبا ، وانطبق ذلك قبلة محراب أحسن الانطباق وبتد بذلك كرامة .

استخرجت بعده قبلة أكثر بقاع الأرض<sup>(١)</sup> وأخيرا فيما يقرب من ألف بقعة من بقاع الأرض أدق منها<sup>(٢)</sup> شكر الله مساعيهم.

وترى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولى وجهه . عند تحول القبلة . شطر المسجد الحرام ، دون عينه أو عين الكعبة ، وجبريل (عليه السلام) هو الذي ولاه بأمر الله! . إنه . بطبيعة الحال . ولى وجهه الشطر الخاص الذي يوافي المسجد الحرام والكعبة ، لكن المسلمون لهم أمر عام «وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» وأين شطر من شطر؟ شطر يحوله الله إياه ، وشطر يتحول اليه من سواه ، كما

. باهرة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبلته التي وجهه إليها وهو في الصلاة ، وذكر ان جبرئيل أخذ بيده وحول وجهه إلى الكعبة ، صدق الله ورسوله.

(١) استخرجه المهندس الفاضل الزعيم عبد الرزاق البغاثري رحمه الله ونشر فيها رسالة في معرفة القبلة ، وهي جداول يذكر فيها الف وخمسمائة بقعة من بقاع الأرض وبذلك تمت النعمة في تشخيص القبلة. ولان الجهة الثانية وهي الجهة المغناطيسية غير دقيقة ، فإنهم وجدوا ان القطبين المغناطيسيين في الكرة الأرضية غير منطبقين على القطبين الجغرافيين منها ، فان القطب المغناطيسي الشمالي مثلا ، على انه متغير بمرور الزمان ، بينه وبين القطب الجغرافي الشمالي ما يقرب من ألف ميل ، وعلى هذا فالحد لا يشخص القطب الجنوبي الجغرافي بعينه ، بل ربما بلغ التفاوت إلى ما لا يتسامح فيه ، لذلك :

(٢) قد أهض هذا ، المهندس الرياضي الفاضل الزعيم حسين علي رزم آرا في سنة ١٣٣٢ هجرته شمسية على حل هذه المعضلة واستخراج مقدار التفاوت بين القطبين الجغرافي والمغناطيسي بحسب النقاط المختلفة ، وتشخيص انحراف القبلة من القطب المغناطيسي فيما يقرب من الف بقعة من بقاع الأرض ، واختراع حدّ يتضمن التقريب القريب من التحقيق في تشخيص القبلة ، وهو اليوم دائر معمول . شكر الله سعيد (الميزان لاستاذنا العلامة الطباطبائي قدس الله روحه (ج ١ : ٣٣٥ - ٣٣٧).

ثبت بحساب العرض والطول الجغرافي أن محرابه (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة مواجه للقبلة بصورة دقيقة!

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١).

«وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة .. ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون». ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ من ولد باني القبلة ، فإن هذه الرسالة السامية أصل لتمام النعمة وكما الهداية ، كذلك فلتكن قبلتها أهدى قبلة ، وأنعم نعمة على الأمة الأخيرة . إذا : ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ (١٥٢).

وذكر الله ثلاثة ، رأس الزاوية فيها هو الذكر الخفي بالقلب وبكلّ مراحل الروح ، ثم الجلي بالأعمال ، ثم الجلي بالأقوال ، إذا فالذكر أحوالي وأعمالي وأقوالي : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٦ : ٢٠٤). ولكلّ درجات حتى تصل الى القمة العاصمة عن كل عصيان ونسيان وخطأ وهي تختص بالمخلصين المعصومين ، وأفضل الذكر هو الجمع بين المراحل الثلاث ، ثم أفضله الأوليان ، ومن ثم الأولى ، وأعدله ما تساوى فيه الخفي والجلي ، اللهم إلا ذودا عن رثاء الناس ، ثم و «أفضل الذكر لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

والذكر . أيا كان . قد يقابل الغفلة : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ (١٨ : ٢٨) وأخرى يقابل النسيان : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (١٨ : ٢٤) وقد

(١) الدر المنثور ١ : ١٥٤ . اخرج الخرائطي عن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الشكر الحمد لله.

يشتركان في غائب العلم فالغفلة عنه والنسيان ، إذا فأصل الذكر هو للقلب وأصحابه عقلا وصدرا ولبا وفؤادا ، ثم يتجلى في القلب أعمالا وأقوالا. «... أما إني لا أقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وإن كان هذا من ذاك ، ولكن ذكر الله في كل موطن ، إذا هجمت على طاعته أو معصيته»<sup>(١)</sup>.

والعصيان أيا كان إنما هو من حصائل الغفلة والنسيان وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث قدسي : «إذا علمت أن الغالب على عبدي الإشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي ، فإذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو ، أولئك أوليائي حقا ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين إذا أردت أن أهلك أهل الأرض عقوبة ذويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال»<sup>(٣)</sup>.

وقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أصحابه فقال : ارتعوا في رياض الجنة ، قالوا : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما

(١) في المعاني عن الحسين بنزاز قال قال لي ابو عبد الله (عليه السلام): ألا أحدثك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قلت : بلى . قال : «انصاف الناس من نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن أما إني ...».

(٢) الدر المنثور ١ : ١٤٩ . اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الایمان عن خالد بن أبي عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

(٣) في عدة الداعي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قال سبحانه : إذا علمت ...

رياض الجنة؟ قال : مجالس الذكر ، أغدوا وروحوا واذكروا ، ومن كان يجب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه ، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليكمم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى فانه تعالى أخير عن نفسه فقال : أنا جليس من ذكرني .. وقال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بنعمتي ، اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعمة والإحسان والراحة والرضوان (١).

ثم الذكر في «فاذكروني» غيره في «أذكركم» فان الله لا يغفل ولا ينسى ، فإنما هو أثر الذكر ، ان يرحم عبده في مواقفه ومنها مغفرته ، دفعا عن العصيان حين اقتراه ، ام رفعا للعصيان بعد اقتراه ، وكما يروى عن رسول الذكر (صلى الله عليه وآله وسلم) تفسيراً لآية الذكر : «اذكروني يا معاشر العباد بطاعتي أذكركم بمغفرتي» (٢) ف «طاعتي» تعم فعل الواجب وترك الحرام ، و «مغفرتي» تعم الدفع والرفع ، والأول للأولين في ذكر الله وطاعته ، والثاني لمن بعدهم الآخرين ، ثم العصيان حالة الغفلة والنسيان ، هو أدنى من العصيان حالة الذكر فإنه طغيان «فحق على الله ان يذكر صاحبه بمقت» (٣).

(١) عدة الداعي قال : وروي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد خرج على أصحابه فقال : ...  
(٢) الدر المنثور ١ : ١٤٨ . أخرج ابو الشيخ والديلمي من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يقول : ...  
(٣) وفيه أخرج ابن لال والديلمي وابن عساكر عن أبي هند الداري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله بزيادة : فمن ذكرني وهو مطيع فحق علي ان اذكره بمغفرتي ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي ان اذكره بمقت.

ثم ونسيان ذكر الله كفر به وكفران ، وذكره شكر وشكران ، فقد قال موسى يا رب أخبرني كيف أشكرك؟ قال : «تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني» <sup>(١)</sup> «كفرتني» تعني سترتني عن نفسك سترًا لنفسك عني بعدا معرفيا ، وهي مختلف عن «كفرت بي» فهذا كفر وذاك كفران.

«فاذكروني» الظاهر في ذكر الله الدافع الى طاعته تقوى قد تشمل ذكره . أيضا . حال معصيته طغوى ، فهي هنا أمر تعجيز وتهديد ، كما الأول أمر تحجيز وتمديد ، وكما يروى «أوحى الله إلى داود قل للظلمة لا يذكروني فإن حقا عليّ أذكر من ذكرني وإن ذكرني إياهم أن ألعنهم» <sup>(٢)</sup>.

إذا ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ كما تعني الكفران بالنسيان ، كذلك تعني الكفر بالذكر حالة الطغيان في العصيان ، ولأن «أذكركم» هي كجزاء ل «فاذكروني» فلتكن أوسع من شرطها كما قال الله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ فكذلك الله في مسرح الذكر حيث يقول : «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وإن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» <sup>(٣)</sup> ويقول : «لا يذكرني أحد في نفسه إلا ذكرته في ملاء»

(١) الدر المنثور ١ : ١٤٨ . اخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن زيد بن اسلم ان موسى (عليه السلام) قال : ...

(٢) المصدر أخرج ابن أبي شيبة في المصنف واحمد في الزهد والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ...

(٣) المصدر أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله : ...

من ملائكتي ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»<sup>(١)</sup> ف «أحب الأعمال الى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»<sup>(٢)</sup> ف «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكر الله تعالى فيها»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ وأول معرفة النعمة أنها من الله ، ف «ما أنعم الله على عبده من نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب له شكرها قبل أن يحمده...»<sup>(٤)</sup>.  
ثم النظر الصالح في مسرح الحياة لمرضات الله تعالى ، ف «من نظر في الدين إلى من فوقه وفي الدنيا الى من تحته كتبه الله صابرا شاكرا ، ومن نظر في الدين إلى من تحته ونظر في الدنيا إلى من فوقه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا»<sup>(٥)</sup>.

ثم أن يصرف كل ما أنعمه الله في مرضاته ، وبالتالي كأرفع الشكر ان يعترف بعجزه عن شكر ربه كما قال موسى (عليه السلام) يوم الطور : يا رب إن أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن أنا

(١) المصدر أخرج الطبراني عن معاذ بن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله عز وجل ذكره : ...

(٢) المصدر عن مالك بن يخامر ان معاذ بن جبل قال ان آخر كلام فارقت عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان قلت اي الأعمال أحب الى الله؟ قال : ان تموت ...

(٣) المصدر أخرج الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

(٤) الدر المنثور ١ : ١٥٣ عن عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : «وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له ذلك قبل ان يستغفره ان الرجل ليشتري الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له».

(٥) المصدر اخرج البيهقي عن انس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟ قال : «يا موسى الآن شكرتني»<sup>(١)</sup>.  
ثم وترك كل مرتبة من الشكر كقر حسبها بمعنى الكفران ، اللهم إلا ذكرا لنعمته وكفرا بالمنعم فمكفر بالله. وكما الذكر درجات كذلك الشكر درجات ، والنسيان والكفران والكفر . أيضا . دركات : ففي الشكر تبدأ بالاعتراف بفضل الله وان كل النعم هي من الله ، وتنتهي بالتجرد لشكره في كل حقول المعرفة والعمل والاعتراف بالعجز عن شكره ، في كل حركة بدن ، وكل لفظة لسان ، وفي كل خفقة قلب ، وفي كل خطرة جنان ، وبين المبدء والمنتهى متوسطات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَدْرَأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣).

الصبر كاستقامة سلبية حفاظا على كيان الإيمان هو الناحية السلبية من كلمة التوحيد ، كما الصلاة قوامه إيجابية . تداوم التكامل لحاصل الإيمان . هو الناحية الإيجابية لكلمة التوحيد ، فالصبر ككل يعني الشطر الأول لهذه الكلمة ، والصلاة ككل للشطر الثاني ، و ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ تأكيد للمرحلة الأولى فإنها أهم من الثانية ، وهذه المعية الربانية للصابرين كافلة لصالح المرحلة الثانية . هنا ترجح ميزانية الصبر حيث المسرح يستقبل حكم الجهاد بملاقات الأحوال ومقارعة الأبطال فالاهتمام بالصبر فيه أهم ، وهناك في أخرى ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٧ : ٤٥) ترجح ميزانية الصلاة لأنها كأصل وضابطة خير موضوع وهي عمود الدين ، ونظرا إلى احتمال ثان «إنها» تعني الاستعانة بكلا الصبر والصلاة ، فهما . إذا . ردف بعض ولصق بعض في حظيرة الإيمان ، مهما

اختلفت مجالاته في تأثير أهم لأحدهما صبرا او صلاة ، وقد فصلنا القول فيهما على ضوء آية الخاشعين ، وأن من الصبر ممدوح مأمور به ، ومنه مقبوح منهى عنه كالصبر على الظلم والضمير.

والاستعانة بالصبر والصلاة في كل المجالات لها دور عظيم عميم لإدارة الشؤون الحيوية الإيمانية ، فردية وجماعية في كل الحقول ، ولا سيما في حقل الجهاد ، فانه للمسلمين حياذ ومهاد وسداد ، فعلى الأنفس المؤمنة أن تكون مشدودة الأعصاب ، شديدة الاعتصاب ، مجندة القوى ، يقظة للمداخل والمخارج ، وللداخل والدخيل والخارج ، والزاد الأول في كل ذلك هو الصبر ، صبرا عن المعاصي وعلى الطاعات ، وعلى جهاد المشايق الله ، والكائدين بشرعة الله ، وصبرا على بقاء النصر ، وعلى بعد الشقة وعلى كل مشقة في هذه السبيل الشاقة الطويلة ، وعلى انتفاش الباطل وقلة الناصر ، وعلى التواء النفوس وضلال القلوب وثقله العناد ومضاضة الأغراض ، ومن «استقبل البلايا بالرحب وصبر على سكينه ووقار فهو من الخاص ونصيبه» ما قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وحين يقل الصبر أو يكلّ فالصلاة ، وإنما المعنى الذي لا ينصب ، والزاد الذي لا ينفد ، تجدد الطاقة الكليّة ، وتزود القلوب العليّة ، فيمتد . إذا . جبل الصبر دونما انقطاع ، ف ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ، ومن الصبر في المقال بعد الصبر في الحال والفعال : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤).

(١) نور الثقلين ١ : ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) : ... وفيه عن تفسير العياشي عن الفضيل عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال : يا فضيل ! بلغ من لقيت من موالينا عنا السلام وقل لهم إني أقول : إني لا أغني عنكم من الله شيئا إلا بورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم عليكم بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين.

هذه من الآيات الدالات على الحياة البرزخية ، تختص هنا بمن يقتل في سبيل الله لمناسبة المسرح والموقف ، ف «أموات» هنا يعني موت الفوت الذي ليس فيه ولا بعده حياة ، فهو الموت المطلق ، لا مطلق الموت الذي قد تصاحبه حياة تعنيها «بل أحياء» فهم أحياء بعد موتهم ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ حسياً أنهم أحياء ، فاشعروا معرفياً بما يعرفكم الله أنهم «أحياء».

وإنها ليست . فقط . حياة الذكر بعد الموت ، فما هي الفائدة للميت دون حياة أن تكون له حياة الذكر وهو لا يشعرها ، ثم الثانية النظرية لها ، الشارحة لحياتها أكثر منها ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ ... وَيَسْتَبْشِرُونَ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣ : ١٦٩) تصريحات لا حول عنها لواقع الحياة بعد الموت دون حياة التخيلات ، وسوف تأتي على تفصيل القول عند تفسيرها.

إنهم يعيشون بعد موتهم «في الجنة على صور أبدانهم»<sup>(١)</sup> «في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»<sup>(٢)</sup> ، وفي صيغة ثالثة «إن الأرواح في صفة الأجساد»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر في المجمع عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أرواح المؤمنين؟ فقال : في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان.

(٢) المصدر عن المجمع عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا فقال : ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت : يقولون : في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش ، فقال ابو عبد الله (عليه السلام) : سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر ، يا يونس! المؤمن إذا قبضه الله تعالى صبر روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ...».

(٣) في الكافي عن الصادق (عليه السلام): ... في شجر من الجنة تعارف وتساءل فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول دعوها فانها قد أقفلت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان ، .

وما أقبحها فرية على رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم «في صورة طير بيض تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش»<sup>(١)</sup>.

فلو أنها . فقط . حياة الذكر ، فكيف «لا يشعرون؟» وحتى الماديين الناكرين للحشر يمشون وراء حياة الذكر ، رغم أنها لهم خيال على خيال ، فان حياة الذكر إنما يشعروها ويعمل على تحصيلها من له حياة بعد الموت حتى يلتذ بحياة الذكر فيها.

وان حب حياة الذكر . الفطري . هو من الأدلة الفطرية على استمرارية الحياة بعد الموت ، وهو من الحجج الدامغة على ناكري الحياة بعد الموت ، إذا لو لم تكن بعد الموت حياة ، فأى دافع لمن يبطل حياته لبقاء آخرين ، وأن يحرم نفسه لذاتها ليمتتع آخرون ، حيث العاقل . أيا كان . لا يعطي إلا استعطاء بديل ما يعطي ، إما هنا أم في الحياة الأخرى ، وليست حياة الذكر لها دور إلا لمن يحيى بعد موته حتى يشعر تلك الحياة ، وإذ لا حياة فلا شعور للذكر حتى يجهد في تحصيله!.

وقيلة القائل : ان الخطاب في «لا تقولوا» موجه الى المؤمنين الذين يعتقدون في الحياة بعد الموت كأصل ثالث من الدين ، فكيف بينها عن قائلهم هذه وهم مؤمنون؟ فلتكن «بل أحياء» حياة الذكر!.

إنها مردودة عليهم ، بان الحياة البرزخية لم تكن باهرة لهم كحياة القيامة ،

. فان قالت لهم : تركته حيا ارجوه ، وان قالت لهم : قد هلك قالوا : قد هوى هوى.

(١). الدر المنثور ١ : ١٥٥ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) في صورة ... ، وفيه عن كعب بن مالك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان ارواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة او شجر الجنة.

وهذه هي الثالثة من أصول الدين ، وأما البرزخية التي يشك فيها حتى الآن جماعة من المسلمين ، منهم قائل هذه القيلة . فلم تكن بذلك الظهور ، فلتذكر لهم يمثل هذه الذكريات التي تحملها الآيات البرزخية الباهضة ، الناهضة لما فوق العشرين! .

ثم وحياة الذكر أيضا . إضافة إلى أنها لائحة حتى للماديين . هي كذلك تتطلب حياة بعد الموت تدرك فيها كلدة من ملاذها! وإذا لا تدرك إذ لا حياة بين الدنيا والآخرة فكيف يرغب القرآن المؤمنين إلى حياة تخيلية لا واقع لها؟! .

فالقول إن ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ قد تعني الحياة الأخرى ، يرده ان الإعتقاد فيها هو من أوليات العقائد الإسلامية التي ابتدأ الإسلام بها ، ثم العبارة الصالحة لخصوصها «بل هم يحيون» دون «أحياء» الدالة على استمرارية الحياة دون فوت ، فلنستعن بالله صبرا . فيما نستعين . بالصبر على أمثال هذه الأقاويل ، والرد عليها بنصوص من القرآن كهذه وأضرابها .

وهنا احتمالات أخرى لا تحملها هذه الآية وأضرابها الصريحة في الحياة البرزخية (١) ... وترى الآية . بعد . مختصة بحياة الشهداء ، نافية لحياة غيرهم من السعداء والأشقياء؟ كلاً! فان هذه الحياة الخاصة رزقا عند ربهم ، هي للنبين أخص ، وليسوا كلهم ولا جلهم من الشهداء ، كما وفي غيرهم من هو أفضل من بعض الشهداء ، فلما ذا تختص هذه الكرامة . فقط . بالشهداء! ثم وإثبات الحياة البرزخية للشهداء ، ليس لينفيها عن غير الشهداء ، لا سيما وأن المجال هنا مجال الترغيب للقتال في سبيل الله ، وجبر خواطر أهلهم أن افتقدوهم ، فلكل مجال قال ، كما لكل قال مجال .

(١) أخرجه مالك والشيخان عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) . كالقول انها حياة الهدى ، الظاهرة في الأخرى ، ام استمرارية الحياة الدنيا بنفس هذا البدن ام حياة روحانية محضة دون اي جسم ، ام حياة أرواحهم في أجساد اخرى غير أجسادهم ، اما دامت تقولات زور لا سند لها إلا تطفلات! ...

ومن ثم فعشرات من الآيات الدالة على الحياة البرزخية لكافة المكلفين ، مؤمنين وكافرين ، إنها تدلنا دلالة قاطعة لا محيد عنها على شمولية الحياة البرزخية دونما استثناء! وسوف نوافيكم بقول فصل حول الحياة البرزخية على أضواءها في محالها حسب دلالاتها وأدلتها.

ثم وفي رجعة ثانية الى الآية ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ نهي عن قولة الممات للشهداء ، وطبعا في حقل «مات وفات» ثم لا حياة بعد ما مات أبدا ، ولا يقوله مسلم ، أم لا حياة في البرزخ بين حياتي الأولى والأخرى كما كان يظنه المسلمون فيمن سواهم ولما يبين لهم برزخ الحياة ، فهذا من البيان : «لا تقولوا . هم . أموات» «بل» قولوا «أحياء» وان لم تشعرُوا تلك الحياة ، وقد يشعركم إياها حالة النوم : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ...﴾ (٣٩ : ٤٢) ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ...﴾ (٦ : ٦٠).

انهم قتلوا في ظاهر الجسد الدنيوي ، وما يشعركم أنهم . كذلك . قتلوا في الروح وفي جسد آخر هما غير محسوسان ، فحين يخبرنا ربنا ﴿بَلْ أحياء﴾ نصدقه كما نصدق الحياة المحسوسة وأخرى ، حيث الوحي أخرى بالتصديق من الحسن وأقوى .  
أجل! «أحياء» أحياء من قسم كثير من الأحياء في البرزخ ، ولذلك لا يغسلون كما يغسل الموتى ، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها ، فالغسل تطهير للجسد الميت وهم لا يحكم عليهم . بقتلهم . حكم الميت ، فثيابهم بعد قتلهم هي ثيابهم قبله! رمزا الى حياة لهم قوية فائقة.

وقد وردت في شأن الشهداء آيات وروايات ، فزاهم يقرنون بالنبیین والصدیقین قبل الصالحين : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤ : ٦٩) ومن الشهداء هم القتلى في سبيل الله ، لا سواه.

وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥).

في «لنبلونكم» تأكيدات ثلاث في تحقيق ذلك البلاء ، ثالثها جمعية الصفات الربانية المستفادة من صيغة المتكلم مع الغير ، فلا بد في مسرح الإيمان من مصرع البلاء بشق الألوان ، نفسيا : «من الخوف» وبدنيا : «والجوع» وماليا : ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ ونفسيا لكم ومن هو مثلكم : «والأنفس» وكضابطة تشمل كل نفس ونفيس من غال ورخيص : «والثمرات».

ف «الثمرات» تعم ثمرات العقول والعلوم والقلوب ، ومن الثالثة الأولاد الصالحون الذين هم من أغلى ثمرات الحياة ، مهما شملت ثمرات الزرع والضرع ، حيث الثمرات النفسية أنفس وأغلى من ثمرات الجسم.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه البلايا المحلقة على المؤمنين فيما لهم من حيويات روحية ومادية : ﴿الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوا مَكْرَهًا سَأَلُوا بِعِزَّةٍ لِّسَانِهِمْ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢٩ : ١ - ٣).

أجل و «ان الله يتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويتذكر متذكر»<sup>(٢)</sup> ، ثم و ﴿كَذَلِكَ نَبَلُّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٧ : ١٦٣) كما يتليهم وهم صالحون ، مخلصون ومخلصون : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (٢ : ١٢٤).

(١). عن نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين علي (عليه السلام).

وكضابطة عامة : ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْسَرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجِعُونَ﴾ (٢١ : ٣٥) ﴿وَنَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧ : ١٦٨).

لا فحسب . بل والشرعة الإلهية بتتابعها في مختلف طقوسها بأدوارها بلاء : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٥ : ٤٨) ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٦ : ١٦٥).

بل والموت والحياة كلّ بلاء : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٦٧ : ٢).

ثم «إن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل ، وإنما يتلقى المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صحّ دينه وصحّ عمله اشتد بلاءه وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثوابا لمؤمن ولا عقوبة لكافر ، ومن سخر دينه وضعف عمله فقد قل بلاءه ، والبلاء أسرع إلى المؤمن المتقي من المطر إلى قرار الأرض»<sup>(١)</sup>.

وحيثما نرى أصحاب الغايات الدنيوية الدانية يتحملون مختلف ألوان البلاء من أجل الحصول عليها ، فبأحرى لأصحاب الغايات الأخروية أن يتحملوا خلفياتها وأعباءها. كما ولا يدرك الآخرون قيمة الإيمان إلا حين يرون ابتلاء أهله وصبرهم على شديد بلاءه ، وعندئذ قد ينقلب المعارضون لعقيدة الإيمان باحثين عنها ، مقدرين لها ، مندفعين إليها.

فالشدائد تشجيش مكنونات القوى ، ومذخورات الطاقات ، فاتحة في القلوب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد ، ف «عند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال».

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلايا والرزايا «فمن سترها ولم يشك إلى الخلق

(١). نور الثقلين ١ : ١٤٣ في العلل باسناده الى سماعة بن مهران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان في كتاب علي (عليه السلام) : ...

ولم يجزع بحتك ستر فهو من العام ونصيبه» مما قال الله ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وإن أبلى البلاء للمؤمنين هو في الغيبة الكبرى لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه  
 الشريف ، وهو أصدق مصاديق آية البلاء<sup>(٢)</sup>.

ومن هم الصابرون . ككل . حتى نعرفهم بأجمعهم في صيغة مختصرة؟ :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ ١٥٦ .

«مصيبة» هي صفة ل «رمية» وأصلها «رمية مصيبة» فتشمل كل رمية من أيّ رام  
 تصيب الإنسان ، في نفسه او ماله ، أمّا له على أية حال ، وهي تأتي لخير قليلا ولشر كثيرا  
 ، ومن مصيبة الخير إقبال الدنيا على المؤمن بماله ومناله وراثسته ، فإنها بلاء يصيب على  
 المبتلى بها ان يتخلص عن أوزارها وأوضارها ، ولكن ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ قد تختصها  
 بمصيبة الشر ، أو يقال إن الحياة العادية بين اقبال الدنيا وادبارها هي قليلة البلاء أو خفيفتها  
 ، فإنما المهم ﴿تَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...﴾ فالعوان بينهما خارج عن تلك البلية.

(١). مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل : ...

(٢) نور الثقلين ١ : ١٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله  
 (عليه السلام) يقول : ان لقيام القائم (عليه السلام) علامات يكون من الله عز وجل للمؤمنين ، وما هي  
 جعلني الله فداك؟ قال : ذلك قول الله عز وجل ﴿وَلَتَبْلُوكُنَّكُمْ﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم (عليه السلام)  
 ﴿بِشْيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ قال : ﴿لَتَبْلُوكُنَّكُمْ بِشْيءٍ مِنَ  
 الْخَوْفِ﴾ من ملوك بني فلان في آخر سلطنتهم ﴿وَالْجُوعِ﴾ بغلاء أسعارهم ، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قال : كساد  
 التجارات وقلة الفضل ونقص من ﴿الْأَنْفُسِ﴾ قال : موت ذريع ونقص من ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ لقلة ريع ، يزرع ﴿وَبَشِّرِ  
 الصَّابِرِينَ﴾ عند ذلك بتعجيل الفرج ، ثم قال يا محمد! هذا تأويله ، ان الله عز وجل يقول ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا  
 اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

والمصيبة - وهي - في الأكثر - التي توجع الإنسان قل أو كثر - قد تكون بما قدمت أيدي  
المصاب : ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٤ : ٦٢) . ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ  
مَا عَمَلُوا﴾ (١٦ : ٣٤) . وأخرى بما كسبت أيدي الناس ظلما : ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ (٣ : ١٤٦) ، حيث تجب فيها الدفاع حسب  
المستطاع : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٤٢ : ٣٩) ، ويجمعهما ﴿فِيمَا  
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أنفسكم أو سواكم : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾  
(٤٢ : ٣٠) .

والمصيبة ان كانت حسنة فمن الله وان كانت سيئة فمن نفسك وكل من عند الله ،  
حيث يأذن له تكوينيا مهما كانت غير مأذونة تشريعا : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ  
اللَّهِ﴾ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ (٥ : ٤٩) ، وهي تعم كتابة الجزاء هنا  
، وكتابة تمشية الإختيار ممن يظلم بما يصيب سواه ، وكتابة الامتحان لمن يرتقي بما يصاب  
صابرا عليه ف ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٥٧ : ٢٣) ، وعلى أية حال ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صدورا باذنه أيا  
كان : ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ  
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا . مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ  
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ...﴾ (٤ : ٧٩) .

فإذا كانت المصيبة السيئة من عند الله بما كسبت أيديكم أم بما كسبت أيدي الناس أم  
وابتلاء من الله ، ففضية الإيمان بالله أن تقول عندها ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ مهما وجبت  
عليك الدفاع والإنتصار ، فإنها لا تطارد كلمة الاسترجاع .

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتيه وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه» و «ما من نعمة وان تقادم عهدها فيجد لها العبد الحمد إلا جدد الله له ثوابها ، وما من مصيبتيه وإن تقادم عهدها فيجد لها العبد الاسترجاع إلا جدد الله له ثوابها» . و «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمد واسترجع ، فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد» . و «ان للموت فرعا فإذا أتى أحدكم وفاة أخيه فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منقلبون ...» وليس فحسب مصيبة الموت التي يحق لها الاسترجاع ، بل و «إذا انقطع شسع أحدكم فليسترجع فإنها من المصائب» . وقد طفى سراج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فليل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمصيبة هي؟ قال : نعم وكل ما يؤدي المؤمن فهو مصيبتيه له وأجر وعلى الجملة «قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء فمن كنّ فيه فهو العاقل ومن لم يكنّ فيه فلا عقل له ، حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر لله»<sup>(١)</sup> .

هذا! ثم و «قالوا» هنا تلك المهمة الكبرى التي يبشر الله فيها ، ليست

(١) الدر المنثور ١ : ١٥٦ . ١٥٩ . أخرج كلاً جماعة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومنها ما أخرجه الديلمي عن عائشة قالت أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد لدغته شوكة في إبهامه فجعل يسترجع منها ويمسحها فلما سمعت استرجاعه دنوت منه فنظرت فإذا أثر حقير فضحكت فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأبي أنت وأمي أكل هذا الاسترجاع من اجل هذه الشوكة؟ فتبسم ثم ضرب على منكبي فقال : يا عائشة إن الله عز وجل إذا أراد أن يجعل الصغير كبيراً جعله وإذا أراد أن يجعل الكبير صغيراً جعله .

هي . فقط . لفظة القول ، كما الصبر . أيضا . ليس من هذه المقولة ، وإنما «قالوا» باللسان إخبارا عن حالة واقعة في الجنان ، فألستهم قائلة وأعمالهم . عند المصيبة . عما في القلب :  
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

أم «قالوا» بلسان قاهم وحالمهم وأعمالهم ، فهم . إذا . بكل كيانهم استرجاع لربهم عند مصائبهم . «إنا لله» ككل . في ذواتنا وصفاتنا وأفعالنا وإدراكاتنا ، فكل مالنا ومنا وإلينا ، ممالك لله دون أية حرية طليقة عن مشيئة الله ، فحين تصيبنا مصيبته لسنا نتضايق أبدا ولا نتساءل ، لأنها ليست إلا بإذن الله ، ثم ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ كيفما كنا وأين وأتى .  
ترى ما ذلك الرجوع؟ أرجوع إليه عما كنا عنده؟ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ دون انفصال علمه وقدرته وإرادته! .

أم رجوع إلى عالمه الأخير في الدار الآخرة؟ ولم نكن فيها حتى نرجع إليها! ثم الرجوع إليها ليس . بالتمام . رجوعا إليه حتى وإن كنا من قبل فيها! .  
قد يعني ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ رجوعنا الى ما كنا في «إنا لله» ولكن أين؟ فهل رجوعا الى ما نحن الآن من «إنا لله» وهو تحصيل للحاصل؟! .

علّه رجوع الى «إنا لله» قبل الإختيار والتكليف إذ كنا أجنّة في بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا حتى نعلم شيئا فكنا «لله» لا لأنفسنا ، إذ لم نكن نستطع على شيء من أمرنا ، فكذلك نرجع إليه بنفس الحالة ، حيث الحياة البرزخية ثم الأخرى ، لا خيرة للأحياء فيها :  
﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٠ : ١١) . ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤١ : ٢١) . ف «إنا لله» اعتراف باختيار ما اختار الله لنا يوم الدنيا ، وكما كنا مسيرين فسوف نرجع إليه كما بدأنا .

أم ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عن كلا المرحلتين من «إنا لله» حيث الرجوع

وان اقتضى البدء ، فالأولى بدئه ، ثم الثانية تنتهي اليه مصيرا للمسير ، فقولنا : إنا لله ، اقرار على أنفسنا بالملك وإنا اليه راجعون ، إقرار بأهلك (١) ... فإذا نحن في البدء «لله» اختيارا ودون اختيار ، ثم في المصير ليس لنا اختيار ، فأحرى لنا ان نختار في عالم التكليف والإختيار ما هو يختار ، تصبّرا على المصاب ، وقولا بالصواب : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .  
﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢ : ٢٤٥).

فعلى م تأسف وتجزع أيها الإنسان عند المصاب ولا يملك إلا رب الأرباب ، ثم وإليه المصير! فلا حول لك ولا طول في المصاب الذي ليس لك فيه ذهاب ولا إياب ، اللهم إلا الذي يأتيك جزاء ليس لك عنه محيد.

ذلك! ولكن الصبر على المصاب حيث أصاب ، لا يعني الصبر على كل ظلم وضيم ، فان واجب الدفاع عنده يجرّض على كلّ محاولة مستطاعة لدفع الظلم ، فإنما الصبر على ما وقع منه دون جزع او تساءل على الله ، ثم العمل الجادّ على دفع الإصابة المشرفة ، وإزالة البقية من الواقعة.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٧ .

وعلّ هذه الثلاث . وأنعم بها وأبشر . هي المبشّر بها في ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ :

ف ﴿صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ هي رحمت عدة ، يرفعهم الله بها إلى المشاركة في نصيب نبيّه حيث يصلي عليه هو وملائكته ، فهي صلوات زيادة على عامة الصلوات في ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٣٣ : ٤٣) ، ثم «ورحمة» خاصة مع هذه

(١) نور الثقلين ١ : ١٤٤ عن اصول الكافي ونهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام).

الصلوات الرحمت **﴿وَأُولَئِكَ هُمْ﴾** وكأنه لا سواهم «المهتدون» ، فهنالك صلوات تعم المؤمنين ، ثم خاصة تخص الشهداء منهم والصابرين ، ومن ثم أخص تخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله المعصومين (عليهم السلام) ، وكما أمرنا ان نصلي عليهم لما نصلي عليه.

وقد تعني «صلوات» هنا لقرنها ب «رحمة» انعطافات ربانية عليهم تخلف رحمة عظيمة تلمح لها التنكير في «رحمة» وقد يدل عليه «يصلي عليكم ليخرجكم» حيث الإخراج من الظلمات إلى النور هو الرحمة ، إذ ف **﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾** انعطاف لذلك الإخراج عن ورطة الإحراج ، وكما أن «صلوات» تخلف «رحمة» كذلك الرحمة تخلف الهداية ، ثلاثة ردف بعض ، كل تنتج الأخرى ، مهما كانت كل صلاة من الله ورحمة وهداية ، إلا أن الاختلاف هو في الدرجة.

**﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾** ١٥٨ .

آية وحيدة في شعيرة الصفا والمروة و : «التطوف بهما» ، وهو فريضة في الحج والعمرة ، وركن فيهما ، فترى كيف يعبر عنه ب «لا جناح» سلبا لحرمة ، ثم **﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾** إيجابا لندبه ، والفريضة هي فوق الوجوب المتعود؟! .

«لا جناح» . بالنسبة لهذه الشعيرة الفريضة . تلمح أنه كان يخلد بخلد المسلمين يومذاك جناح في التطوُّف بهما ، وكما تدل عليه أسباب نزول عدة : «أن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون» فانزل الله : **﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾** (١) ، ولأن أصناما كانت

(١) في الكافي عن الصادق (عليه السلام) في حديث ... وان المسلمين ... وفي الدر المنثور عن .

## على الصفا والمروة أو بينهما فكيف نسعى بينهما؟<sup>(١)</sup> فنزلت آية اللّاجنّاح سلبا

. انس انه سئل عن الصفا والمروة . قال : كنا نرى أنّهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأُنزل الله الآية ، وفيه عن عمرو بن حبيش قال سألت ابن عمر عن قوله : ان الصفا ... فقال : انطلق الى ابن عباس فاسأله فانه أعلم من بقي بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتيته فسألته فقال : انه كان عندهما أصنام فلما أسلموا أمسكوا عن الطواف بينهما حتى نزلت الآية.

وفيه عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام لقد سمعت رجلا من اهل العلم يقولون لما انزل الله الطواف بالبيت ولم ينزل الطواف بين الصفا والمروة قيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة وان الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج ان لا نطوف بهما فانزل الله : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا...** ﴾ قال ابو بكر فسمع هذه الآية في الفريقين كلاهما فيمن طاف وفيمن لم يطف .

(١) في الدر المنثور ١ : ١٦٠ عن عامر الشعبي قال : وثن بالصفا يدعى إساف ووثن بالمروة يدعى نائلة فكان اهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت يسعون بينهما ويمسحون الوثنين فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الصفا والمروة انما كان يطاف بهما من اجل الوثنين وليس الطواف بهما من شعائر الله فانزل الله الآية ... وفيه عن عائشة ان عروة قال لها : أرايت قول الله تعالى : ان الصفا والمروة ... فما أرى على أحد جناحا ان لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة : بتسما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ولكنها انما نزلت ان الأنصار قبل ان يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها وكان من أهل لها يتحرج ان يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا يا رسول الله إن كنا نتحرج ان يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأُنزل الله : ان الصفا والمروة ... قالت عائشة ثم قد سن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطواف بهما فليس لأحد ان يدع الطواف بهما .

وفي تفسير البرهان ١ : ١٧٠ عن تفسير العياشي في خبر حماد بن عثمان قال ابو عبد الله (عليه السلام): انه كان على الصفا والمروة أصنام فلما ان حج الناس لم يدروا كيف يصنعون فأُنزل الله هذه الآية فكان الناس يسعون والأصنام على حالها فلما حج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رمى بها .

لذلك الجناح المزعون ، ثم ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ تثبت فرض السعي فإنها . ككل . مفروضة على المسلمين في مجالتها : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٢٢ : ٣٢) ومن تعظيمها تطبيقها بعد تعظيمها معرفيا وعقيدا وقوليا ، ومن أعظمها إذاعتها بين الجماهير ، إذا فترك تعظيمها هو من طغوى القلوب أم خلاف تقواها ، والتقوى بصورة عامة ولا سيما ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ المستطاعة واجبة على أصحاب القلوب : ف ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (٣ : ١٠٢) . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٦٤ : ١٦) (١) .

وقد تقتضي طبيعة الحال نزول آية اللأجناح عند أول فرض لعمرة أو حج ، وهو عمرة القضاء . سابع الهجرة . ، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شرط عليهم . فيها . أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فستل عن رجل ترك السعي حتى انقضت الأيام وأعيدت الأصنام فجاءوا إليه فقالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام فأنزل الله ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ أي : «وعليهما الأصنام» (٢) .

(١) في فرض السعي أحاديث عدة منها ما في الدر المنثور ١ : ١٦٠ . اخرج الشافعي وابن سعد واحمد وابن المنذر وابن قانع والبيهقي عن خبيثة بنت أبي بجران قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعي حتى أرى ركبته من شدة السعي يدور به إزاره وهو يقول : واسعوا فان الله عز وجل كتب عليكم السعي ، وفيه اخرج الطبراني عن ابن عباس قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا .

(٢) نور الثقلين ١ : ١٤٨ عن الكافي سئل ابو عبد الله (عليه السلام) عن السعي بين الصفا والمروة فريضة ام سنة؟ فقال : فريضة ، قلت : او ليس قال الله عز وجل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾؟ قال : كان ذلك في عمرة القضاء ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

ومن ثم حجة الوداع حين حج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون أجمع من استطاع إليه سبيلاً كما يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام).

ام انها نزلت قبلهما حيث كان يتفَلَّت بعض المسلمين لأداء حج أو عمرة فرادى وفي خفية قبل عمرة القضاء وحجة الوداع ، ممن كانوا . بعد . في مكة المكرمة ، أم يقصدونها دونها ، وعلَّها نزلت مرات ، أم تليت على المسلمين مرة بعد أخرى ولا سيما في حجة الوداع وكانت أخرى بها ، ولأن الطواف بهما . بعد . بسوء السابقة لهما لوجود الأصنام ، كان تكلفاً للموحدين الجدد ، الباغضين الأصنام ، لذلك يلحق اللاجناح هنا ب **﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾** حيث التطوع هو تكلف في الطوع لكرهية قلبية أماهيه سواء أكان في ندب لعدم فرضه ، فالآتي به يتكلف زيادة على واجب التكليف ، كما في تطوع الصوم على الذين يطيقونه : **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٢ : ١٨٤) فالصوم لمن يطيقه هو من تطوع الخير لصعوبته في نفسه ، كما ان قسما من المندوب من تطوع الخير صعوبة نفسية لأنه زيادة على الفرض.

ام هو تطوع في فرض كما هنا إذ كانوا يتخرجون من الطواف بهما ظناً أنه سنة جاهلية ، وعلماً أنهما كانا محل الأصنام ومطافها ، فهنا الله يشكر الطائفتين بهما ، علماً بهذه الكراهية ، وعلماً بأنه من الشعائر التي لا تترك بحال ، وعلماً بان في ذلك صلاح الجماعة المسلمة.

وهذه ضابطة سارية المفعول في كل الحقول أن تطوع الخير خير عند الله ، وعلى ضوءها الحديث «أفضل الأعمال أحزمها».

فقد يكون تكلف الطوع . فقط . بدنياً كصوم المطيق له ، لإزالته الطاقة

البدنية ، أم . فقط . نفسيا ، كالأتي بالمندوب او المفروض ، مستهل التطبيق ، ولكنه مستصعب في وجه الحكمة .

أم هو متكلف فيه نفسيا وبدنيا كالتطوف بالصفاء والمروة ، فاجتياز تلك المسافة البعيدة مرات سبع ، بزحام بالغ ، وحرّ حارق ، وصدام في الجمع حائق ، ذلك تكلف بدني! ثم هو تكلف نفسي في بعدين اثنين ثانيهما خفاء وجه الحكمة في ذلك الفرض الركن ، إضافة الى أولها ، تخرجنا عن موقف الأصنام وسنة كأنها جاهلية .

فليس التطوع . إذا . ليدل على ندب المتطوع فيه كما لا يدل على فرضه ، فقد يكون ندبا ولا تطوع فيه كالسواك والنكاح أمّا شابه ، أو يكون فرضا فيه تكلف كفرض الحج بكل مناسكه ، فالتطوع في صيغة واحدة هو تكلف الطوع ، سواء أكان في فرض أو ندب ، ولقد كانت الدعوة الجادة الجديدة الحادة ضد الشرك وطقوسه ، هزت أرواحهم هزا ، وتغلغت فيها إلى الأعماق ، فأحدثت انقلابا نفسيا حتى لينظرون بجفوة وتحزّز الى ماضيهم الجاهلي ، حيث انفصلوا عنه انفصالا تاما طاما كلّ كيانهم ، فلم يعد منهم في شيء ، ولم تعد دوامته في شيء ، فكيف يطوفون بالصفاء والمروة وهو من طقوس الجاهلية . بزعمهم . وهو موقف الأصنام في الواقع الماضي ، ومدفنها بعد الماضي !.

هذا . ولكن شرعة الحق تريد الإبقاء على بعض تلك الشعائر لأنها من شعائر الله ، مهما اتخذتها الجاهلية الجهلاء من شعائرها ، واستغللتها حرمة الأصنام إذ كانوا يلمسونها في طواف البيت والسعي ، نزا لها عن أصلها الجاهلي ، وعودا بها الى أصلها الإلهي ، فليست الشعيرة الجاهلية المتخذة لتمحو الشعيرة الإلهية الأصيلة قبلها ف : **﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾** !. وترى ما هي شعائر الله بوجه عام؟.

لقد جاءت شعائر الله في ثلاث أخرى ، كما ﴿الْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (٢٢ : ٣٦) بل والحج بمناسكه ككل من شعائر الله : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٢٢ : ٣٢) إذ هي تأتي بعد آية الحج بمناسك له : وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور. حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق. ذلك ومن يعظم شعائر الله ... (٣٢). فالحج ككل هي شعائر الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ...﴾ (٥ : ٢). فلان تعظيم شعائر الله هو من تقوى القلوب ، وهي مفروضة قدر المستطاع ، ثم إحلالها . ومنه تركها . منهي عنه هنا ، إذا نتأكد أن التطوف بالصفة والمرورة هو من تقوى القلوب الواجبة ، لا يجوز إحلاله ، وإنما «لا جناح» سلب لجناح مزعوم.

ثم الشعائر . لغويا . هي جمع الشعيرة ، وهي ما تشعر وتعلن بدقة على كونها محسوسة باهرة ظاهرة ، كما الشعار هو ما يشعر به الإنسان نفسه أي يعلم ، فالمشاعر والشعائر هي المعالم الظاهرة المتظاهرة الإلهية التي تعلم وتعلن للناس حقائق جملة بدقة وهمامة ، فقد يكون شعار بلا شعور ، أم شعور بلا شعار ، ولكن شعائر الله تجمع إلى الشعار الشعور ، وإلى الشعور الشعار ، فهي مذياعات صوتية وصورية إلهية للإسلام تعريفا به ككل ، وتشريفا له ككل ، في مناسك هي في الأكثرية الساحقة أو المطلقة أعمال أم تروك بلا ألفاظ إلا قلة

قليلة هي التلبيات والصلاة ، إذا فليست الأعمال الجوارحية من شعائر الله ، ولا كل الواجبات أو الفرائض الجوارحية هي من شعائر الله ، وإنما هي مذياعات الشرعة الإلهية بطقوسها الجماعية المعلنة ، التي تدل بدقة ولطافة على حقائق رقائق في شرعة الحق .

وكما ان ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ في المائدة مصداق محوري للشعائر لأنه مسرح زمني لشعائر الحج ، كذلك ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ هما مسرح مكاني لشعيرة السعي ، فليس الزمان والمكان أيا كان شعيرة إلهية إلا بما يحل فيهما من شعائر الله .

ولأن كونهما من شعائر الله يتفرع عليه هنا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ نعرف كضابطة سارية ان الشعائر الإلهية لا يصد عنها أي صاد ، فإنها ماضية على أية حال ، قاضية على أي جناح مزعوم حين يفسح لها مجال .

والجناح بمعنى الميل ، ميلا عنه وهو الأكثر استعمالا كما هنا ميلا بفاعله عن الحق ، أم ميلا إليه وهو الأقل استعمالا وعله أيضا ميل الى الباطل ، أم هي معربة عن «كناه» الفارسية ، وعلى أية حال فهي عصيان ، والسعي فريضة في حج البيت وعمرته ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ سواء أكان حج التمتع أو القران أو الإفراد ، أو العمرة مفردة وسواها ، فرضا وسواه ، فإنهما يفرضان بالإحرام ، والطواف هو الدوران حول الشيء إذا كان له حول كالكعبة المباركة ، وهو . ككل . السير الذي ينتهي آخره إلى أوله ، فهو يعم السعي والطواف ، فالواجب فيه . ككل . الانتهاء الى حيث بدء .

وواجب البدء في السعي هو من الصفا ، وكما ينتهي السير إليها ثم الى المروة ، ف «ابدأ بما بدء الله به» <sup>(١)</sup> كضابطة عامة هنا وفي غيره .

(١) حديث مستفيض عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة اهل بيته (عليهم السلام) في .

والسعي من أهم المناسك وأحبّها إلى الله ، بل و «ليس لله منسك أحب إليه من السعي وذلك أنه يذل فيه الجبارين» (١) بل و «جعل السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين» (٢) هذا . ولكنه لا يؤتى به إلا ضمن حج أو عمرة كما قال الله ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ...﴾ فالإتيان به دونهما جناح وبدعة ، واما الطواف بالبيت فحائز في غيرهما لثابت السنة وعدم الحظر عنه في آيته ، وهنا «فلا جناح» قد يعتبره في غير حج أو عمرة جناحا!.

ترى ومتى فرضت فريضة السعي بين الصفا والمروة ، وما هي الصفا وما هي المروة؟ قد يكون سمي الصفا صفا لأن المصطفى آدم هبط عليه فقطع الجبل اسم من اسم آدم (عليه السلام) يقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا...﴾ وقد هبطت حواء على المروة ، وإنما سميت المروة مروة لأن المرأة هبطت عليها فقطع للجبل اسم من اسم المرأة (٣) . كما وان الصفيّة هاجر قامت على الصفا . حين عطش إسماعيل . فقالت : هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجيبها أحد فمضت حتى انتهت إلى المروة فقالت :

. مجالات عدة ، منها ما في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في حديث طويل : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ابدء بما بدأ الله به فأتى الصفا فبدأ بها . وفي الدر المنثور ١ : ١٦٠ . اخرج مسلم والترمذي وابن جرير والبيهقي في سننه عن جابر قال : لما دنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصفا في حجته قال : ان الصفا والمروة من شعائر الله ، ابدءوا بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه . وعن الصادق (عليه السلام) ما من بقعة أحب إلى الله من السعي لأنه يذل فيها كل جبار عنيد .

(١) نور الثقلين ١ : ١٤٧ في الكافي عدة من أصحابنا عن سهل رفعه قال : ليس لله ...

(٢) فيه عنه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : جعل السعي ...

(٣) نور الثقلين ١ : ١٤٥ في علل الشرايع باسناده الى عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال : ...

هل بالوادي من أنيس؟ فلم تجب ، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعا فأجرى الله ذلك سنة ...»<sup>(١)</sup>

و «لأن الشيطان ترايا لإبراهيم (عليه السلام) في الوادي فسعى وهو منازل الشياطين»<sup>(٢)</sup> : منازل الشياطين . تحت الأرضية . الأوثان ، التي دفنت في الصفا والمروة ، والشياطين فوق الأرضية الملاحقين الطائفين بالبيت ، فقد نطأ الأوثان بسعينا عليها ، ونفرّ عن الشياطين الذين يلاحقوننا بعد الطواف ، ليستلبوا عنا الروحية التوحيدية المخلفة عنه ، فليس هو العدو كيفما كان ، فقد يعدو الساعي وقد يركض ، فكم من عاد غير ساع ، أو ساع غير عاد ، إنما هو الجد الهادف في العمل الجادّ ، والهرولة فيه هي سعي في سعي ، كذلك والشياطين الداخلين ، حيث السعي بهرولته تسقطهم عن قلبك ، كما استقطبتهم عن قلبك ، إذا فثالوث الشيطانات تسقط بسعيك لو سعيت فيه كما أمرت . والسعي هو الجد الهادف ، تفتيشا دائما عما يهيمه ، ام فرارا عما ينعمه ، والساعي في السعي بين الصفا والمروة يفر عن الشيطانات الثلاث ، وليجد ضالة التوحيد عقبي ، وضالة العيشة دنيا ، كما ونلاحقهم سعيا وراءهم .

فآدم (عليه السلام) يسعي من الصفا الى المروة . بعد طواف البيت . إنشادا لضالته : المرأة ، فقد ضل عنها وضلت عنه في الطواف ، انقطاعا كاملا إلى الله ، وهنا ينشدها بأمر الله ، فإن كلاً من الأمرين هو في مجالته وحالته من أمر

(١) المصدر عن العليل باسناده إلى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إن إبراهيم (عليه السلام) لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت امه حتى قامت على الصفا ...

(٢) المصدر عن العليل باسناده الى حماد عن الحلبي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) لم جعل السعي بين الصفا والمروة؟ قال : لان الشيطان ...

الله ، رمزاً للجمع بين الدين والدنيا ، الدين كأصل والدنيا كهامش لا تضربه بل وقد تؤيده ، وهذا درس أول في السعي من آدم.

ودرس ثان من الصفية هاجر حيث حلت محل الصفي على الصفا تفتش عن ماء وأنيس لإسماعيلها العطشان الوحيد ، فلا يؤيسها رمضاء الهواء وفاقد الماء ، او الاتكالية الفوضى . الفاضية . على الله دون سعي ، بل تسعى سعيها مرات سبع ، متكلة على الله بسعيها ، فتفور فائرة الماء من آرتزية زمزم.

فليسع الساعون للحصول على بغية الحياة الرامز إليها الماء ، دون أن يصدّهم صادّ ، متكلين على الله بسعيهم ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

ودرس ثالث من السعي ان نطاً مخابئ الأوثان «إساف ونائلة» أمّا شابه ، وذلك من شعائر التوحيد السلبية بعد إيجابية الطواف ، فلأنّ السلب في كلمة التوحيد أطول من الإيجاب وأعضل ، فليكن الإيجاب بين سلبيين . فإنه أسهل . : أولهما سلبيات الإحرام أمّا شابه ، وثانيهما سلبيات السعي ، البادئة بوطئ الأوثان الدفينة تحت الأرض ، ثم الظاهرة عليها ، ومن ثم الدفينة في النفس ، فان حركات السعي ، ولا سيما الهرولة كما الآبال ، تسقط عنك ما علّقتة بنفسك ما هو أجنبي عنها من إنيات وأنانيات.

وكل ذلك . كما الطواف . في سبعة أشواط ، سلبا لأبواب الجحيم السبع ، التي هي من شيطانات سبع ، المنقسمة من أصولها الثلاثة : «الشيطان . البقر . النمر» وحدويات ثلاث ، وإثنيات ثلاث ، وجمعية واحدة هي كلّ الثلاث.

أو ليس الصفا والمرورة . بعد . من شعائر الله ، حيث يشعرا برموز كهذه ، وهو من إذاعات إلهية بارزة لدحر الشياطين والشيطانات ، وإثبات حق الحياة ، والسعي في كلا النفي والإثبات في حيوية التوحيد الحق؟.

ثم بعد كل ذلك ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ربنا يشكرنا أن تطوعنا خيرا وهو خير لنا لا له : ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (٢ : ١٨٤) ! ، لأن تطوع الخير هو خير الخير ، تكلفا نفسيا وبدنيا في السعي أما شأجه مما يتكلف فيه ... ومن صلوات آية الصفا بما سبقها من آيات ، أن السعي هو من الشعائر الإبراهيمية ، ثم ل ﴿بَشِيرٍ الصَّابِرِينَ﴾ موضع من صبره على إسماعيله الرضيع حيث وضعه وأمه بواد غير ذي زرع ، وصبر هاجر عليه حتى سعت لتجد له أنيسا أو ماء ، ثم وموضع من الصبر على تطوع السعي ، نفسيا وبدنيا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ !

ولنقف حائرين محتجلين أمام ذلك التعبير العبير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ وكأنه أهديت إليه بهدية يشكر لها ، والمهدي في كل مجالات الهدايا هو الله! .

وإذا كان الرب يشكر عبده على واجب عبوديته الصالحة له دون ربه ، فما ذا على العبد في شكره لربه وهو غريق في خضمّ نعمه! .

### مسائل فقهية أخرى في السعي

١ : السعي ركن في الحج بأقسامه الثلاثة وفي العمرة مفردة وتمتعا ، يبطل كل من الحج والعمرة بتركه عمدا ، فان تركه ناسيا يعيده حيثما ذكر ان أمكن ، وإلا فيطاف عنه <sup>(١)</sup> ، وهو بعد الطواف ، ثم بعده التقصير . فقط . في عمرة

(١) الكافي ٤ : ٤٣٦ والتهذيب ١ : ٤٨٩ صحيحة معاوية بن عمار عن الصادق (عليه السلام) : «من ترك السعي متعمدا فعليه الحج من قابل» واما الناسي ففي الحسن عن معاوية بن عمار عن الصادق (عليه السلام) قال قلت له : رجل نسي السعي بين الصفا والمروة؟ قال : يعيد ذلك ، قلت : «فانه خرج؟ قال : يرجع فيعيد السعي» (التهذيب ١ : ٤٨٩ والاستبصار ٣ : ٢٣٨) وفي صحيح ابن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) سألته عن رجل نسي ان يطوف بين الصفا والمروة حتى رجع الى أهله؟ قال : يطاف عنه.

التمتع ، وفي المفردة بين الحلق والتقصير ، وفي الحج ليس بعده حلق ولا تقصير .

٢ واجب السعي هو الأشواط السبعة ، ابتداء من الصفا ، واختتامها الى المروة بنية السعي للحج أو العمرة .

٣ واجب الأشواط أن تكون بين الجبلين حيث النص ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ دون «عليهما . أو . فوقهما» وكما في الأثر الصحيح «السعي بين الصفا والمروة فريضة» فلو انحرف عن الحد بين الجبلين أجزره .

٤ يبطل السعي بالزيادة عمدا كما «الطواف المفروض إذا زدت عليه مثل الصلاة إذا زدت عليها فعليك الإعادة وكذلك السعي»<sup>(١)</sup> وسائر التفاصيل الخارجة عن مدلول آية السعي راجعة الى فقه المناسك<sup>(٢)</sup> .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) .

الكتمان هو الستر على ما يجب إفشائه أم هو فاش ، سئل عنه أم لم يسأل ، فانما هو هنا الأمر المنزل لكافة المكلفين ، فانه لغويا : ستر الحديث ، وهو يعم الحديث الفاشي المستور بعد الظهور او الذي لا يظهر ، وهو بصيغة أخرى : ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه وحصول الداعي إلى إظهاره ، وهذا أخف مراحل الكتمان ، ثم ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ يعم نازل الوحي من كتاب وسنة ، و «البيّنات» هي الحج الباهرة ، سواء أكانت بينات التوحيد او الرسالة

(١) التهذيب ١ : ٤٨٩ والاستبصار ٣ : ٢١٧ و ٤٣٩ عبد الله بن محمد عن أبي الحسن (عليه السلام) .

(٢) راجع كتابنا (اسرار . مناسك . ادلة الحج) باللغة الفارسية .

والمعاد ، ام بينات لمادة الرسالة ، فهي على أية حال بينات للهدى فانها مادة الرسالة ، حيث الشرعة مركبة . ككل . من بينات وهدى ، والثانية ناتجة عن الأولى ، فقد تكتم بينات كإخفاء آيات الهدى تكوينية أو تشريعية ، أم تكتم الهدى الناتجة عن تكمم بينات كتماننا لدلالاتها على هداها ، تأويلا لها إلى غير معناها .

ثم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ لها مرحلتان ، من بينات وهدى بينت لناس أم لكل الناس ثم تكتم بتدجيل وتجديف ، وتلك هي الدرحة السفلى من الكتمان .  
ومن بينات وهدى بينت لغرض أن تبين للناس ، فانها ليست . ككل . مبينة دون وسيط لكل الناس ، لأنّ منهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى فكيف بينت لهم؟ ومنهم دارسون لا يقرؤون الكتاب فكيف بينت لهم؟ ومنهم من يتلون الكتاب ولا يعرفون كل بيناته وهداه ، وهم كلهم من ضمن الناس الذين يقول الله عنهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ ، فسواء بين لناس دون وسيط ، أم بين بوسيط يحتمل تبينه لسائر الناس ، وكما تقسم الأرزاق قسمين ثانيهما ان يرزق المرزوق بما ينفق عليه المنفقون بإذن الله تكوينا وتشريعا ، فانه أيضا من رزق الله ، فقد تشمل الآية الكتمانين ، كما تشمل الكاتمين كتابيا ومسلما ، كتماننا لأصول من الدين أم فروع منه (١).

(١) نور الثقلين ١ : ١٤٩ في احتجاج الطبرسي عن أبي محمد العسكري (عليهما السلام) حديث طويل وفيه : قيل لأمر المؤمنين (عليه السلام) من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصايح الدجى؟ قال : العلماء إذا صلحوا ، قيل : فمن شر خلق الله بعد إبليس وفرعون وثمود وبعد المسمين بأسمائكم وبعد المتلقين بألقابكم والآخذين لأمكنتم والمتأمرين في ممالككم؟ قال : العلماء إذا فسدوا ، هم المظهرون للأباطيل ...

فالله يبين ما أنزل من البينات والهدى للرسول بيانا للناس ، والرسول يبينه لمن يأهل تعلموا لكل ما أنزل وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهم يعلمون العلماء على مراتبهم ، ثم يعلمون سائر الناس ، لأن النازل من الله ليس . فقط . للرسول او الائمة أو العلماء ، إنما ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١٦ : ٤٤) و ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣ : ١٣٨).

ف شر خلق الله العلماء إذا فسدوا وهم المظهرون للأباطيل ، الكاتمون للحقائق وفيهم قال الله ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكما يحرم على علماء الكتاب كتمان ما أنزل الله ، كذلك يحرم على الجهال كتمان أنفسهم عن تعلم ما أنزل الله ، والحق الأول هو على العلماء ، فان من الجهال من يجهل انه يجهل ، أم يعلم جهله ولكنه لا يجد سبيلا الى التعلم ، فعلم الدين كالماء يجب إرساله الى كل مكان لينتج نتاجه أيًا كان وفي أيّ كان.

وليس يجب تعليم الدين . فقط . لمن يسأل ، بل ومن لا يسأل أم لا يعرف كيف يسأل ، بل هما أخرى ممن يسأل ، والكتمان يشمل موارد السؤال وسواها ، ف «من سئل من علم عنده فكتمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» ، و «من كتم علما مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجمه الله

(١) الدر المنثور ١ : ١٦٢ عن أبي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : وفي تفسير البرهان ١ : ١٧٠ العياشي عن زيد الشحام قال : سئل ابو عبد الله (عليه السلام) عن عذاب القبر قال : ان أبا جعفر حدثنا ان رجلا أتى سلمان الفارسي فقال : حدثني فسكت عنه ثم عاد فسكت فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ...﴾ فقال له : أقبل . إنا لو وجدنا أميناً لحدثناه ولكن أعد لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن شككت او التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رمادا ، فقلت .

بلجام من نار»<sup>(١)</sup> ، و «مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه»<sup>(٢)</sup>.

وقد تعني ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ . فيما عنت . : فطرت الله التي فطر الناس عليها ، والعقل ، فأخما مما أنزل الله من البينات والهدى ، مشمولة ل ﴿الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ .

فمن الناس من يكتم فطرته وعقليته ، صدا على نفسه منافذ الهدى ، وآخرون يصدون على آخرين ، وثالثة تجمع في الكتمان بين بينات نفسه وهداها ، وما للآخرين فطريا وعقليا ، ثم يكتم البينات الأخرى وهداها ، فهو في ثلوث اللعنة العصيان! . إذا ف ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ تشمل المنزل تكويننا وتشريعا ، انفسيا كالفطرة والعقلية الإنسانية وآفاقيا ككل البينات الكونية والشرعية ، والفرق بين البينات وهي الآيات الربانية الباهرة . والهدى ، ان الثانية هي نتيجة الأولى فالآيات البينات هي دالات على الهدى في كل حقول الدلالات ، فمن يكتم البينات عن دلالاتها ، أو الهدى بعد واقعها بتلك البينات ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ فكل ذلك كتمان مهما اختلفت دركاته حسب مختلف درجات البينات

. له : ثم مه؟ قال : تعود ثم تعذب ، قلت : وما منكر ونكير؟ قال : هما قعيدا القبر ، قلت : أملك ان يعذبان الناس في قبورهم؟ قال : نعم.

(١) المصدر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وفيه أخرج ابن ماجة عن جابر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنزل الله.

(٢) المصدر أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

والهدى ، ومختلف دركات الكتمان قبل البيان وبعد البيان وصدا عن التبيان ، ف «أولئك» الكاتمون ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ إبعادا عن رحمته يوم الدنيا ويوم الدين ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ استبعادا لهم من الله عن رحمته ، وقد يشمل «اللاعنون» - إلى جنب الملائكة والجنة والناس - الدواب<sup>(١)</sup>.

وطبعا هم «اللاعنون» بحق ، فان هناك لاعنين بغير حق ، وغير لاعنين الكاتمين ، ف «اللاعنون» هنا هم الذين يلعنون مع الله وبحكم الله وكما يلعن الله ، فالأل لعنة الناجمة عن كتمان ما أنزل الله تشمل المحرومين عنه ، وتخلق جوّ البعد عن رحمة الله ، فكأن الكاتمين تحولوا بذلك الكتمان الى ملعنة ينصب عليها اللعن من مصادره ، ويتوجه إليها بعد الله من كل لاعن!.

ثم «ويلعنهم» ليس . فقط . إخبارا عن واسع اللعن ، بل وهو إنشاء أمر لمن يأتمر أن يلعن الكاتمين ، في مثلث الجنان والقال والفعال ، خلقا لجوّ اللعنة عليهم حتى يجيدوا عن غيهم أن يذبلوا بعيهم ، فيأثم ألعن الناس وأظلم الناس ، قلوبهم آثمة وفي بطونهم نار ، فما أنزل الله للناس هو شهادة الله عند العالمين به : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (٣ : ١٤٠) وهو من إثم القلب الذي هو قلب الإثم : ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٢ : ٢٨٣) وقد أخذ الله ميثاق العلماء على التبيين ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (٣ : ١٨٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا

(١) الدر المنثور ١ : ١٦٢ . أخرج ابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال : كنا في جنازة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ان الكافر يضرب ضربتين بين عينيه فيسمعه كل دابة غير الثقلين فتلعن كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

النَّارِ ﴿٢﴾ (١٧٤) ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٤ : ٣٧).

وبيان ما أنزل الله واجب كفائي ليس على أعيان العلماء ككلّ ، ويكفيه برهاننا أن ليس بعد بيان من فيه الكفاية أيّ خفاء فلا كتمان ، ولكنما الكفاية قلّما تتفق أم لا تكون إمّا لعدم قيام من فيهم الكفاية ، أم عدم الكفاية في العلماء الحضور ، فيجب التعلم قدر الكفاية حتى يمكن التعليم ممن فيه الكفاية ، فما دام في العالم جهّال فالعلماء الساكتون . غير المعذورين . لا يعذرون ، وكذا الذين بإمكانهم التعلّم حتى يعلموا ولا يتعلمون . ثم البيان في كل عصر ومصر يتطور حسب الحاجة والإمكان ، دون جمود على سنّة خاصة متعوّدة ، فلكل حال مقال ، ولكل مجال حال ، كما الأدوية تختلف حسب مختلف الحال .

فمن المجاهيل من هم بحاجة إلى كلتا البيئات والهدى ، ومنهم من تنقصه البيئات وهو منجذب إلى الهدى ، ومنهم من تنقصه الهدى دون البيئات ، ف ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٦ : ١٢٥).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠).

هنا استثناء عن اللعنة الناتجة عن الكتمان بتوبة عنه ، ولا فقط قلبية بينه وبين ربه ، بل «وأصلحو» ما أفسدوا بكتماهم «وبَيَّنُّوا» ما كتموا ، ومنه كتمانهم كتمانهم ، إذ كانوا كاتمين أنهم كانوا كاتميين ، فكل من فسد وأفسد بكتماهم لا بد وأن يصلحوه معرفيا وعمليا ، فمن كان حيا فأصلحه وبين له فله ، ومن مات على فساد الكتمان فعليه ، وتوبة الله عليه تختص بما أصلح

وبين دون سواه ، قاصرا عنهما بموته أم مقصرا بتكاسله ، فانه على أية حال مقصر في كتمانها ولا عفو كلياً إلا إصلاحه.

فحين يتوب ويستطيع الإصلاح عما كنتم والبيان لحدّ يرجع المضللّ عما ضلّ بكتمانه ، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وحين لا يتوب إطلاقاً ف ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ في الأولى والأخرى ، وحين يتوب ولا يصلح او يبين على مكتبته مقصراً ، أم لا يتمكن لصمود المضللّ على ضلاله أم موته ، فهو عوان بينهما ، فالتوبة درجات كما الكتمان درجات و ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ، ولأن قبول التوبة رحمة من الله وحنان ، فهي غير مفروضة على الله إلا كما كتب على نفسه ، فهنا يسقط السؤال انه حين لا يقدر على إصلاح ما أفسد ولا البيان فما هو ذنبه في قصور ، حيث الجواب انه معاقب على ما قصر اللهم إلا فيما جبر ، فهو بالنسبة لما لم يجبر من كتمانها مستحق اللعنة قصر ام قصر مهما بان البون بينهما.

وإذا لم يستطع هو على الإصلاح بنفسه والبيان فليحاول فيهما بعلماء ربانيين بإمكانهم ما هو عنه قاصر ، حيث إن واجب الإصلاح لا يختص بنفسه دون وسيط. فهؤلاء المصلحون الذين يتنوا بعد ما أفسدوا بما كتموا ، يفتح لهم القرآن هذه المنافذ المضبئة الثلاث ، ذريعة الخلاص ، يفتحها لهم فتنسم لهم نسمة الأمل على ضوء جادّ العمل ، في إعلان صارخ لكل التائبين المصلحين : ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

فأما المصرون على كتمانهم فلا يزدادون إلا لعنات على لعنات :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيًا كان كفرهم ، ولا سيما كفر الجحود بالله أم برسالات الله ، أم وكفر الكتمان لما أنزل الله من البينات والهدى ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾ دون توبة وإصلاح ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ إبعادا عن رحمته «والملائكة» إمساكا عن إنزالها بإذن الله ، واستمساكا بالله في ذلك الإبعاد ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قد تعني جمع الناس الى الملائكة ، ثم جمعهم في لعنتهم الى الله استدعاء منه ، مهما خرج ناس عن كونهم لا عنين كالملعونين أنفسهم وأضربهم ، أم وهم أنفسهم يلعنون أنفسهم بما حرموها عن رحمة الله ، كلعنة تكوينية الى تشريعية لمكلفي المؤمنين ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ، وهل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا تعم المرتدين عن إيمان؟ طبعا نعم ، مهما كان منهم الذين لم يؤمنوا وأمامهم دلائل صدق الإيمان ، وكذلك الذين كفروا لا عن إيمان ولا عن دلائل الإيمان الحاضر ، وإنما لم يفتشوا عن صالح الإيمان ، فقد تشمل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثالوثه مهما كانوا دركات كما الإيمان درجات وهل إن الموت هنا . فقط . هو حتف الأنف ، فإن جن على كفره ثم مات بعد ربح لم يموت كافرا حيث المجنون لا مؤمن ولا كافر؟.

القصد من الموت هو انقطاع التكليف دونه ، أن لم يكن يفيق في حياة التكليف عن جنّة كفره ، وليست النجاة عن وصمة الكفر إلا بالتوبة الصالحة وهذا لم يتب حتى جن ومات على جنته ، فقد مات وهو كافر ، ام مات عن حياة التكليف على حاله ، ام ولأقل تقدير لم يتب ، والمستثنى من اللعنة هو التائب المصلح المبين!.

صحيح ان المجنون لا هو مؤمن ولا كافر ، ولكن الذي كفر ثم جن ومات على جنونه لم يموت وهو مؤمن فما هو السبب لتكفير عن كفره ، بل مات وهو كافر حيث استمر كفره الى جنونه وهو مرحلة من موته ، مهما لم يكن مكلفا حال جنونه.

وهل إن أضربهم من الكفار - أيضا - يلعنونهم كما المؤمنون؟ وهم يستحسنون كفرهم! إنهم يلعنونهم هنا إيعادا زائدا عن رحمة الله بما يستحسنون : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (٢٩ : ٢٥) كما وكل كافر يلعن الكفار والظالمين زعما منه أنه مؤمن جهلا مقصرا.

وقد تلمح آيتنا أن التوبة عن الكفر قبل الموت - أيا كان - مقبولة بشرطها ، والقول الفصل حول أحكام الكفر والارتداد والتوبة راجع الى محله الأليق كآل عمران : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ (٨٦ - ٩١).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ١٦٢ .

والخلود - كما لمخاله في مختلف المجالات - هو البقاء مدة طويلة ، و ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ وما أشبه لا تدل على لا نهائية العذاب ، بل هو دليل عدم تخفيفه ما داموا ودام العذاب قدر الاستحقاق ، وأما إذا فنوا بفناء النار فليس ذلك تخفيفا في أيّ من الأعراف إلا إذا فنت النار قبل ذوقهم ما يستحقون من العذاب ، أم خرجوا عن النار قبل كمال العذاب الذي يستحقون ، فإنهما تخفيف عن مدة العذاب ، أم خفف عنهم العذاب عدّة لا مدّة ، أم خفف فيهما ، فكل ذلك تخفيف ، وأما إذا ذاق مستحق العذاب كما وكيفما ثم فنى بفناء النار ، أم أخرج قبل فناءها باستحقاق ، فما ذلك بتخفيف في العذاب .

فأسطورة اللاهائية في العذاب كشرية تدار بين من لا يحسبون لحق الله وخلقه حسابا ولا يرجون لله وقارا أم هم غافلون ، إنه ظلم عظيم أن يقابل العصيان المحدود بأثر محدود من عاص محدود ، بعذاب غير محدود ف ﴿هَلْ نُجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾!؟.

وضمير التأنيث في «فيها» راجع إلى اللعنة ، فهم . إذا . خالدون . ما هم أحياء في النار . في لعنة مثلثة الزوايا ، فهي تجنح إليهم وهم في النار بما خلّفوا من سنة الكفر والكتمان ، كما ويعذبون بهذه اللعنات في أمد الخلود أبديا وسواه .

ثم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ في خلود العذاب غير المخفّف عنهم ، حين يستنظرون ، بل يقال لهم ﴿أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾.

ذلك لأنهم أغلقوا على أنفسهم كل منافذ الرحمة يوم الدين ، فقد حملوا معهم لعنة مطبقة من كل لاعن لا ملجأ منها ولا صدر حنون ، وتلك اللعنة هي أم العذاب وأساسه ، والنار هي مؤله ومساسه ، لعنة متسيطرة ما دام في حياة التكليف جنة أو ناس ، حيث إن كفر الكتمان خلّف لعنة طول خط الحياة ، على المؤمنين خلقا لجوّ اللاإيمان ، مما شكّل عليهم مصائب لتطبيق الإيمان ، فأشكل عليهم حياة الإيمان ، وعلى سواهم من قاصرين إذ ابتعدوا عن الإيمان ، وعلى المقصرين إذ أوثق رباط كفرهم ضد كتلة الإيمان .

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ  
مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ  
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٤ .

هنا وحدة الألوهية مزودة بآيات سبع ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ حقّ العقل ، وهي : « ١ خلق السماوات والأرض . عبارة أخرى عن خالقيته . ككل . لكل كائن . ٢ . واختلاف الليل والنهار . ٣ . والفلك ... ٤ . وما أنزل الله . ٥ . وبت فيها ... ٦ . وتصريف الرياح . ٧ . والسحاب المسخر» .

و «إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال : وإلحكم اله واحد ...» (١) .

فإن «وجود الأفاعيل دلت على أن صانعا صنعها» (٢) وهذه الأفاعيل السبعة دالة بإتقان على خالق ومدبر واحد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ حيث الرحمة الرحمانية العامة والرحيمية الخاصة هنا وهناك نجدها بانتظام دون تفاوت واصطدام : ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ...؟!﴾ .

آيتنا تلك هي من أوسع الآيات التوحيدية دلالة على توحيده تعالى من جوانب شتى، وفي أسباب النزول أنها نزلت بديلة عما اقترحته قريش عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) «ان يجعل لنا الصفا ذهباً ...» (٣) .

(١) نور الثقلين ١ : ١٤٩ في اصول الكافي بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يا هشام ...

(٢) المصدر عن كتاب التوحيد قال هشام فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه؟ قال ابو عبد الله (عليه السلام) : وجود الأفاعيل ... ألا ترى انك إذا نظرت الى بناء مشيد مبني علمت أن له بانبا وان كنت لم تر الباني ولم تشاهده .

(٣) الدر المنثور ١ : ١٦٣ . أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أدع الله ان يجعل لنا الصفا ذهباً نتقوى به على عدونا فأوحى الله إليه إني معطيهم فاجعل لهم الصفا ذهباً ولكن ان كفروا بعد ذلك عذبهم عذاباً لا أعذبه أحدا من العالمين فقال رب دعني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم فأنزل الله هذه الآية .

الآية الأولى من السبع : ١ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وترى أنه «خلقه السماوات ...»؟ والناكر لربوبيته ناكر لخلقه واحدا أو كثيرا ، مهما اعترف المشركون أنه خالق!.

فكأن «خلق» هنا بمعنى «مخلوق» : إن في مخلوقية السماوات والأرض ، أو أنه «خلق» دون فاعل مصرح ، يصرح به الكون المخلوق ، وعلى أية حال فحدوث الكون بسماواته وأرضه دليل أن له محدثا ، وأصول الدلالة على حدوث الكون ككل هي : التركب . التغيير . الزمان والحركة ، فإنها أدلة قاطعة لا مرد لها على حدوث الكون بمادته الأولية الأم ، إذا فله محدث.

ولأن الخلق على شتات أجزائه وخواصه منسجم كهيكل واحد ذي أجزاء مرتبطة مع بعضها البعض ، ف ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ فذلك دليل وحدة الخالق ، فان من لزامات تعدد الخالق عديد الصنع المتفاوت ، إضافة إلى استحالة التعدد في الكمال المطلق اللامحدود ، حيث العدد بحاجة إلى مايز بين أصحاب العدد مزيجا بجهة الاشتراك وذلك تركب وعجز ونقص في كيان الخالق.

٢ ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ولنأخذ مثلا ماثلا بين أيدينا ليل نهار ، الليل والنهار الأرضيين ، والاختلاف افتعال من اخلف ان يتكلف الإتيان خلف الآخر ، او الخلف ان يختلف عن الآخر تخلفا عن مسيره أو مصيره ،

---

. وفيه عن أبي الضحى قال : لما نزلت : وإلهمكم إله واحد عجب المشركون وقالوا إن محمدا يقول : وإلهمكم إله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله ...

وفيه عن عطاء قال : نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة : وإلهمكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . فقال كفار قريش بمكة كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ...﴾.

فالاختلاف . إذا . منه رحمة ومنه زحمة ، والأول هو المعني من اختلاف الليل والنهار ، أن يأتي كل خلف صاحبه وفق نظام التدبير من الخلاق العظيم . فالليل والنهار كلّ مختلف صاحبه ، وليس مختلفا عن صاحبه متخلفا عن مسيره ، ولا مختلفا «في» مع صاحبه ، وذلك الاختلاف يأتي في أبعاد هي . إضافة الى اختلاف كلّ صاحبه في الظهور . اختلاف في البعد الزماني والمكاني ، فاننا نجد في كرتنا الأرضية على كل حال ليلا ونهارا مع بعض في أفقين متقابلين اختلافا مكانيا ، ونجد كلاً من الليل والنهار تختلف ساعاته ، فأقصر الأيام هو نصف ساعة كما في السويسرا ، وأطولها ستة أشهر كما في القطبين ، وبينهما عوان من ١٢ الى . ٢٠ . الى ٢٤ ساعة ، فالحركة اليومية الأرضية على محورها ترسم لها الليل والنهار بمواجهة نصف الكرة أو يزيد مع الشمس ، اكتسابا من نورها وحرارتها فيسمى النهار ، واستتار الشمس عن النصف الآخر أم يقل ، فتدخل تحت الظل المخروطي وتبقى مظلمة فتسمى الليل ، اختلاف دائب لكلّ من الفرقدين وراء بعضهما البعض حول الأرض .

وعامل ثان هو ميل سطح الدائرة الإستوائية او المعدل عن سطح المدار الأرضي في الحركة الانتقالية شمالا وجنوبا ، وقضيته ميل الشمس من المعدل شمالا أو جنوبا راسما للفصول ، وهو سبب استواء الليل والنهار في خط الإستواء في القطبين .

أما القطبان أنفسهما فلهما في كل سنة شمسية تامة يوم واحد وليلة واحدة كل منهما نصف سنة ، والليل في قطب الشمال نهار في قطب الجنوب وبالعكس .

فالسنة في المنطقتين القطبيتين نصفها ليل ونصفها نهار على التساوي ، ثم بينهما وخط الإستواء يختلف كلّ من الليل والنهار عن الآخرين من ١٢ ساعة

الى ٢٤ ، ف ١٢ عند خط الإستواء ، و ٢٤ عند الدائرة القطبية ، ثم تأخذ في الزيادة في الدائرة القطبية من ١٢ ساعة الى ٢٤ وإلى شهر فشهريين إلى ستة أشهر ، وأعجب باختلاف زمنيّ بين نصف ساعة وستة أشهر!.

كما والسنة كلها حاضرة الفصول الأربعة في مختلف أيامها ، فالصيف في الشمال كمصر وأوروبا شتاء عند أهل الجنوب ك «ناتال».

وكل ساعات الليل والنهار كائنة حاضرة في كل الساعات حسب مختلف الآفاق في كرتنا الأرضية ، فالصباح عندنا مساء عند آخرين وليل عند ثالث وفجر عند رابع وهكذا سائر الأوقات ، قضية الكروية لأرضنا ، واختلاف أنحاء الأرض قريبا وبعدا.

اختلافات ثلاث منضّدة منتظمة ، فأصل حدوث كلّ بعد الآخر دليل على محدثهما ، ونضد المحدث دون تفاوت وتحافت دليل وحدة المحدث ، سبحان الخلاق العظيم.

ذلك! وإن توالي الإشراق والعتمة . فذلك الفجر وذلك الغروب . يعتز له المشاعر الحيّة ، والقلوب الناهجة ، مهما فقد الإنسان وهلتها وروعتهها مع التكرار ، ولكن القلب المؤمن تتجدد في حسّه هذه المشاهد ، ويظل دائما في ذكر الله بهذه الآيات المكرورة.

٣ ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ فان جريانها هو بريح مسخرة بين الأرض والسماء ، ام وبطاقات أخرى كشف عنها العلم وكلّ ذلك من نعم الرحمن ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان﴾ (٥٥ : ٢٤). ولو أن هناك آلهة دون الله لكانت هناك رياح متضاربة متطاحنة كلّ تحمل إلى جانب ، لكن ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠ : ٢٢﴾.

فجري الفلك في البحر آية ، واتجاه القلب في أعماق الفطرة الى ربوبية وحيدة في خضم البحر الملتطم . شئت أم أبيت . آية ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (١٧ : ٦٨).

٤ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ففي ضم ميت الماء بميت الأرض بما فيها من ميت الحبوب ، نرى في مثلث الميتات حياة ، سبحان الخلاق العظيم.

٥ ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ومهما كان ضمير التأنيث في «فيها» راجعا إلى الأرض مبدئيا كظاهر التعبير لتقدم الأرض ، ولكنه راجع . أيضا . إلى السماوات لسبق ذكرها ، ولأن ﴿مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٤٢ : ٢٩).

فخلق الدواب وبتّها دون تهافت وتفاوت آية لقوم يعقلون أنهما من إله واحد.

٦ ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ...﴾ و «الرياح» جمعا هي في سائر القرآن رياح الرحمة ، والريح . إلا الموصوفة بالطيبة . هي ربح العذاب ، وما هبت ربح قط إلا جثا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ركبتيه وقال : «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنثور ١ : ١٦٥ . اخرج الشافعي وابو الشيخ والبيهقي في المعرفة عن ابن عباس قال : ... قال ابن عباس : والله ان تفسير ذلك في كتاب الله : أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ...

فهناك أرياح خبيثة يعبر عنها بصيغة الإفراد ﴿رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ﴾ (٣ : ١٢٧) ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (١٠ : ٢٢) «ريح قاصف» (١٧ : ٦٩) ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ (٥١ : ٤٢) ﴿بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٦٩ : ٦) ﴿رِيحًا فَرَّأُوهُ مُصْفَرًّا﴾ (٣٠ : ٥١) اللهم إلا ﴿بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (١٠ : ٢٤) لو لا وصفها لكانت خبيثة ، فهذه ستة .

ثم رياح بصيغة الجمع كلها طيبة كما هنا ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ و ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٧ : ٥٧) ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ (١٥ : ٢٢) ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (٣٥ : ٩) وهذه أربعة .

وتلك . إذا . عشرة كاملة من الرياح بين خبيثة وطيبة ، كلها . فيما أراد الله . طيبة ، ف «الرياح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوا الله وسئلوها من خيرها وعودوا بالله من شرها» (١) .

ولو أن هناك مصرفين للريح والرياح لتفاوت التدبير والتقدير ، و ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرِّجْمِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ .

ومن عجائب الرياح انها تحصل وتفعل ما تفعل بين الأرض و / ١٦٠٠٠ ذراعا فوقها ، والأغلب في تحصلها أن الأشعة الضوئية الواقعة من الشمس على

. فأرسلنا عليهم الريح العقيم ... أرسلنا الرياح لواقح ، وأرسلنا الرياح مبشرات .

أقول : وهكذا نجد في القرآن كما في آيات الرياح العشر .

(١) المصدر . أخرج الشافعي وابن أبي شيبة واحمد وابو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال : أخذت لنا الريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح؟ فقلت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... وفيه عن ابن عباس ان رجلا لعن الريح فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تلعن الريح فانها مأمورة وانه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه .

الهواء تتبدل حرارة ، فتعرضها خفة قضية الحرارة ، فلا يستطيع الهواء على حمل ما يعلوها أو يجاورها من بارد الهواء الثقيل ، فيتساقط على الحار الخفيف ، فيجري الخفيف . إذا . إلى خلاف سمت الدفع ، وهذه هي الأغلب في ظاهرة الرياح .

٧ ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ والسحاب هو المسحوب من أبخرة الأرض ، حيث تتركب وتمطر ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وقد يعبر عنه بالميزن والمعصر ، ولكن الغمام ما ليس فيه ماء ويحسبه الناظر سحابا .

ففي خلق السحاب بين السماء والأرض ، وإرسالها بصورة منظمة دون فوضى أم تحافت دليل أن صاحبها الساحب لها المطر بما إله واحد ، سبحانه الخلاق العظيم .

فترى هذه السبع مؤتلفة متألفة غير متخالفة وأن فيها ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عقل فطرة وفكرة ، وعقل إحساس وعلم لو كانوا يعقلون .

فلو أن الإنسان ألقى إلى عقله عقليته ، وألغى عنه بلادة الغفلة وكرور الألفة ، فاستقبل مشاهد الكون بإحساسات متجددة جادة ، ونظرات مستطلعة مستعلية على نزوات ، كالرائد الذي يهبط إلى الكون أول مرة ، فتلفت عينه كل ومضة ، وسمعه كل نامة ، وحسه كل حركة ، وتمز كيانه تلك الأعاجيب التي تتوالى كدائرة الشريطات على الأسماع والأبصار فالقلوب ، سبحانه الله مقلب القلوب .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ١٦٥ .

الأنداد هم الأمثال الأضداد ، أمثال في الألوهية بعضا أو كلا فأضداد في شؤون الألوهية كلاً أو بعضا ، و «يتخذ» هنا ، لا سيما بعد ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ لحة صارحة أن لا أنداد لله ذاتيا أو متخذة من عند الله ، وإنما ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ كما وان تنوين التنكير تهوين لمكانة هؤلاء الأنداد. وقد يخرج من الأنداد الأولياء المعبودون من دون الله إذ هم ليسوا بأضداد لله ، مهما اتخذوا أندادا.

وهنا تنديد شديد بمن يتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله «فما ذا تعني كحب الله؟» هل هو كحبهم الله؟ ونراهم يحبون أندادهم أكثر مما يحبون الله ، بل وقد لا يحبون الله! أم هو كحب المؤمنين الله؟ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ تلمح بأشدها أن هؤلاء الأنداد يحبون الله كما يحبون أندادهم! أم كحب يليق بالله وهو توحيد الحب إلهيا ، وقد تعني ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ككلّ الاحتمالات الثلاث ، أنهم يحبون أندادهم كحبهم الله ، أو كحب المؤمنين الله ، أو كحب يليق بالله ، وكل هؤلاء على دركاتهم تشملهم ﴿يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾. ثم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ تعني أنهم أشد حبا له منهم لله أو لآلهتهم ، لأنهم يوحدون حبهم لله وهؤلاء يقتسمونه بين أندادهم ، وقد يحبون معهم الله ، مهما كان الأشد لا يشمل الملحددين الذين لا يحبون الله حتى يكون حب المؤمنين أشد منهم ، أو يحبونهم كحبهم لله في أصل الحب إلهيا حيث يحبونهم كآلهة كما المؤمنون يحبون الله لأنه الله ، مهما اختلفت درجات الحب عندهم تسوية بين الله والأنداد ، أم ترجيحها لها عليه ، ولكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ إذ لا يشركون في حبهم بالله أحدا كما لا يشركون بالله.

فكما يجب توحيد الله في كافة ميّزات الألوهية والربوبية ، كذلك توحيده في حبه ، ألا يساوى ولا يسامى في الحب بسواه ، لا كإله وان في ذرة مثقال ، ولا كمحجوب سواه اللهم إلا حبا في الله فانه قضية حب الله : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ (٣) : (٣١).

والحب الأشد من حبهم . للمؤمنين . ذو بعدين اثنين : أشد من حبهم لله ، وأشد من حبهم لأندادهم ، فان ذلك حب موحد خالص دون أيّ شريك وهذا حب فيه شركاء أو شريك ، فقضية الإيمان الموحد هي الحب الأشد الموحد لله ، لحد لا يبقى مجالا لحب غير الله كإله ولا سواه .

وحين يندد بمؤمنين ساقطين يحبون غير الله أحب من الله ، فليس القصد منه هو الحبّ الإيماني ، بل حبا عمليا أنهم يعاملون غير الله كأحب من الله ، غفلة أو تغافلا عن حب الله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٩ : ٢٤) .

فإنهم لا يحبون هؤلاء . إذ يحبونهم . كأنداد لله فانه إشراف بالله ، بل كأحباء اعتياديين قضية العواطف والمصلحيات البشرية الحاضرة ، التي قد يغيب معها حب الله المتفوق عليها ، وذلك فسق في الحب وليس كفرا فيه .

وحب من سوى الله بين ممنوع وممنوح ، فالأول هو حب الأنداد وهو إشراف بالله ، وبعده حب أهل الله كما تحب الله . على سواه . دون إشراف لهم بالله ولا تأليه ، وهو يتلو الإشراف بالله ، ومن ثم حب من لا يحبه الله لا كإله ولا كأهل الله ، وهو تحلف عن شرعة الحب في الله .

والثاني هو حب الله والحب في الله ، ثم التسوية في حب أهل الله على

اختلاف درجاتهم ضلال ، كأن تحب سلمان كما تحب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في درجة واحدة ، إفراطا بحق سلمان وتفريطا بحق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما الذين «اتخذوهم أئمة من دون الإمام الذي جعله الله للناس اماما»<sup>(١)</sup> قد اتخذوا لهم أندادا يحبونهم كما هم ، فكفر الحب وإلحاده أن تحب غير الله ولا تحب الله ، وإشراكه تأليها أن تحب من دون الله أندادا كحب الله ، وفسقه . دون تأكيد . أن تسوي في الحب بين الله وأهل الله ، أم أن تحبهم أقل منه استقلالاً بجنبه ، وإيمان الحب أن توحد حبك لله كإله مهما تحب سواه ، وأعلى منه ألا تحب سواه إلا في الله ، وقمته أن تصبح بكل كيائك حبا لله .

إن دوافع الحب الموحد الأصيل لله حاضرة حاضرة ، وهي في حب غير الله كما الله غائبة خاسرة حاسرة ، فبصيغة واحدة حب غير الله لا في الله إشراك في شرعة الحب بالله مهما اختلفت دركاته ، فمطلق الكمال . أيا كان . محبوب فطريا وعقليا ، فضلا عن الكمال المطلق وهو الله تعالى شأنه فكيف نحب من سواه كما نحبه؟ .

ومطلق المنعم . أيا كان . محبوب كذلك ، فضلا عن المنعم المطلق وهو الله تعالى شأنه ، ومطلق العلم والقدرة أما شابه من كمال محبوب ، فضلا عن العالم القدير اللانهايي في كل كمال مرغوب وهو الله تعالى شأنه .

وقد خرف وهرف وانحرف من تقوّل ألا يمكن حب الله ، اللهم إلا حبا

(١) نور الثقلين ١ : ١٥١ في اصول الكافي بسند عن جابر قال : سألت أبا جعفر (عليهما السلام) عن هذه الآية قال : «هم والله فلان وفلان اتخذوهم ... هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياءهم» أقول : هذا من باب الجري والتأويل الى مصداق ادنى ، فان حرمة التسوية بين غير المتساوين جارية على كل حال .

لنعمه وإكرامه ومن عباد الله من يحبونه لأنه الله ، لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره .  
والحب هو أول تعلق فطري بين المنعم ومنعمه ، وله درجات حسب درجات النعمة  
والمنعم والمعرفة به ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ هم درجات في ذلك الأشد لحد الشغف ،  
ألا يبقى في قلبه وفي كل كيانه إلا حب الله أتمن يحب الله طول حب الله وطوله ، بحوله تعالى  
وقوله ، وإنهم تجسّد لحب الله وكأهم هم حب الله ، لا كون لهم ولا كيان إلا حب الله  
وطاعته ، وأفضلهم رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه أول العابدين والعارفين  
بالله ، ومن أسماء الحبيبة «حبيب الله» وهو أفضل أسماء وسماته كما «الله» أفضل أسماء  
الله .

وترى «أندادا» هنا هي كل ما سوى الله من أوثان وطواغيت؟ ولا مرجع لضمير  
العاقل في «يحبونهم» إلا ذوا العقول الذين قد اتخذوا من دون الله أندادا! ولا يعقل حب  
الأصنام كحب الله! ولا أن الأصنام متبعون مهما هم معبودون ، وهنا تبرء ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ إذا فهم كل من يعبد من دون الله اللهم إلا الصالحين إذ ليسوا أضدادا لله  
مهما اتخذوا شركاء ، ولا هم متبعون إذ لا يدعون إلى أنفسهم .

ومن أند الأنداد وألدها الهوى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وقال (صلى الله عليه  
وآله وسلم): «أبغض إله عبد في الأرض الهوى»! فمن يحب هواه كما يحب الله ، حبا لها  
كإله أم سواه ، فقد ضل عن شرعة الحب مهما اختلفت دركاته إشراكا بالله وفسقا عن  
شرعة الله .

وقضية حب الإنسان نفسه أن يحب ربه المستكمل لها الخالق إياها ، فليحب نفسه  
إذا أحبها الله حبا في الله ، وليبغضها إذا أبغضها الله بغضا في

الله ، وليقدّر نفسه متعلقة . ككل . بالله يروضها بتقوى الله ، ويمحور الله بمرضاته في حياته كلها دون سواه ، وهذا هو من حق توحيد الله .

حب كل شيء راجع الى حب النفس ، ويرجع حب النفس إلى حب الله ، لا ان يحب الله لأنه من حب النفس ، بل يحب نفسه لأنه من حب الله ، موحدًا في الحب دون إشراك بالله حتى نفسه على إيمانه ، فضلا عنها على كفره وإشراكه! .

كلّ منا يحول في كل حياته حول نفسه في كل حركاته الآفاقية والأنفسية ، ولتكن نفسه طائفة حول ربه ، فهو في كل حركاته وسكناته الحائرة فيها حور نفسه ، حائر في العمق حور ربّه ، لا يبتغي إلا مرضاته ، تطوفا على طول خط الحياة بخطوطها وخيوطها حول ربه ، حولا معرفيا وحييا وعمليا ، مبتعدا عن كل محور سوى الله حتى نفسه المؤمنة بالله ، وذلك هو التوحيد الحق .

وللحب مراحل خمس هي الود والعشق والهيمان والخلة والشغف والخامسة هي البالغة مبالغ الحق ومراحلها إذ بلغت شغاف القلب ولبه وفؤاده .

إن حب الشغف والخلة هما المعتمد عليهما في شرعة الحب ، أن ليس معللا بما يرجع الى منتفعات النفس أو الابتعاد عن مضارها فإنهما حب العبيد والتجار ، وذلك الحب غير المعلل هو حب الأحرار ، أن تحب الله لأنه الله ، لا . فقط . لأنه الرحمن الرحيم ، بل لأنه الكمال والجمال والجلال اللانهائي ، وهو المحبوب فطريا دون سبب إلا هو ، فانه هو حظه ذاتيا ، فكما الإنسان يحب نفسه لأنه هو ، فليحب ربه لأنه أكمل مما هو ، بل وهو بكل ما له ومنه ، يكون منه ، فلا محبوب له . إذا . إلا هو .

إذا فذات الله عين حظه ، ثم ذوات أخرى محبوبة لله هي على الهامش ، حبا في الله ولله لا سواه ، وذلك الحب لا يتغير إلا تقديما كما الله لا يتغير ، وأما

الحب المعلل فهو متغير بتغير أسبابه أمام صفات الجمال والجلال للحق المتعال.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

.١٦٥

«لو» هنا في موقف التحسر ومسرح التأثير التكسّر للذين ظلموا في شرعة الحب ، ف «لو» مدوا بأبصارهم الى مسرح العذاب ومصرح القوة لله جميعا ، و «لو» تطلعوا ببصائرهم إلى حين يرون العذاب ، لرأوا حينذاك ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ دون سواه ، ورأوا ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾.

لو يرون ذلك المسرح المصرح ، الحاسم الموقف ، القاصم الظهر ، لانتبهوا عن غفوتهم ولكن لا حياة لمن تنادي! ... لو يرون.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ١٦٦ .  
 اجل ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ (٢٩ : ٢٥)  
 ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ (٧ : ٣٨) ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٤٣ : ٦٧) ، بل ورأس الأنداد ورئيسهم إبليس يتبرأ من تابعيه : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ (١٤ : ٢٢)! فهناك ويلات الحسرات للذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله .

فهناك الأسباب بينهم كلها متقطعة بهم ، إذ ينشغل كلّ بنفسه عن سواه ، وتسقط كافة الصّلات غير الأصليات ، اللهم إلا صلة التقوى ، وظهرت أكذوبات الأنداد وكل القيادات الضالة وخوت ، وهنالك يتحسر التابعون :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ يُرِيهِمْ﴾

اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ .

أتراهم ليس لهم ان يتبرأوا منهم هناك كما تبرأوا منهم حتى هم ناظرون ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ...﴾؟ نعم! ولكن لا يفيدهم . فقط . التبرؤ منهم هناك ، وإنما هو التبرؤ في حياة التكليف : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ...﴾ .

«كذلك» البعيد المدى ، العميقة الأسى ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ رؤية ملكوت أعمالهم ، التي هي جزاءهم يوم الحساب ف ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ : . ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ...﴾ .

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ما دامت النار ، وأما إذ لا نار ولا أهل نار ، فما هو . إذا . بخروج عن النار ، وإنما خروج عن الحياة بخروج النار عن حياتها! ، فلا تدل . إذا . على البقاء اللامحدود في النار ، وإنما الخلود الأبدي فيها ، انهم في النار ما دامت النار .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِ

كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحَلْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

بعد ما بين الله حق وحدة الألوهية ووحدة الحب إليها لنفسه ، هنا يقرر حق التشريع له وحده ، مناحرا لما كان يفعله المشركون من تحليل او تحريم لا يرجع الى دليل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ١٦٨ .

الحلال فعال من الحلّ والحلّ مقابل العقد ، فالشيء غير المعقود ولا المحذور حلال ، سواء سبقه عقد الحظر أم لم يسبقه ، وليس للمأكل مما في الأرض سابق حظر كأصل ، إلا انه لله ، فلا يحل اكله إلا بمرضات الله ، وهو يحله في أمثال هذه الآية كأصل وضابطة عامة تحلّ الحظر عما يؤكل .

والطيب . هنا . هو كل ما تستطيه النفس أكلا ، وطبعا النفس الباقية على الطبع الإنساني الأولى ، دون المنحرف عنه ، المنحرف الى دركات الحيونة الوحشية التي تستطيب أكل كل ما يمكن ابتلاعه ، مهما كان حشرة ، كما في الطباع الأوروبية المنحرفة عن إنسانيتها .

ثم هي النفوس ككل ، دون كل نفس ، فقد يستطاب أكل شيء عند أشخاص خصوص متخلفة عن الجماهير ، ام يستقدر كذلك ، والمعيار هو الاستطابة الجماهيرية بالطباع الأولية ، حيث الأحكام الشرعية يراعي في تشريعها جمهرة الناس دون الخواص .

أترى ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ تبعيض لمأكولات الأرض ، أن : كلوا بعض المأكولات ، ثم ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ بيان لذلك البعض؟ فهما . إذا . حالان ل ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ ام مفعولان ل «كلوا»؟ فالآية . إذا . مجملة بالنسبة ل «حلالا» إذ لم يبين الحلال مهما عرف «طيبا» بما تعرفناه! .

فلنعرف خصوص الحلال مما في الأرض ، الطيب ، حتى يسمح لنا أكله ، فحين نشك في حلّه الخاص لا يحل أكله ، وهذه هي أصالة الحظر ، المطرودة بنصوص كقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (٣ : ٢٩) وقد تنافى . أيضا . سماحة هذه الشرعة وسهولتها! .

أم إن ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ تبعيض لما في الأرض ، فإن منه مأكولا ومنه غير مأكول ، ولم يقيد النص ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمأكل ، حتى يبعّض بأداته ، فمطلق النص ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يشمل كل ما في الأرض ، ثم «من» تبعّضه بالبعض المأكول . إذا ف ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ سماح عام لأكل كلّ ما يؤكل ، فهل إن ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ هما مفعولان ل ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ تقييدا لسماح الأكل؟ فكذلك الأمر! حيث الآية . إذا . جملة في الحلّ ، ثم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ دون قيد الحلّ ، و ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ...﴾ الحاصرة الحرمة فيما حصرت مهما كان نسيبًا هما لا تساعدان على أصالة الحظر ، أم إجمال الآية في الحلّ! .

أم انهما حالان ل ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ كما ل «كلوا» كلوا أكلا حلالا طيبا ، مما في الأرض حلالا طيبا ، حلاّ عاما كضابطة لأصل الجواز ، وطييا تقييد لذلك الحل كأول ما يقيد الأكل والمأكل ، وكما تؤيده ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ إذا في «حلالا» حال لواقع الأكل والمأكل على أية حال ، ثم «طييا» حال ثان او وصف تقييدي ل «حلالا» يخرجّه عن إطلاق الحلّ ، ام إن «طييا» لها دور «حلالا» بيانا لأصالة الطيب ، ألا يسمح باستقذار مأكول مما في الأرض إلا ما ترفضه الطباع الإنسانية ، فتصبح «طييا» أوسع مجالا مما كان تقييدا ، إذا فيكفي في حلّ المأكول عدم استقذاره نوعيا واقعيًا ، لا واستطابته كذلك .

وقد يقيد الأكل عن حلّه العام بعد طيبا ب ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ :  
 ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (٨ : ٦٩) ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (١٦ :  
 ١١٤) تقييدا للحل بكونه مما ملكته من مشروعه : ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (٤ : ٢٩).

إذا فكل مأكول طيب يحل أكله بغير باطل ، كضابطة عامة ، إلا ما استثني من حل  
 الأكل مادة او مدة ، كما او كيفا ، فالمشكوك جواز أكله داخل في ضابطة الحل إلا ما  
 ثبت الحظر عنه بدليل من كتاب أو سنة.

ومن القيود العامة لحل الأكل في آيتنا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وكخطوة  
 الإسراف والتبذير فإتبعوا من الشيطان ، وخطوة التحريم لغير المحذور أكله والتحليل للمحذور  
 أكله ، وكخطوة أصالة الحظر ، مهما اختلفت هذه الدركات في الخطوات ، وعلى أية حال  
 فاتباع خطوات الشيطان هو الانجذاب في قياده ، ان تكونوا سيقا للشيطان فيما يخطوه.  
 ولأن الخطوة هي ما بين القدمين من المسافة حالة المشي ، فقد تعني خطوات  
 الشيطان وسائله وذرائعه الى بغيته الأخيرة وهي الإشراف بالله والإلحاد في الله ، فليس  
 الشيطان ليورد الإنسان إلى أخيرة المهالك إلا بخطوات من صغيرة الى كبيرة الى كبرى ، فعند  
 ذلك الطامة الكبرى وكما قال الله :

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٦٩ .

فالسوء هنا هو ما دون الفحشاء ، كما الفحشاء هنا هي دون ﴿أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ  
 مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبصيغة أخرى الفحشاء هي أقبح انواع السوء ، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ هي أقبح  
 انواع الفحشاء ، فالفحشاء هي المعصية المتجاوزة حدّها إما في نفسها ام الى غير العاصي ،  
 ام تجمعهما ، ثم العقيدة السيئة ، والفاحشة هي أفحش من عملية السوء والفحشاء.

فاتباع خطوات الشيطان محذور في كل الحقول ، أكلا كما هنا ، أما سواه من أفعال وتترك كما : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢ : ٢٠٨) . «ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. ثمانية أزواج ... قلء الذكرين حرم أم ...» (٦ : ١٤٣) . وعلى أية حال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ (٢٤ : ٢١) : ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، هنا ﴿وَأَنْ تَقُولُوا...﴾ هي قولة الفرية على الله في تحريم او تحليل ما لم يأذن به الله ، وأفحش منه المشاقة الصريحة لحكم الله ، أني أحرم مهما أحل الله ، أم أحلل مهما حرم الله.

وقبلهما سوء وفحشاء علي وعقيدي ، فمن سوء عملي أكل الحرام الخفيف مادة وحرمة ، ومنه عقيدا تحليله افتراء على الله ، ومن فحشاء عملي الحرام المغلظ والعقيدي منه فريته على الله ، والسوء والفحشاء العقيدان هما أسوء وأفحش منهما عمليا ، فلذلك يفرد العقيدي بالذكر بعد مطلق السوء والفحشاء : ﴿وَأَنْ تَقُولُوا...﴾ .

فقد يعصي العاصي معترفا انه عاص ، وأخرى محلا له تقصيرا في التفتيش عن دليل ، فتوى بغير علم ، ام افتراء على الله بمعارضة الدليل ، ام مشاقة لله بمصارحة أني أحلل وأحرم ، رغم ما حكم الله ، وذلك ثلوث منحوس بدركاته الثلاث قد تعمه ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ام قد يفلت الأخير من نصها داخلا في الأولوية.

فالقول على الله بغير علم . بدركاته . هو أسوء من السوء وأفحش من الفحشاء

العمليين ، مهما كان القسم الأول من الثلوث سوء أمام الثاني ، وهذا

فحشاء أمام الثالث من الناحية العقيدية.

فمن السوء عمليا في ظلال آيتنا ترك أكل ما لم تثبت حرمة ، اللهم إلا حائطة ثابتة بدليل ، ومنه عقيدا أصالة الحظر .

كما من الفحشاء عمليا أكل الثابت حرمة ، ومنها عقيدا القول بحليته دون علم ، ثم بعلم ، ثم فوقهما عمليا التورط في المحرمات الكثيرة الكبيرة ، وعقيدا تحليلها افتراء على الله ، ام مشاقة علنية لحكم الله ، وكما منه الاستناد الى القياس والاستحسان أما شابه مما ليس دليلا شرعيا ، بل الأدلة الشرعية تعارضه ، كل هذه قد تشمله ثالث خطوات الشيطان بمختلف دركاتها .

فحذار حذار من ويالات خطوات الشيطان ، فانه لا يحمل المؤمن المتقي على ثلاثة الدركات إلا أن يخطو به أولاها ثم ثانيها ، عمليا او عقيدا ، حتى يورده في مسيره الى مصير الهلاك الأخير « جهنم يصلونها وبئس المصير » .

وإنما ثالث الخطوات في حصر «إنما» وليست وراءها خطوة ، وهي بين آفاقية عملية ﴿بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ وأخرى انفسية ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ قولاً بغير علم! .

أترى الشيطان يأمر . فقط . بالسوء و...؟ ونراه قد يأمر . فيما يأمر . بالخير! إن أمره بغير السوء هو في الحق أمر بالسوء فأمر سوء ، إذ يتذرعه إغراء إلى سوء ، كمن يأمره بقراءة القرآن ، ثم يجمده على حروفه ويصرفه عن أحكامه فيصبح صاحبه تاليا للقرآن والقرآن يلعنه .

ففي الحق لا يأتي من الشيطان إلا عملية الشيطنة وعقيدتها مهما أمر في ظاهر الحال بخير ، ثم لا يتمكن الشيطان . ام أي كان . أن يأمر بسوء وفحشاء بمقدمات كلها شريرة ، وإنما يخلط حقا بباطل وباطلا بحق وهو بدء وقوع الفتن كما يروى عن قاطع الفتن علي (عليه السلام) : «إنما بدء وقوع الفتن أهواء

تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالات فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغط ومن هذا ضغط فيمزجان فيجئان معا فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

فخير الشيطان شرّ إذ يبوء الى شر ، وشر الرحمن خير إذ يبوء الى خير «ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون» (٢١ : ٣٥).

وقد يجرّ الشيطان الإنسان من الأفضل إلى الفاضل ليتذرع به لإخراجه الى غير الفاضل وإلى الشر ، أم يجره من الفاضل الأسهل الى الأفضل الأشق ليشق عليه فيترك الفضل عن بكرته!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ١٧٠.

وذلك هو الدرك الأسفل من الخطوات العقيدية الإبليسية ، مشاقّة الله في حكمه بحكم الآباء القدامى التقليديين ، معارضة الدليل بالتقليد الخاوي عن الدليل ، وقبله خطوة الحكم غير التقليدي خلاف حكم الله ، وقبله القول على الله بغير علم دون أية حجة من كتاب أو اثاره من علم قياسا او استحسانا أما شابه ، وقبله الفتوى دون تفتيش صالح عن دليل ، دركات اربع عقائدية في خطوات الشيطان ، وقبلها او معها خطوات عملية من سوء إلى فحشاء.

هنا ﴿قَالُوا بَلْ﴾ رفض لا تباع ما أنزل الله إلى ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ اتباعا عمليا وعقديا ، في تقليد جاهل قاحل «أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون».

ف «لو» الامتناعية هنا تنازل الى سماح التقليد لو أنهم عقلوا شيئا

واهدتوا ، ثم مماشاة معهم في استحالة «لا يعقلون ولا يهتدون» ولكن على فرضه . وكما هو الواقع الملموس . أفتتبعون آباءكم ضد ما أنزل الله حتى إذا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، تقليدا جاهلا في أصله وفصله ونسله ، بعيدا عن كل الأعراف في التقليد محبورا ومحظورا<sup>(١)</sup> .  
فقد يجوز تقليد من يعلم ويهتدي ، وترك اتباع ما أنزل الله خلاف صارح للعلم والهدى ، فانه تعالى مصدر العلم والهدى فكيف يعارض فيهما بتقليد أعمى! .

وترى كيف بالإمكان للآباء . أيا كانوا . انهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ وهم يعقلون أشياء ويهتدون إلى أشياء يحتاجونها في حياتهم؟

«شيئا» هنا هو شيء الحق ، فمن عرف شيئا من الحق اتبع ما أنزل الله ، وكذلك شيء الهدى ، ثم «لو» قد تلمح إلى أن ذلك فرض أخير لحالة الآباء ، وبه تلحق سائر فروض التقليد الجاهل في مسرح اللابعد واللايهتدي وإن قليلا ، حيث التقليد العاقل بحاجة إلى عقل كامل عن شرعة الله ، وهدى شاملة إليها ، والتقليد الجاهل هو نفسه من خطوات الشيطان .

وفي تعقيب ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ ب ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ عطفًا بعد ردف ، لمحة بارعة أن الاهتداء هو من خلفيات العقل ، مقدرًا بقدره ، فحين لا يعقلون شيئا من الحق ، فهم لا يهتدون إليه بطبيعة الحال ، فالعقل ذريعة الهدى كما الهدى حصيلة العقل وكما يروى «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» .

(١) الدر المنثور ١ : ١٦٧ عن ابن عباس قال دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهود الى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجه ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا فأنزل الله : وإذا قيل لهم ...

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٧١ .

علّ ذلك مثل للذين كفروا في ثالث تقليد الآباء ، وعبادة الأصنام ، وترك قبول الدعوة الإلهية ، فالذي ينعق بما لا يسمع . هو في الأخير . الدعوة الرسالية ، فإنهم لا يسمعونها إلا دعاء ونداء كما الأنعام ، وفي الأولين هو الأولان ، في نعقهم بآباءهم القدامى وهم أموات ، بل وهم عند حياتهم أيضا أموات عن إجابة صالحة لأبنائهم إذ لا يسمعون إلا دعاء ونداء ، وفي نعقهم بأصنامهم أم وطواغيتهم هم بين اللإجابة أصلا إذ لا يسمعون حتى دعاء ونداء ، او اللإجابة حيث إجابتهم لا يحمل سؤالا لعابديهم .

ولأن ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ تتضمن السمع ، فدعاء الأصنام . إذا . هو ضمن المعنى من الدعاء ، والأصل هو دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إياهم ودعوتهم آباءهم ، ولأن الآباء القدامى أموات لا يسمعون حتى دعاء ونداء ، فالأصل هو . فقط . دعوة الرسول إياهم ، كما وتؤيده ﴿صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ صم عن سماع كلمة الحق إذ أصمهم الله بما صموا ، بكم عن الإفصاح بالحق إذ أبكمهم الله بما خرسوا عن الحق وبكموا ، عمي عن مشاهدة الحق إذ أعماهم الله بما عموا ، وبالنتيجة ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فان عقل الحقائق بحاجة الى سمعها والإفصاح بها والإبصار إليها ، وهم صدوا عن أنفسهم منافذ العقل ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ بما صموا وابكموا وعموا .

فمن أهم منافذ العقل عن الحقائق السمع والبصر واللسان الإنسانية ، فالصم البكم العمي لا يعقلون فلا يهتدون ، فهم في ثالث الضلال بما ضلوا والزيغ بما زاغوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

إذا فمثلك في دعاء الذين كفروا ، ام ومثل الذين كفروا في دعائك إياهم ﴿كَمَثَلِ  
الَّذِي ...﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

.١٧٢

فلما لم يؤثر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...﴾ أثره إلا في الذين آمنوا ، فليكرر لهم الخطاب  
تشريفا بلقب الإيمان ، ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وهنا تركه «حاللا» يؤيد حل  
«حاللا» في آية الناس عن تقيّد ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى ضابطة الحل ، مهما زاد قيّدا بعد  
«طيبات» هو ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وليس رزق غيرك رزقك كما ليس رزقك رزق غيرك ، فقد  
تقيّدت أصالة الحل بما رزقك الله ، وليس رزقك إلا ما حصلت عليه من حلّه ، ام هو رزق  
جماعي لا مالك له شخصا كالأملأك المشتركة قبل خروجها عن الاشتراك ، مثل الغابات  
والبحار والأنهار حسب الضوابط المقررة في الشرع.

وترى ان الله يرزقنا مع الطيبات غيرها ثم ينهاها عن غيرها ، فلما ذا . إذا . يرزقنا؟ إنه  
قد يرزقنا من غير الطيبات أكلا ولكنها من الطيبات لغير الأكل كالأصباغ أما شابه! ثم ومن  
الطيبات ما يصنع منها غير الطيبات وهي رزق غير حسن بما أساء الإنسان : ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ  
النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (١٦ : ٦٧) فثمرات النخيل والأعناب  
هي كأصلها رزق حسن ،

(١) نور الثقلين ١ : ١٥٢ عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في دعائك إياهم ،  
أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت ،  
فكما أن الانعام لا يحصل لهم من دعاء الداعي إلا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من  
دعائك إياهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهم المعنى. لأنهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله  
فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه ...

وقد يتخذ منها سكر وهو غير حسن.

وقد تعني ﴿طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فيما عنت ، أن ما رزقناكم للأكل هي كلها طيبات ، إضافة الصفة الى الموصوف : كلوا من الطيبات التي رزقناكم ، ولكنه كمعنى خاص يخرج الرزق عن عمومه ، الشامل لغير الطيبات التي نصنعها من الطيبات.

﴿كُلُوا ... وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فمن يحرم نفسه أكل الطيبات المرزوقة فقد عبد هواه دون الله ، ومن لم يشكر الله على الطيبات ، فقد عبد هواه دون الله : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٧ : ٣٢).

أجل . وإن تحريم ما أحله الله عمليا او عقيدا او جميعا ، هو من الإشراك بالله وكفر به ، كما وترك شكر الله فيما أنعم من الطيبات هو كفران ، أم كفر وإشراك بالله.

يقول الله في حديث قدسي يرويه عنه الرسول القدسي (صلى الله عليه وآله وسلم):  
«إني والجن والإنس في نأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري»<sup>(١)</sup>.

و «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم» وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الفخر الرازي ٥ : ١٠ عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

(٢) الدر المنثور ١ : ١٦٨ . أخرج احمد ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد .

وقد تكفي ﴿طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ معونة تقييدات وتحددات ، حيث المؤمن لا يستطيب بطبيعة الإيمان مال غيره ، او محاصيل الظلم ، او الإسراف والتبذير ، وهناك يجنبه وفي مرآه ومنظره بطون غرثى لا عهد لها بالشبع ولا طمع لها في القرص.

ف «طيبات» هنا هي ما تستطيبها الأنفس المؤمنة نفسيا بجنب ما تستطيبها جسديا ، كما انها هناك ما تستطيبها الأنفس الإنسانية ، وهنا «طيبات» في ميزان الإقتصاد الإسلامي ، والأخلاق والعواطف الإسلامية السامية ، فهذه أضيق دائرة من «طيبات» في خطاب الناس ، قضية أن الإيمان قيد الفتك ، فالمؤمن يفتش عن طيب أكله وحلّه وأن يكون بمرضات ربه ، فيحتاط عن المخلوط او المشتبه بالحرام.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَخِمْ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٧٣.

حصر نسي في نطاق الأنعام التي حرّم المشركون أقساما منها افتراء على الله كما قال الله : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥ : ١٠٣).

وقد تحمل ذلك الحصر ثلاث أخرى ، فائنتان من الأربع مدنيتان ، هذه وآية المائة (٣) وأخريان مكيتان هما آية الأنعام (١٤٥) والنحل (١١٥) وتجد القول الفصل فيها في آية النحل والمائدة.

ومجمل القول فيها لا سيما آية الأنعام . وهي نص في الحصر . انها تنفي

. يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك!.

الحرمة في نطاق الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، اللهم إلا لحم الخنزير خارجا عن الأنعام لتعود أكله بين المشركين.

ثم ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ ضابطة لحل المحرمات ، شرط أنه ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ والباغي هو الطالب لا عن اعتدال ، فهو الظالم في هذه الورطة ، ان يكون في معصية الله فاضطر الى أكل شيء من ذلك ، والعادي يشمل المتجاوز عن حد الاضطرار إذا فلا اضطرار ، والعدو إلى حالة الاضطرار ، فهو إذا اضطرار باختيار ، فمن كان له صنع لخلق جوّ الاضطرار ، ام كان ظلما فيه ، فهو آثم رغم اضطراره ، مهما وجب عليه اقرار الحرام حفاظا على الأهم وهو نفسه <sup>(١)</sup> وعلل ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ حالان عن الاضطرار والأكل معا ، ألا يكون الاضطرار ببغي او عدو ، ام في حالهما ، وألا يأكل ببغيا وعدوا ، ببغيا على صاحب المال ، وعدوا عن قدر الاضطرار.

والقول الفصل في كل أطراف الآية وزيادة شاملة تأتي في آية المائدة إنشاء الله تعالى.

(١) نور الثقلين ١ : ١٥٥ في الفقيه في رواية محمد بن عمرو بن سعيد رفعه ان امرأة أتت عمر فقالت يا امير المؤمنين إني فجرت فأقم علي الحد فأمر برجمها وكان امير المؤمنين (عليه السلام) حاضرا فقال : سلها كيف فجرت فسألها فقالت : كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد فرفعت لي خيمة فأنتيتها فأصببت فيها رجلا أعرابيا فسألته ماء فأبى أن يسقيني إلا ان أكون أمكنه من نفسي فوليت منه هاربة فاشتد بي العطش حتى غارت عيناى وذهب لساني فلما بلغ مني العطش أتيته فسقاني ووقع علي فقال علي (عليه السلام) : هذه التي قال الله : ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ هذه غير باغية ولا عادية فحلى سبيلها فقال عمر : لو لا علي لهلك عمر ، وفيه عن التهذيب عن سماعة قال سألت عن الرجل يكون في عينه الماء . الى قوله . فقال : وليس شيء مما حرّم الله ألا وقد أهله لمن اضطر اليه.

نور الثقلين ١ : ١٥٦ عن الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال (عليه السلام) : ...

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ ١٧٤ .

قدمنا شطرا من الكلام حول الكتمان في آيته الأولى ، ثم ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو تطلب ثمن عما يكتمون ، وكل ثمن بديل ذلك الكتمان قليل مهما كان مليء الأرض ذهبا ، فكما أن كل شيء أمام الله ضئيل ، كذلك كل ثمن قبال ما أنزل الله قليل .

﴿أولئك﴾ البعيدون عن كل هدى ، المتورطون في كل ردى ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ حيث الأكل المحرم هو يوم الدنيا نار ولكنها اليوم خامدة ، ثم يوم القيامة تضطرم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ . ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ولماذا ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ وليس الأكل إلا بالأفواه الى البطون؟ علّه لأن فاعلية البطون للمأكل هي أصل الأكل وغايته ، فقد يأكل بفمه ثم يرجع دون ان ينتقل الى بطنه ، او ينتقل ولكنه يرجع كما أكل من فمه ام سواه ، إذا ف ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ تحديد للأكل والمأكل استقرارا في بطونهم ، مع انه أفضع سماعا وأشد ايقاعا! .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حين يكلم المؤمنين ، والمعني هنا هو تكليم الرأفة والعناية : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (٣ : ٧٧) دون تكليم التنديد والنكاية كما ﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ .

وَأما ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٢ : ٥١) فخاصة بيوم الدنيا ، فقد يكلم عباده

المؤمنين دون وسيط يوم القيامة نظرا إليهم ، ويكلم غيرهم تنديدا بهم دون سماح لهم أن يكلموه.

ثم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قد تعم النشاطين ، وهي في الأخرى تركية الشفاعة والغفران ، وفي الأولى تركية العقائد والأعمال ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الأخرى ، وقد حملوه معهم من الأولى. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ .١٧٥

وهل كانت لهم هدى ومغفرة حتى يشتروا بهما الضلالة والعذاب؟ أجل وهي هدى الفطرة والعقلية الإنسانية ، ثم وهدى الرسالات الإلهية الحاضرة لديهم ، وبالنتيجة كانت لهم اسباب المغفرة حاضرة ، ولكنهم ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ تجاهلا وتغافلا عن الهدى والمغفرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ هنا وهي أرواحهم النارية ، وبأحرى يوم القرار. ويكأنما هي صفقة يدفعون فيها الهدى ويقبضون الضلالة ، ويؤدون المغفرة ويأخذون بديلها العذاب ، فما أخسرها من صفقة وأغباها ، فقد كانت الهدى لهم مبدولة في الآفاق وفي أنفسهم فتركوها واعتاضوا بها الضلالة ، وكانت المغفرة لهم متاحة فتركوها إلى النار ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ : «ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار».

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ .١٧٦

«ذلك» العظيم العظيم من اللعنة والعذاب على هؤلاء ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ : بسبب الحق وغايته ومصاحبا للحق الناصع الدال على وحيه

دون أية ريبة ، وحاملا لكل حق يحق نزوله للعالمين ، وب ﴿إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي﴾ ذلك ﴿الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ﴾ مع الله «بعيد» في الأعماق ، وبعيد عن كل آفاق الشقاق ، فإنه شقاق مع الله الذي نزل الكتاب ، وشقاق مع الرسول الذي أنزل عليه الكتاب ، وشقاق . ككل . مع الحق الذي لا يشتهونه ، فهم . إذا . في ثلوث الشقاق ، بعيدا بهذه الأبعاد . وقد يعني «الكتاب» هنا بجنب القرآن سائر كتابات السماء ، وقد اختلف الكاتمون ما أنزل الله في كل كتاب ، لا سيما في البشارات الخاصة بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما اختلف فيه المشركون و ﴿إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا...﴾ تشملها جميعا . هنا صلة بين هذا البيان وبين تحويل القبلة وما أثاروا حوله من جدل ، بيانا للحقيقة الكبرى ، الحقيقة بالجدل حولها ، دون شكليات الشعائر من تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب ، كشعارات فاضية عن شعورات ، وإنما فائضة بشعورات وواقعات إيمانية . فالإيمان الصالح هو نقطة التحول في حياة الإنسان أيا كان وإلى أية قبلة اتجه ، إنه . فقط . هو نقطة التحول من الفوضى إلى النظام ، ومن التيه إلى البلد الأمين ، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه .

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ  
وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ

وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ  
 أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاةٍ  
 ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)  
 كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا  
 عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ  
 (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 ﴿(١٨٢)﴾

فقد تلمح أولى الآيات هنا ان هناك وجوها من الناس كانوا يولون وجوههم قبل المشرق والمغرب صلاة ودعاء ويحسبون أنه البرّ . فقط . في حظيرة الإيمان ، فتبادر بتعريف البرّ ابتداء بالإيمان ثم أهم اعمال الإيمان ، دون طقوس جافة خاوية عن الإيمان الحق وحق الإيمان في عشرة كاملة من بنود الإيمان.

١ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ٢ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٣ وَالْمَلَائِكَةِ ٤ وَالْكِتَابِ ٥ وَالنَّبِيِّينَ ٦ وَأَتَى الْمَالَ ٧ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ٨ وَأَتَى الزَّكَاةَ ٩ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ١٠ وَالصَّابِرِينَ ...﴾ ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في دعوى الإيمان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ دون المولّين وجوههم قبل المشرق والمغرب ، بل المولون وجوههم . ككل . الظاهرة مع الباطنة ، وجاه مرضات الله ، ومنها وجوه الأبدان قبل القبلة التي يوليهم الله إياها ، رمزا الى الاتجاه . ككل . إلى الله.

وفي ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ تعريض عريض على اليهود المولّين وجوههم قبل المغرب والنصارى المولّين وجوههم قبل المشرق ، وهم خاؤون عن الإيمان بالله واليوم الآخر وسائر العشرة كما يجب ، كما وهو تعريض هامشي على المسلمين من الذين يشابهونهم في تلك التولية القاحلة عن حق الإيمان.

أجل وليست «وجوهكم» في ذلك الخطاب . فقط . وجوه أهل الكتاب ، بل والأصل هنا هو وجوه المخاطبين . أصالة . بالقرآن ، وهم المؤمنون ، مهما كان التنديد الأكثر اتجاهها إلى أهل الكتاب ، فالخطاب إذا . كأصل . من باب : إياك أعني واسمعي يا جارة ، ثم و «إياك» مندّد به على هامش الخطاب ، وعلى أية حال ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ...﴾.

هذا ، وكما سئل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإيمان فتلاها ثم ثانية فتلاها ثم ثالثة فتلاها وقال : «وإذا عملت حسنة أحبها قلبك وإذا

عملت سيئة أبغضها قلبك»<sup>(١)</sup> وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ... وفي هذه العشرة الكاملة من زوايا البر نجد كل الأصول الإيمانية وفروعها الأصيلة ، إيماننا بالمبدء : «الله» وباليوم الآخر : «المعاد» وما بين المبدء والمعاد من وسائط الرسالات : «والملائكة» وموادها : «والكتاب» وحملة الرسالات : «النبين» وهذه خمس تتبنى الأصول الإيمانية ، ثم

(١) الدر المنثور ١ : ١٦٩ . أخرج ابن أبي حاتم وصححه عن أبي ذر انه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإيمان ... وفيه عن القاسم بن عبد الرحمن قال : جاء رجل إلى أبي ذر فقال : ما الإيمان فتلا عليه هذه الآية فقال الرجل : ليس عن البر سألتك ، فقال ابو ذر جاء رجل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله عما سألتني فقرء عليه هذه الآية فأبى ان يرضى كما أبيت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أدن فدناه فقال : المؤمن إذا عمل الحسنة سرتة رجاء ثوابها وإذا عمل السيئة أحزنته وخاف عقابها .

وفيه اخرج جماعة عن عمر بن الخطاب أنهم بيناهم جلوس عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء رجل يمشي حسن الشعر عليه ثياب بياض فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر ثم قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آتيك؟ قال : نعم ، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذه فقال : ما الإسلام؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، قال : فما الإيمان؟ قال : ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله ، قال : فما الإحسان؟ قال : ان تعمل لله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال : نعم ، قال : صدقت ، قال يا محمد! متى الساعة؟ قال : ما المسفول عنها بأعلم من السائل قال : فما أشراتها؟ قال : إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشاة تطاولوا في البنين وولدت الإمام أربابهم ، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّ بالرجل فطلبوه فلم يروا شيئا فمكث يومين او ثلاثة ايام ثم قال : يا ابن الخطاب أتدري من السائل عن كذا وكذا! قال : الله ورسوله اعلم ، قال : ذاك جبرئيل جاءكم ليعلمكم دينكم أقول واخرج مثله البزار عن انس ، وابن مردويه عن أبي هريرة وأبي ذر ، عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن ليس فيها أشرط الساعة .

خمس اخرى تتبى فروعها العملية ، من صلوات جماعية اعتيادية بين الجماهير : ﴿وَأَتَى الْمَالَ ...﴾ ﴿وَأَتَى الزُّكَاةَ﴾ ومن صلة عبودية بالله تتوسطها : ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ ثم صلة ذات بعدين بالله وبخلق الله : ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ ... وَالصَّابِرِينَ ...﴾.

وترى كيف يكون ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بَرًا مصدرًا وهو بار فاعلاً؟ علّه لأن حامل هذه العشر يجسّد البر نفسه ، إذا فكأنه نفس البر وكما و ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (٢ : ١٨٩).

فالبر عقيديا وإيمانيا فعمليا يأتي بسائر البر كتولي الوجوه قبل القبلة التي يرضاها الله ولا عكس إلا لمن آمن حقًا.

إذا فليس سلب البرّ عن تولية الوجوه سلبيًا مطلقًا لأنها أيضا من طقوس البر ، وإنما هو سلب لأصالة البر عنها ، والتولية حسب الشريعة هي فرعه.

إذا فالإقبال على القشور المصلحية تغافلا عن الأبواب ليس من البر ، كما الإقبال على الأبواب تغافلا عن القشور المأمور بها ليس كلّ البر ، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ...﴾ جامعا بين اللباب والقشور قضية برّ الإيمان والإيمان البر.

هنا ﴿أَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ تعني حب المال الى حب الله وحب إيتاء المال جمعا بين المراجع الثلاثة ، مهما كان المال أقرب لفظا ، فان الله هو أقرب معنى وبينهما الإيتاء ف ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ إذا لها تعلقات ثلاث أدبيا ومعنويا ، : «أتى المال على حب الله» و «أتى المال على حب المال وعلى حب إيتاءه» إذ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٣ : ٩٢) وكما «قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أتى المال على حبه؟ فكلنا نحبه! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : تؤتيه حين تؤتيه ونفسك تحدثك بطول العمر والفقير»<sup>(١)</sup>.

. الدر المنثور ١ : ١٧١ . أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن المطلّب انه قيل ... وفيه اخرج

ودرجة عليا من ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ ان تكون عنده أموال يفضل بعضها على بعض ، كما ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٧٦ : ٨) إذ كان مفضلا على سواه مما كان عندهم ، وأما الإنفاق من رذيل المال أم في رذيل الحال «كالذي ينفق او يتصدق عند الموت فمثله مثل الذي يهدي إذا شبع»<sup>(١)</sup>.

إذا ف ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ لها درجات ، ثم ما لا يحبه ، ثم ما يتردله ، والآية تخص الإنفاق بدرجات الحب ، حب المال وحب إيتاء المال على حب الله.

ثم «الفقير هو هدية الله قبل ذلك او ترك»<sup>(٢)</sup> ف «ردوا السائل ولو بظلف محترق»<sup>(٣)</sup>.

وهنا المؤتون المال على حبه ستة حسب ترتيب الاستحقاق والحاجة ، يتقدمهم

﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ وهم الأقرب إليك نسبا فالأقرب ، من الوالدين

---

. احمد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن حبان عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح تأمل البقاء وتحشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت لفلان كذا لفلان كذا الا وقد كان لفلان.

(١) المصدر اخرج احمد وابو داود والترمذي وصححه والنسائي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : مثل الذي ينفق او يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي إذا شبع.

(٢) المصدر اخرج ابن شاهين وابن النجار في تاريخه عن أبي بن كعب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أدلكم على هدايا الله عز وجل إلى خلقه؟ قلنا : بلى . قال : الفقير ...

(٣) عن حواء قالت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . يقول : ...

والأولاد ، وطبقات القرى هنا هم كطبقات الميراث لأنها أصدق الطبقات إذ قررها الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ثم «اليتامى» المنقطع عن يعولهم ، وادنى يتيم هو اللطيم المنقطع عن أبويه ، ثم اليتيم المنقطع عن أبيه ، ثم الفطيم المنقطع عن أمه ، وعلّ الأخير خارج عن اليتيم مهما كان له يتم ، ام هو بعد الأولين ، فدوره هو الدور الأخير .

والمساكين هم من أسكنهم العدم ، وهي تعم الفقراء الذين أفقرهم العدم ، فإنهم أسوء حالا من المساكين ، كما ويقدمون عليهم حين يذكران معا : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ...** ﴾ (٩ : ٦٠) وهو مسكين ذا مترية (٩٠ : ١٦) ومطلق المسكين يشمله وغيره المتوسطة حاله ، ثم ﴿ **وَإِنَّ السَّبِيلَ** ﴾ وبالطبع هو ابن سبيل الله ، المنقطع عن ماله وذويه في الله وكما جاء ابن السبيل بعد سبيل الله في آية التوبة ﴿ **... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ** ﴾ ، وأدناه من ليس في معصية الله وسبيل الشيطان .

ثم «السائلين» تعنيهم ككل : فقراء أو مساكين أم سواهم ، ف «للسائل حق وإن جاء على فرس»<sup>(٢)</sup> واما «في الرقاب» دون «الرقاب» فقد تعني صالح الرقاب ان يشتروا من أصحابهم كلاً أو مبعضا ، دون ان يؤتوا هم أنفسهم مما يؤتى ، فان ذلك أصلح لهم ، إضافة إلى أن الرقاب ليسوا . بطبيعة الحال . في حاجات شخصية إذ يتحملهم أصحابهم بواجب النفقة وإنما هم

(١) الدر المنثور : ١٧١ . اخرج الخطيب في تالي التلخيص عن ابن عباس أن ميمونة استأذنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جارية تعتقها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أعطها أختك ترعى عليها وصلي بها رحما فانه خير لك .

(٢) الدر المنثور ١ : ١٧١ . اخرج ابن عدي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وفيه أخرج ابن أبي شيبة عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم : للسائل حق وان جاء على فرس مطوق بالفضة .

بحاجة إلى تحرّهم ، إذا ف «في الرقاب» تعني في سبيل تحرّهم قدر المقدور كلا او مبعضا .  
 ذلك الترتيب السداسي . بما في كلّ ترتيب . يراعى في إيتاء المال ، ثم يقدم من يحمل  
 عنوانين من الستة أم زاد وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «على المسكين  
 صدقة وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلّة»<sup>(١)</sup> .

وهنا «أتى» دون «أنفق . أو . أعطى» لأنها أعم من الإعطاء والإنفاق ، فكما  
 الصدقة والهبة إيتاء ، كذلك القرض إيتاء ، فمثلا ابن السبيل ليس إيتاءه المال لفقره ، إذ قد  
 يملك أكثر منك في بلده ، فأنت تؤتية الآن قرضا ثم تأخذه منه بعد الآن ، كما والهبة  
 المعوضة والهدية إيتاء .

ذلك الإيتاء بمراتبه واجب كما الصلاة والزكوة ، فليس يعني الزكوة فانه هنا يقابلها  
 متقدما عليها ، فهو إذا من الضرائب الواجبة قدر المقدور ، إضافة الى ضريبة الزكوة .

﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله أم خلقه كما يصح أو يجب ، وقد تحدّد ﴿إِذَا  
 عَاهَدُوا﴾ مدى شمول «بعهدهم» ان ليس منه عهد الفطرة وعهد العقل وعهد الشرعة الإلهية  
 ، فان ذلك المثلث من العهد لزام على المكلفين ، لا يقبل زمانا دون زمان حتى يحدد وجوب  
 الوفاء به ب ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾ .

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ ولماذا «الصابرين»

(١) الدر المنثور ١ : ١٧١ . اخرج ابن أبي شيبة واحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي في  
 سننه عن سلمان بن عامر الضبي قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وفيه أخرج احمد والبخاري  
 ومسلم والنسائي وابن ماجه عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله  
 وسلم) أتجزئ عني من الصدقة النفقة على زوجي وأيتام في تجزي؟ لك أجران أجر الصدقة وأجر القرابة .

نصبا ، وقضيته عطفها على «الموفون» بمن قبلهم ، هي «الصابرون»؟  
 علّها منصوبة على الإختصاص لاخصاص الصبر في ذلك المراس قضية الاحتراس  
 على الإيمان بينوده عقيدا وعمليا ، فالصبر في البأساء والضراء وحين البأس . إنه في ذلك  
 المثلث البارح . تربية للنفوس وإعداد لها ، كيلا تطير شعاعا مع كل نازلة ، ولا تذهب حسرة  
 مع كل فاجعة ، ولا تنهار جزعا أمام الشدة ، تجملا وتماسكا وثباتا حتى تنقشع الغاشية  
 وترحل النازلة ، رجاء في الله ، وثقة بالله واعتمادا على الله .

فلا بد لأمة تناط بها القوامة على البشرية أن تنهيا لوعشاء الطريق ومشاق السفر على  
 أية حال ، في كل حل وتر حال ، في البأساء والضراء وحين البأس ، لكي تنهض بواجبها  
 الضخم ، وتؤدي دورها المرسوم .

فالصبر في مثلته رباط عن التفسخ في كل زوايا الإيمان وقضاياه ، ورزاياه من كتلة  
 اللإيمان ، ولذلك يختص هنا بتقدير الإختصاص ، وأخص «الصابرين» بين كل المؤمنين ،  
 وأخص الصبر بين كل سمات الإيمان ، لاخصاصه في مراس الإيمان واحتراسه .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى  
 بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ  
 رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٧٨ .

«القصاص» لغويا هي المقاصة من القص : تتبع الأثر ، او القصة : محاكات الواقع  
 كما هو ، فهي . إذا . تتبع الأثر كما أثر دون إفراط عليه ولا تفریط عنه ، نفسا بنفس كما  
 هنا «في القتلى» أم جرحا بجرح : ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾

(٥ : ٤٥) ومالا بمال ، ومماثلة بين الأمرين على أية حال ، محلقة كضابطة ثابتة على كافة الحرمات : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢ : ١٩٤).

فالقصاص بوجه عام هي ملاحقة المجرم كما أجرم وقدره أم تقل ، دون اعتداء عليه .  
لأكثر تقدير . إلا كما اعتدى ، كما وكيفما ، عددا وعددا ، تسوية عاقلة عادلة بين الجرم وقصاصه .

وهل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هنا هم أولياء الدم . فقط . لأنه حقهم؟ وحقه . إذا . لكم ، لا عليكم ، حيث القصاص هي لصالح أولياء الدم وليس عليهم! .

أم هم القاتلون ، حيث القصاص عليهم هي كحق خاص لأولياء الدم؟ . و ﴿فَمَنْ غُفِيَ لَهُ...﴾ يخرج عن كونه حقا ثابتا عليهم! .

أم هم حكام الشرع؟ فكذلك الأمر ، فان حكمهم تابع لما يختاره أولياء الدم! اللهم إلا شذرا<sup>(١)</sup> .

علّهم هؤلاء أجمع ، مكتوب عليهم القصاص ، فعلى أولياء الدم لأنه حق لهم خاص كضابطة مهما جاز لهم التنازل عنه إلى دية ام لا إلى بدل ، كتبصرة على الضابطة ، وعلى القاتلين لأنه حق عليهم ، وعلى حكام الشرع ، لأن عليهم ملاحقة المجرمين حسب اقتراح اولياء الدم ، وملاحقة أخرى حفاظا على الحياد العام للكتلة المؤمنة .

ف «عليكم» هي كأصل تعني القتل ، وهي كواجب التطبيق بملاحقة ،

(١) كما في القاتل الساعي في الأرض فسادا ، فانه خارج عن خصوص الحق الى عمومه .

على حكام الشرع ، ثم كواجب الحق وثابتة على أولياء الدم ، لا سيما إذا كان العفو أم والانتقال إلى الدية محظورا جماعيا.

إذا ف ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذا المثلث ، أم هم ككل ، مسئولون في القصاص ، ملاحظة فيه وراء المجرمين ، فان ﴿لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ حياة تعم الكتلة المؤمنة ككل ، وترى كيف تكون قصاص الدم . والدماء تختلف في قيمها ؟ إنها كما هنا : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾.

فقد يستفاد من نص الآية في الجمل الثلاث شريطة المساوات الثلاثية في القصاص ، ف ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ مساواة في الذكورة ، وأخرى في الحرية والرقية ، ثم ﴿وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ مساواة في الأنوثة ، وهذه الثلاث هي بصيغة أخرى مساوات في الجنس وأخرى في القيم الاقتصادية ، بل والأولى أيضا راجعة الى الثانية ، حيث الذكر أثن من الأنثى ، كما الحر أثن من العبد.

وذلك نص خلفي على رفض المساوات . في حق القصاص . في سائر القيم روحية وسواها ، اللهم إلا العددية فهي من أحق المساوات وأعمقها وأعدلها ، الاستفادة من آية المائدة كضابطة ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (٤٥) وآية الإسراء ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ...﴾ إضافة الى كل من هذه الثلاث حيث يقابل الواحد في كل واحد.

والمحور الأصيل في زماننا ومنذ أمد بعيد هو تساوي الجنس فيأتي السؤال . إذا . عن «الأنثى بالذكر والذكر بالأنثى»؟.

فلأن الذكر أثن من الأنثى فلا يقتل بالأنثى كأصل وضابطة ، إلا أن يجبر نقص الأنثى القتيلة . لقتل الذكر . برد نصف ديتة إلى ورثته ، كما يدل عليه صحيح الأثر ، ثم الأنثى الأرخص من الذكر تقتل بالذكر بأحرى أولوية قطعية

وليس بعد شريعة المساوات في الجنس شريعة أخرى في شرعة القصاص من ميزات معنوية أماهيه ، حيث النص مقتصر على ما اقتصر .

ولا تزال ضابطة ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ مرعية عددا ، وعددا اقتصادية ، بجبر النقص في اختلافهما في الثانية . فقط . ردا على ورثة الذكر قاتلين ومقتولين .  
وترى آية القصاص هذه ناسخة لآية ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ في المائدة؟ والمائدة كآخر ما نزلت هي ناسخة غير منسوخة! .

آية المائدة لا تتحدث عن شرعة قرآنية . ككل . بل هي حاكية عن شرعة القصاص التوراتية : ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ كضابطة عامة ، وآية البقرة تنسخ عمومها بشريعة المساوات في الجنس والحرية ، فتبقى الباقية تحت عموم المائدة بلا ناقصة ولا زائدة ، اللهم إلا نسخا ثانيا في ﴿فَمَنْ عُفِيَ...﴾ .

فآية البقرة ترسم حكما عدلا عوانا بين اليهودية في ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ باختصاص القصاص في القتل بالقتل ، ودون شريعة تساوى الجنسين ، وبين النصرانية القائلة بالعفو ، والهمجية المشتركة المتعدية في القصاص كل أطوار العدالة والأعراف العاقلة الإنسانية ، فقد كانت تقتل قبيلة عن بكرتها بقتيل واحد ، أم لا تقتل واحدا قتل قبيلة ، فالأشراف كانوا يقولون : لنقتلن بالعبد منا الحر منهم ، وبالمراة الرجل منهم ، وبواحد قبيلة منهم ، ويجعلون جروحهم أضعاف خصومهم ، فقد يروى أن واحدا قتل واحدا فاجتمع أقارب القاتل عند والد القاتل قائلين : ماذا تريد؟ فقال : إحدى ثلاث ، قالوا : وما هي؟ قال : إما تحيون ولدي ، أو تملأون داري من نجوم السماء ، أو تدفعوا إليّ جملة قومكم حتى أقتلهم عن بكرتهم ، ثم لا أدري أي أخذت عوضا! وكانوا يظلمون في أمر الدية كما في القود ، فدية الشريف شريفة ودية الوضع وضيعة! .

وقد خالف الإسلام كل هذه الثلاث المفرطة والمفرطة في أمر القصاص ،

قصرا للتفاضل في القيم الاقتصادية جنسية وسواها ، ثم التفاضل بالتقوى وسواها من القيم ، مجاله غير هذا المجال ، والأثر المستفيض عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «المسلمون تتكافأ دماءهم» مخصص كآية المائدة بآية البقرة ، فقيمة الأنثى نصف الذكر ، إذا ف ﴿الأنثى بالأنثى﴾ والذكر بالذكر ، أما يدل عليه ثابت الأثر.

وقيمة العبد أقل من الحر ف ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ فضابطة التفاضل محصورة

في اختلاف الجنسين ، وفي الحرية والرقية ، دون سائر الميزات روحية وسواها.

ف ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ ضابطة كما ﴿الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ وكذلك ﴿الأنثى بالأنثى﴾ فقد تقتل

الأنثى بالأنثى ، والذكر بالذكر ، وبأحرى الأنثى بالذكر ، ثم لا يقتل الذكر بالأنثى إلا برد فاضل ديته الى أولياءه (١) إحرازا للمساوات بين النفسين ، وتطبيقا لضابطة ﴿النَّفْسِ بِالنَّفْسِ﴾ عدلا لأولياء الدم كيلا يتصبروا على ضيم الدم ، وعدلا إلى أولياء القاتل برد فائض ديته عليهم ، ففاضل الدية . إذا . يجبر النقص ويحقق السماوات.

ثم وفي عكس القضية وهو الأنثى بالذكر ، قد يؤخذ ناقص الدية من أوليائها ردا على

أولياءه بنفس السند ، على تأمل فيه ، إذ هي لا تملك إلا نفسها و «الجاني لا يجني على أكثر من نفسه» وقد جنت عليها فلا فاضل . إذا . يرد عنها ، ولكنها هدرت بقتلها إياه ضعف نفسها ، فليجبر الناقص بما تركت ، فمثلها كمثل رق هدر ضعف ثمنه.

(١) كما في صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في الرجل يقتل المرأة متعمدا فأراد أهل المرأة أن يقتلوه؟ قال : «ذاك لهم إذا أدوا الى اهله نصف الدية» (الاستبصار ٤ : ٦٥ والكافي ٧ : ٢٩٨).

ذلك حكم بنفس بنفس ، فهل يقتص من جماعة قتلوا واحدا؟ هنا روايات عدة (١) ودعاوى الإجماع تقول لأولياء الدم قتل الجميع برد دية الزائد عن الواحد إلى أوليائهم!. لكنه تطارده الضابطة العامة في آيتي البقرة والمائدة ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ وهذه نفوس بنفس ، وكذلك ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ هذه أحرار بحر ، أم إناث بأنثى ، أم عبيد بعبد ، ولم تنسخ آية المائدة إلا في غير المتماثلين في الجنس والحرية. ثم وذلك اعتداء بغير المثل ، إذ لا مماثلة بين واحد وجماعة ، وهو إسراف في القتل وقد منعه آية الأسرى «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا» وقد يستدل بها الإمام المعصوم في معتبرة (٢).

ذلك ، اللهم إلا فيما يقتل امرأتان رجلا حيث تقتلان به بضابطة

(١) كما في خبر ابن يسار على المحكي قلت لأبي جعفر (عليهما السلام) في عشرة قتلوا رجلا؟ فقال : إن شاء أوليائه قتلوهم جميعا وغرموا تسع ديات وإن شاءوا تخيروا رجلا فقتلوه وأدى التسعة الباقيون إلى أهل المقتول الأخير عشر الدية كل رجل منهم ، قال : ثم إن الوالي بعد يلي أديهم وحبسهم (الكافي ٧ : ٢٨٣) وفي صحيحة عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) في رجلين قتلوا رجلا؟ قال : إن أراد أولياء المقتول قتلها أدوا دية كاملوا وقتلوهما وتكون الدية بين أولياء المقتولين وإن أرادوا قتل أحدهما فقتلوه وأدى المتروك نصف الدية إلى أهل المقتول وإن لم يؤدوا أحدهما ولم يقتل أحدهما قبل دية صاحبه من كليهما وإن قبل أوليائه الدية كانت عليهما. (التهذيب باب الاثنتين إذا قتلوا واحدا تحت رقم ٣ والكافي ٧ : ٢٨٣ تحت رقم ٢).

(٢) هي ما رواه ابن أبي عمير في الحسن أو الصحيح على الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا اجتمع العدة على قتل رجل واحد حكم الوالي أن يقتل أبيهم شاءوا وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد إن شاء عز وجل يقول ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الكافي ٧ : ٢٨٤ والاستبصار ٤ : ٢٨٢).

المساوات في القيمة ، فليس إسرافا في القتل ولا اعتداء بأكثر مما اعتدى ، وكما يؤيده صحيح الأثر<sup>(١)</sup>.

فلا حجة في إجماعات تدعى أو روايات تروى ، هي معارضة بمثلها ومعارضة للكتاب ، فالقوي قولاً واحداً عدم جواز قتل الأكثر من واحد ، بل وفي الواحد منهم أيضاً تأمل لأنه لم يستقل في القتل ، فلا تصدق في قتله ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ بل هو اعتداء عليه أكثر مما اعتدى! تأمل.

هذا! وأما إن قتل نفس نفسين أو زاد ، فهل يقتص من القاتل لواحدة ثم ولا دية لسواها حيث الثابت في القتلى إنما هو القصاص؟ و ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ تقتضي هنا قود النفس عن واحد وبديله عن آخرين ، وكما في المعتبرة «لا يبطل دم امرء مسلم»<sup>(٢)</sup>. أم إنه بديل عنهما اقتساماً لقوده بينهما ، ثم اقتساماً في دية الفاضل بينهما وهذا هو الأشبه الأصح ، ثم ان عفي عن القود فدية كاملة كبديل ، إلا أن يعفى عنها فلا شيء على الجاني ، وترى إن عفى بعض أولياء الدم عن نصيبه من القود فهل للباقي رفضه بدفع نصيبه من الدية ثم المطالبة بالقود؟ الروايات هنا متضاربة<sup>(٣)</sup> فتعرض على الآية وتضرب

(١) هي صحيحة محمد بن مسلم على المحكي قال : سألت أبا جعفر (عليهما السلام) عن امرأتين قتلنا رجلاً عمداً؟ قال : «تقتلان به ما يختلف فيه احد» (التهديب في باب القود بين الرجال والنساء رقم ١٣).

(٢) الكافي ٧ : ٣٦٥ معتبرة أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل قتل رجلاً متعمداً ثم هرب القاتل فلم يقدر عليه؟ قال : «إن كان له مال أخذت الدية من ماله وإلا فمن الأقرب فالأقرب وان لم يكن قرابة أداه إلى الامام فانه لا يبطل دم امرء مسلم».

(٣) الرواية المعارضة هي رواية جميل بن دراج عن بعض أصحابه يرفعه الى أمير المؤمنين (عليه السلام) في رجل قتل وله وليان فعفا أحدهما وأبي الآخر ان يعفو؟ فقال : ان الذي لم يعف إذا أراد أن يقتله قتل ورد نصف الدية على اولياء المقتول المقاد منه (الكافي ٧ : ٣٥٦ رقم ١).

المعارضة لها عرض الحائط.

فنص الآية ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فإطلاق «شيء» يشمل بعض القود كبعض الدية ، ثم ﴿فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ تفرض . فيما تفرض على الباقيين . إتباعه ، عفوا عن نصيبهم من القود انتقالا . ككل . إلى الدية حيث القود لا يتبع في واقعه ، اللهم إلا عفوا يظهر في تبعض الدية ، ثم ﴿أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ و ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ولا راد لرحمته وتخفيفه ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ومنه مطالبة القود مع العفو عن بعضه ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾!

ف «أخيه» هنا استثارة لحنان الأخوة الإسلامية في أولياء الدم كما تدل على بقاء الأخوة الإيمانية بين القاتل وولي الدم رغم قتله ، و «من» هم القاتلون ، و ﴿عُفِيَ لَهُ﴾ عفو عن مكتوب القصاص قودا او دية ، و «له» دون عنه لأن الثانية عفو مطلق لا يبقى معه شيء ، والأولى هي مطلق العفو الذي يبقى معه شيء ، ف «شيء» تعم أي حق في هذا البين ، سواء أكان كل القود من مستقل في ولاية الدم أم شركاء فيها ، أم يعفو واحد منهم عن نصيبه ، أم أيّا كان من أيّ كان ، دون العفو المطلق المعبر عنه ب «عفي عنه» إذ لا مجال . إذا . ل «شيء»!

. وتعارضها وفقا للآية روايات منها صحيحة أبي ولاد قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل قتل وله أولاد صغار أرايت ان عفا الأولاد الكبار؟ قال فقال : لا يقتل ويجوز عفو الأولاد الكبار في حصصهم فإذا كبر الصغار كان لهم أن يطلبوا حصصهم من الدية (الوسائل ب ٥٣ من القصاص ح ١) ومنها قول امير المؤمنين (عليه السلام) في خبر إسحاق «من عفا عن الدم من ذي سهم له فيه فغفوه جائز ويسقط الدم وتصير دية وترفع عنه حصة الذي عفى» ، وفي الفقيه روى انه إذا عفا واحد من الأولياء ارتفع القود.

فهنا إتباع بالمعروف ضابطة صارمة في حقل العفو ، إتباع العافي عفوه دون نكول عن كفه أو كيفه أو أصله ، واتباع المعفو له في أداء ما عليه حين ينتقل القود الى الدية ، مادة ومدة وكيفية ، واتباع شركاء الدم . غير العافين . عفو العافي ، واتباع حكام الشرع ذلك العفو .

ف «ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية ، وينبغي للذي عليه الحق أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه ويؤدي إليه بإحسان»<sup>(١)</sup> .  
ثم وحين الانتقال ، ﴿أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ كما عفي له من أخيه بإحسان ، إحسانا في أصل الأداء ، وإحسانا فيما قرّر من الأداء مادة ومدة .

«ذلك» البعيد الغور من أصل القصاص العدل خروجا عن قسوة الفوضى ، ومن سماح العفو والإحسان في الأداء ، ومن واجب الإتيان ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عما كان في الجاهلية من قسوة ، وفي شرعة التوراة من عدم السماح عن القود وفي شرعة الإنجيل . خلافا لشرعة الله! . سماحا واجبا عن القصاص ، فانه عبث ثقيل كزميليه : الجاهلي واليهودي .  
ففي سفر الخروج ( ٢١ : ١٢ ) «من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا»<sup>(٢)</sup>

(١) نور الثقلين ١ : ١٥٧ في الكافي في الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ غُفِيَ...﴾ قال : ...

(٢) وفيه «ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ١٥ ومن سرق إنسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ١٦ ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا ١٧ وان حصلت اذية تعطي نفسا بنفس ٢٣ وعينا بعين وسنا بسن ويذا بيد ورجلا برجل ٢٤ وكيا بكيا وجرحا بجرح ورض برض ٢٥» .

وفي سفر الأعداد ٣٥ ان ضربه باداة من حديد فمات فهو قاتل ان القاتل يقتل ١٦ وان ضربه بحجر يد مما يقتل به فمات فهو .

«ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل أم ولا تأخذوا فدية ليهرب إلى مدينة ملجئه ... وعن الأرض ولا يكفر لأجل الدم الذي سفك فيها إلا بدم سافكه» سفر الأعداد ٣٥ : (٣١ - ٣٤).

وفي سفر التكوين (٩ : ٦) «سأسفك دم الإنسان بالإنسان اسفك دمه»

فآية المائة . ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ...﴾ (٤٥) . إنها تتحدث عما في التوراة الحالية ، إلا في ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ ثم آية البقرة تنسخها في شيء من إطلاقها وعمومها.

ثم «ورحمة» هنا بعد ﴿تُخَفِّفُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ علها هي رحمة التخفيف ، في رحمة بين الإخوة ، رحمة على المجرم النادم ، او الذي يتندّم بعفوه ، ورحمة على القتيل حين يعفى عن القاتل صدقة على القتيل.

﴿فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاةٍ﴾ اعتداء على حكم الله ، واعتداء على القاتل ، واعتداء بعد العفو ، وعلى الجملة اعتداء من العافي أو المعفو أم شركاء ولي الدم ، أو اعتداء من حكام الشرع ، تجاوزا على أية حال عن حكم الله كما حكم ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إما هنا ام وفي الآخرة.

اجل «ذلك» الحكم العدل في القصاص تخفيف عن ثقل الجاهلية واليهودية والنصرانية الى سهولة الإختيار قصاصا بعدل ، او انتقالا الى دية ، ام

---

. قاتل ان القاتل يقتل ١٧ او ضربه باداة يد من خشب مما يقتل به فمات فهو قاتل . ان القاتل يقتل ١٨ ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه يقتله ١٩ وان دفعه ببغضه او ألقى عليه شيئا يتعمد فمات ٢٠ او ضربه بيد بعداوة فمات فانه يقتل الضارب لأنه قاتل ، ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه ... فتكون لكم هذه فريضة حكم إلى اجيالكم في جميع مساكنكم ٢٩ كل من قتل نفسا فعلى فم المشهود يقتل القاتل ٣٠ . ولا تأخذوا فدية ...

عفوا كاملا ، كل كما تقتضيه المصلحة اسلاميا ، فرديا وجماعيا ، «ورحمة» بين الجماعة المسلمة.

### ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٧٩ .

هذه كأصل وضابطة ، والعفو تبصرة صالحة في مواردها حيث تقتضي الحكمة والرحمة و «القصاص» معرفا تعريف بها كما شرعت ، إيجابيا حين تقتضيه التقوى ، وسلبيا حين تقتضيه تقوى اخرى ، ف ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ نعم المرحلتين ، «ولكم» : الكتلة المؤمنة ككل ﴿فِي الْقِصَاصِ﴾ بكل حقولها في الأنفس والأطراف والأعراض والأموال «حياة» صالحة في كل الحيويات النفسية والعرضية والاقتصادية أماهيه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والعقول العميقة الخارجة عن قشورها الخاطئة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الممات في مختلف مسارحه المخلفة من ترك ملاحقة المجرمين.

فمهما كان في عفو المجرم وترك ملاحقته او التخفيف عنه ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ كأحوال جانبية مرهونة بمصالحها ، ولكنما القصاص ، كأصل وضابطة فيها حياة لأولي الألباب بل وسواهم : حياة لأهل الحق كيلا يموت الحق وشفاء لصدورهم من حقد فاتك ورغبة في الثأر الذي لم يكن يقف عند حدّ وكما نراه في واقعنا اليوم حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية في اجيال ولا تكف عن المسيل إذ لا تجد الى القصاص السبيل.

وحياة للمجرمين كيلا يكرروا إجرامهم حين لا يقتلون بقصاص ، ففي القصاص تنبثق حياة من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء ، فالذي يوقن انه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتله ، جدير به ان يتروى ويكفر ويتردد فيتردد الى عقله ولبه ، وحياة لهم أخرى في الأخرى حين يقتلون ان يصدّ عن إجرامهم ، وحياة لسائر المسلمين كيلا يجرموا ام يتخاذلوا أمام المجرم ، وحياة لحكام الشرع

إزالة للفوضى واحياء لروح الأمن والطمأنينة ، وعلى الجملة حياة للمسلمين ككل (١) اللهم  
إلا فيما كان في ترك القصاص او التخفيف عنه حياة ف ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ  
.....﴾

فالقشريون الذين لا ألباب لهم يفضلون ترك القصاص زعم أنه رحمة وعاطفة إنسانية  
وذلك تفريط بحق القصاص ، وآخرون مفرطون يعملون الفوضى في القصاص ، أم يجعلون  
عدل القصاص أصلا لا يستثنى ، وشريعة القصاص القرآنية عوان بين الإفراط والتفريط  
بشأنها ، أصلا كقانون حقوقي عام ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وفرعا كتبصرة حين تقتضيها  
المصلحة فوق مصلحة القصاص : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾! وهذه شرعة أولى  
الألباب ، الذين يراعون كل جوانب المصلحة ، فردية وجماعية.

فأين هذه البلاغة الأدبية والمعنوية البارعة على اختصار الآية وسائر تعبيرات البلاغاء ك  
: قتل البعض إحياء للجميع . أكثروا القتل ليقل القتل ، ومن أبلغها عندهم وأفصحها :  
القتل أنفى للقتل!

ف «القصاص» هي أعم من القتل ، و «حياة» تعم كل مراحلها ، و «لكم» تعم  
كل المسلمين ، و ﴿أُولَى الْأَبَابِ﴾ تربط تلك الحياة العظيمة كحصيلة للقصاص بحكم  
الألباب ، خارجا عن قشرية الرحمة وهمجية الهجمة غير العادلة ، ولا تجد عبارة كهذه البالغة  
المدى ، البليغة المعنى على إيجازها طول

(١) نور الثقلين ١ : ١٥٨ في الاحتجاج للطبرسي باسناده الى علي بن الحسين (عليهما السلام) في تفسير الآية  
: ولكم يا امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في القصاص حيوة لأن من هم بالقتل يعرف انه يقتص منه فكف  
لذلك عن القتل الذي كان حيوة للذي كان هم بقتله ، وحيوة لهذا الجاني الذي أراد ان يقتل وحيوة لغيرهما من  
الناس إذ علموا ان القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص ﴿يَا أُولَى الْأَبَابِ﴾ اولي العقول  
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

تاريخ الحقوق وعرضه ، مما يجمع بين جمال التعبير وجلال المعنى وشموله لكافة المتطلبات العادلة في حقل القصاص ... وهنا «في» تعني ظرف القصاص وجوه لا نفسه ، فان نفسها ليس حياتا وإنما فيها حياة ، ثم وتنكير حياة تفخيم لها وتوسعة لحقولها ، و «القصاص» المعرف تعريف بما يقصه القرآن من قصاص عادلة يسمح فيها بالعفو بعضا او كلاً ، ولا ينبئك مثل خبير بهذا التعبير العبير .

فليس القصاص في شرعة القرآن انتقاما جافا جافيا وإرواء للأحقاد ، بل هي في سبيل الحياة ، واستحياء للقلوب واستجاشة لتقوى الله .

فليست لتقوم شرعة ولا حكومة أخرى بغير القصاص الخاص المنتهي ب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ولا يفلح قانون ولا يتحرج متحرج ، ولا تكفي التنظيمات الحاوية من روح التقوى صدا عن الطغوى .

فالتقوى هي التي تحمل القاتل على الاعتراف بالجريمة في محكمة الشرع كما حصل كرارا زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) ، فلقد كانت هنالك التقوى هي الحارسة اليقظة داخل الضمائر المؤمنة وفي حنايا قلوبهم ، الى جانب الشرعة النيرة البصيرة بخفايا القلوب .

فهل إن شرعة القصاص . بعد . همجية وجفاوة خلاف الحفاوة الإنسانية ، كما تقول الحضارة المادية المتفرنجة : إذا كان القتل الأول فقدا فالثاني فقد على فقد ، ثم وهو من القسوة وحب الانتقام ، البعيدة عن ساحة الإنسان العطوف الرؤوف ، وبالإمكان تأديب القاتل بما دون قتله .

ثم إن جريمة القتل ليست إلا خلفية أوتوماتيكية لانحراف الروح ومرض النفس ، فقضية الرحمة والحكمة . إذا . أن يحوّل القاتل إلى مستشفيات الأمراض النفسية .

والجواب عن كل هذه الأقاويل الزور الغرور نجده في آيات القصاص ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ . ف ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٥ : ٣٥).

وهل إن فقدنا واحدا على فقد أفقد ، ام فقد جماعة إبقاء للمجرم سجيننا أم سواه ، ولا سيما إذا اختلق له عذر المرض النفسي ، مما يسمح لأي أحد ان يخوض في هذه الجريمة لغايات رديئة ثم يؤخذ في كل مرة الى راحة المستشفى النفسي؟. وهل إن في قصاص القاتل المتعمد جفاوة وخلاف رحمة ، وليس في إبقائه يخوض في قتل آخرين جفاوة وخلاف رحمة؟.

إن في شرعة القصاص حفاظا على حقوق الناس فرادى وجماعات ، ثم في العفو بموارده الصالحة تربية لنفوس مستهترة تقبل التربية والرجوع الى عقلية صالحة ، ولكن لا يجبر أولياء الدم على العفو فانه سماح عن الحق الثابت لهم ، مهما ينصح القرآن بالعفو في مصالحة.

ثم وهؤلاء المتحضرين الناقدون شرعة القصاص هل يتوقفون عن حروب مستأصلة لجماهير دفاعا عن كيانهم في صالح الحيوية المادية ، فهم أولاء يفتون بعدم سماح القصاص حفاظا على أصل الحياة بمختلف حقولها ، التي هي أم النواميس الواجب الحفاظ عليها بكل الطاقات والإمكانات.

أم هل يتوقفون عن إبادة جمع ظنوا أنهم يعزمون الثورة على الحكم؟ حتى يفتوا بجرمة قتل القاتل الفاتك حرم حياة الإنسانية!.

أم إنهم . على حيادهم المدعى المزعوم لحياة الإنسان ، بسنّ مختلف القوانين . هل استطاعوا القضاء على جريمة القتل ، وهي تزداد يوميا بينهم

بمختلف الأساليب الخبيثة الوحشية اللاإنسانية! أفهم رحماء على حياة الإنسان والإسلام من الأشداء عليها ، الألداء لها ، لأنه يسمح ان يعتدى على المعتدي بمثل ما اعتدى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٤٢ : ٤٠) فكما العفو مسموح بغية الإصلاح ، كذلك الجزاء لا يعني إلا الإصلاح ، أم ولأقل تقدير عدم إماتة الحق.

وهنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لحة إلى حكمة الوقاية عن الجرائم المتوقعة لولا القصاص ، حصرا لها بحالة الوقاية عن تكرر الإجرام ، وهذه طبيعة الحال في المجرم أنه حين يأمن الملاحقة بالمثل يتجرأ على متابعة الإجرام ، فلو لا شرعة القصاص كضابطة لأصبحت الحياة بكل شؤونها متأرجفة ، ولو لا رحمة العفو كهامش على هذه الشرعة لما ظهرت التقوى في النفوس الأبيية السمحة ، ولا استفاد المجرمون التائبون الآثيون من تلك السماحة الإيمانية ، ففي القصاص أصلا وفرعا حياة للجماعة المؤمنة ، لعلهم يتقون محاذير تركها ، او السماح فيها ، حيث «القصاص» المعرف هنا هي التي تقبل العفو والسماح في مصالحه.

إذا «ففي القصاص» ايجابيا كأصل وسلبيا كهامش وفرع ﴿حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأُولَادِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ١٨٠.

الوصية هي التوكيل فيما لا يستطيع عليه الموكل ، أم لا يناسب محتده وكيانه كوصايا الله سبحانه ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (٤٢ : ١٣) فالوحي إلى كل مكلف لا يناسب محتد الربوبية

كما لا يليق به كل مكلف ، فهنا الوصية إلى المرسلين ليبلغوا رسالات ربهم إلى كل المرسل إليهم.

وهي في غير الله ظاهرة في وصية الموت حيث الحي لا يحتاج إليها في حياته لإمكانية تصرفه بنفسه إلا شذرا ، أم فيما يختص بآخرين كالوصية بالتقوى وما شابهها ، ثم وهنا ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ تجعلها صريحة في وصية الموت.

وللوصية رباطات ثلاث بالموصي والموصى له والموصى إليه ، ففي ذلك المثلث تتحقق الوصية على شروطها ، و «كتب» هنا مما تفرض هذه الوصية فانها صريحة في فرضها ، متأية عما يحولها عنه الى ندب أما شابهه ، من غير الفرض ، ثم ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ تؤكد فرضها ، وليست التقوى راجحة حتى تلمح برجحان الوصية دون فرض ، بل هي واجبة على أية حال ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ و ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ثم وآيات الفرائض تعبر عن الوصية بما يؤكد فرضها ثالثة ، فقد تتكرر ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ﴿تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ بعد أصول الفرائض ، ف ﴿يُوصِي بِهَا﴾ دون «إن أوصى بها» مما تلمح كصراح «ان الوصية حق على كل مسلم»<sup>(١)</sup> فكيف تنسخ آية الوصية بآيات

(١) وسائل الشيعة ١٣ : ٣٥١ ح ٢ صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن الوصية فقال : هي حق على كل مسلم ، وعن أحدهما (عليهما السلام) انه قال : ... ومثله ما عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (عليه السلام) وح ٦ محمد بن محمد بن النعمان المفيد في المقنعة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... قال صاحب الوسائل والأحاديث الواردة في ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى وأن الأئمة (عليهما السلام) أوصوا كثيرة متواترة من طريق العامة والخاصة. وفيه ٣٥٥ ح ٣ عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) قال : من لم يوصي عند موته لذوي .

الفرائض؟ و «نسختها»<sup>(١)</sup> في بعض الروايات لا تعني إلا نسخ الإطلاق ، وكما نسخت ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا﴾ آية الوصية<sup>(٢)</sup> ، اي استثنت عنها الوصية المجانفة ، فالنسخ وهو الإزالة قد تحلّق على المنسوخ ككل كما هو

. قرابته ممن لا يرثه فقد ختم عمله بمعصيته ، أقول : اختصاص من لا يرثه بالذكر لأنهم أحوج حيث يجرمون الإرث.

وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقضا في مروته وعقله ، قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف يوصي الميت؟ قال : إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال : اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، اللهم إني أعهد إليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك ، وان الجنة حق وان النار حق وان البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وان الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وان القول كما حدثت وان القرآن كما أنزلت وأنت الله الحق المبين ، جزى الله محمدا وآل محمد بالسلام ، اللهم يا عدتي عند كربتي وصاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي إلهي وإله آبائي لا تكلفني الى نفسي طرفة عين أبدا فانك ان تكلفني إلى نفسي أقرب من الشر وأبعد من الخير ، فأنس في القبر وحشتي واجعل لي عهدا يوم ألقاك منشورا. ثم يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصية في السورة التي يذكر فيها مريم في قوله عز وجل ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فهذا عهد الميت ، والوصية حق على كل مسلم أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها ، قال امير المؤمنين (عليه السلام) علمنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علمنيها جبرئيل.

(١) نور الثقلين ١ : ١٥٩ عن تفسير العياشي عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أحدهما (عليهما السلام) في الآية قال : هي منسوخة نسختها آية الفرائض التي هي المواريث ... أقول وهذا نسخ لاطلاقها ألا تصح الوصية بكل ما ترك ام بما زاد عن ثلثه.

(٢) المصدر ٥٤٢ عن الكافي بسند متصل عن محمد بن سوقة قال : سألت أبا جعفر (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ...﴾ قال : نسختها الآية التي بعدها قوله : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا﴾ فيما اوصى به اليه فيما لا يرضي الله به من خلاف الحق فلا اثم على الموصى إليه ان يرده الى الحق والى ما يرضى الله به من سبيل الخير.

المصطلح ، ام يقيد إطلاقه او يخصص عمومه وهذا هو الأكثر استعمالا في الأحاديث التي تحويه ، والرواية اليتيمة المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان «لا وصية لوارث»<sup>(١)</sup> مختلفة او مؤولة بالوصية بما زاد على الثلث<sup>(٢)</sup> ، ولكنه لا يختص بوارث! فهي لا توافق القرآن ، وتعارضها المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهم روات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصادر عن دون خطأ ولا تحديف<sup>(٣)</sup>.

ولقد احتجت بآية الوصية . فيمن احتج . الصديقة الطاهرة جمعا بينها وبين آيات الإرث ، فهل هي بعد منسوخة وبعد ارتحال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! دون أية حجة إلا إجماعا يدعى وروايات يتيمة تروى لا حجة فيها أمام القرآن الناطق بفرض الوصية؟ فحتى لو تواترت الرواية على غير فرضها كانت مضروبة عرض الحائط ،

(١) الدر المنثور ١ : ١٧٥ . أخرج احمد وعبد بن حميد والبيهقي في سننه عن أبي امامة الكابلي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع في خطبته يقول : ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ، وفيه عن عمرو بن خارجة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبهم على راحلته فقال : ان الله قد قسم لكل انسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية ، وفيه أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا وصية لوارث إلا ان تجيزه الورثة.

(٢) الوسائل ٣٥٦ عن أبي حمزة عن بعض الأئمة (عليهما السلام) قال : ان الله تبارك وتعالى يقول : ابن آدم تطولت عليك بثلاثة : سترت عليك ما لو يعلم به أهلك ما واروك وأوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدم خيرا ، وجعلت لك نظرة عند موتك في ثلثك فلم تقدم خيرا.

(٣) كما في صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال : سألته عن الوصية للوارث فقال : تجوز ، قال : ثم تلى هذه الآية ، وصحيحته الاخرى عنه (عليه السلام) قال : «الوصية للوارث لا بأس بها» ورواه صحيح أبي ولاد الحناط قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الميت يوصي للوارث بشيء؟ قال : نعم . او قال : جائز له . (الكافي ٧ : ٩).

فضلا عن آحاد معارضة بأكثر منها وأصح سندا! وجواز الوصية في بعض الأحاديث يعني عدم الحظر عنه لأنها بوجود الوارث في مظان الحظر ، او يعني مضيها جوازا وضعيا يضم جوازه تكليفيا ، ام يعني رجحانها قبل حضور الموت ، فان فرضها حسب الآية خاص بما إذا حضر أحدكم الموت.

وبعد كل ذلك فأية المائدة في إسهاد الوصية . وهي آخر ما نزلت . تثبت الوصية بشهود لكي لا تغفلت ، وهل الوصية هذه المهمة إلا للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين .

فقبل نزول آيات المواريث بفرائضها كانت الوصية في كل ما ترك من خير ، ثم اختصت بقسم قدر في السنة بالثلث ، وكما تصرح آيات الفرائض ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ .

فحقا إنها تفرض الوصية كما آيات الفرائض تفرض الفرائض وتلمح . أيضا . إلى فرض الوصية ، والجمع بين الفرضين أن الأولى لا تعدو الثلث والثانية تخص الثلثين عند الأولى ، أما زاد حين تنقص الوصية عن الثلث ، أم الأثلث الثلاثة إذ لا وصية وكل ذلك من بعد دين . وترى «عليكم» تعم قبيلي النساء والرجال؟ اجل وبطبيعة الحال فان ترك خير وترك الوالدين والأقربين وأوامر الإنفاق ، لا تختص بقبيل الرجال ، إضافة الى عموم التكليف حتى لو اختص اللفظ بقبيل الرجال ، وأن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ تخاطب الذين خاطبهم من ذي قبل وهم كل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

ثم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ لا تعني حالة الاحتضار لأنها حالة الغفوة والاستتار ، والميت فيها منهار لا يستطيع أمرا عاقلا باختيار! إنها تعني الحالات التي تعتبر في كل الأعراف أنها حالات حضور الموت ، لما قل الرجاء بالبقاء ، دون الموت اليقين لأنه مجهول حتى حالة الاحتضار ، فحين ينقطع الرجاء من

الحياة فالوصية - إذا - مكتوبة.

ولماذا الوصية مكتوبة هي خاصة بما إذا حضر أحدكم الموت؟ إذ إنه قبل حاضر الموت مسئول شخصيا عن الوالدين والأقربين في نفقات واجبة وإنفاقات أخرى تحملها آيات ، فلما يحضر الموت فلا يقدر شخصيا ان يعمل بواجبه تجاه الوالدين والأقربين فليوص لهم بما يجبر واجبه في حياته ، ولا سيما إذا هم ليسوا ممن يرث لحجب من كفر او ارتداد أمّا شابه! لمكان الأمر ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ ومنه الوصية لهما ، وكذلك من يرث ولا يكفيه نصيبه ، او يوقر عليه لمرجح آخر ﴿بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

وفرض الوصية هذه هو بطبيعة الحال خاص بما ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ من أموال وحقوق مالية أمّاهيه من خير كان يملكه وهي محسوبة من التركة ، وخير عبارة عن التركة الموصى فيها هو «خيرا» لشمولها الحقوق إلى جانب الأموال ، واختصاصها بما تحصل عليها من حلّه ، وما تبقى عندك بعد إخراج الحقوق الواجبة فيه ، وبعد إخراج الديون منه ، فلا وصية - إذا - في كل ما ترك إذ ليس له إلا خيره في نطاق الشرع ، فكيف يوصي بما لا يملكه؟.

فهل إنه كل ما يتركه مما قل منه او كثر؟ وقليل المال ليس شيئا يذكر ، كما وأن في الوصية به للأقربين ممن يرث فضلا عمّن لا يرث إضرارا بسائر أهل الفرائض ، أو تقليلا لميراث من هو خارج عن الوصية من الورثة <sup>(١)</sup> ، إذا ف «خيرا» هنا هو المال الواسع الذي لا يؤول بوصيته إلى شرّ وضرّ ، كما هو الحال في مطلق الإنفاق زائدا على الفرض حال الحياة ، أن ينفق على الوالدين

(١) الدر المنثور ١ : ١٧٤ عن عروة ان علي بن أبي طالب دخل على مولى لهم في الموت وله سبعمائة درهم او ستمائة درهم فقال : ألا اوصي؟ قال : لا! انما قال الله : ان ترك خيرا وليس لك كثير مال فدع مالك لورثتك.

والأقربين بقدر يقدر به رزق عياله ويضيّق عليهم ، إذا ف «خيرا» تختلف من زمان الى زمان ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن عائلة وارثة إلى عائلة ، ليس يحدد بحد خاص كضابطة سارية لما تصح فيه الوصية ، فهو المال الذي يتحمل الوصية وهنالك وراث ، دون اي مال توصي به وتحرم الورثة المحاييج ، إكثارا على غيرهم او توفيرا لبعضهم على بعض في غير ما حق ولا رجحان.

ثم «الأقربين» بعد الوالدين هم بطبيعة الحال الأولاد فنازلا الى سائر طبقات الوارثين وسواهم ، و «بالمعروف» إخراج عن حدّي الإفراط والتفريط فلا تظلم فيها الورثة ولا تهمل ، وحدّه في متواتر السنة الثلث ، يوصي به أم اقل منه حسب العدل والنصفة ، رعاية للأقرب والأحوج الأليق في ميزان الله ، فإنهما من الموازين الثابتة في كافة الإنفاقات واجبة وراجحة.

وما شرعة الوصية بالثلث إلا رعاية لأحوال المحاييج من الوالدين والأقربين ، وارثين منهم وغير وارثين ، فان الورثة درجات حسب الحاجيات ، والموازنة الصالحة بينهم في قدر الحاجات مقدرة في الثلث ، والوصية بالمعروف هو العدل فيها حسب القرابة والحاجة ، فكما الواجب على من عنده خير الإنفاق بالعدل على الوالدين والأقربين في حياته ، كذلك عليه الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ، تسهيما بالعدل من ثلث ماله او ماله من حق ، فان الورثة وسواهم من الأقارب ضروب شتى في الحاجة ، فيسد ثغور الحاجات بالوصية الصالحة.

فقد شاء الله بفرض الوصية للوالدين والأقربين ألا يجرموا النصيب العدل ، وليست سهام المواريث لهم ككلّ ، لموانع اصيلة او طارئة تحول دون الإرث ، ثم وليست السهام المفروضة تخلق على مختلف المحاييج منهم ، اللهم إلا ضابطة ثابتة روعي فيها الأحقية من حيث القرابة ، وأما هي من حيث

الحاجة فلا ضابطة فيها حيث الحاجات لا تنضبط تحت ضابط ، ولا بد للموصي النظر الثاقب إليها والوصية الصالحة بحقها.

إذا فالتقسيم العادل هو بين وصية الله بسهام الموارث ووصية المكلفين كما أمر الله للوالدين والأقربين بالمعروف ، وهو صالح التقسيم سدا للثغور وتسوية من حيث الحاجات ، إذا فهذه الوصية واجبة كواجب سهام الموارث على سواء ، ثم عن الوصية المحرمة في شرعة الله ، ثم عن الوصية الفوضى غير المراعى فيها درجات القرابة والحاجة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ حقا على عواتقهم للوالدين والأقربين ، فرضا واجبا ، كما ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٤ : ٩).

وقد تلمح صارحة بوجوب الوصية لهم ، أنها إذا تركت أبدل عنها برزقهم إذا حضروا القسمة ، وهم غير الوارثين ، فضلا عن الوالدين وأولي القربى الوارثين.

فهنا واجبات ثلاث : واجب تطبيق السهام كما فرض الله ، وواجب الوصية للوالدين والأقربين كما أمر الله بالمعروف ، ثم واجب الرزق من الميراث لمن يحضر من اولي القربى واليتامى والمساكين.

كل ذلك حفاظا على حقوق المحاويج الذين كان لهم نصيب طول حياة الموصي ، ما أمكن له من إنفاق عليهم ، تقدما لجانب الأقربين ثم سائر القرباء على مراتبهم ، ثم اليتامى والمساكين وابن السبيل.

ف «بالمعروف» في حقل الوصية هو نفسه المعروف في كل حقول الإنفاق.

وترى ان الأقربين هم فقط أقارب النسب؟ والأزواج هم من أقرب الأقربين مهما كانت قرابتهم بالسبب؟ إطلاق الأقربين يشملهم دون ريب حيث القرابة السببية قرابة كما النسبية ، فمهما كانت القرابة النسبية اثبت ، فان القرابة السببية أربط ، فهما إذا قرابتان مهما اختلفتا في الثبت والربط.

ثم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ تحصر فرض الوصية بحضور الموت ، ولا تمنع عن رجحانها قبله كما تظافت به الروايات ، كما ولا تحصر أصل الوصية بالوالدين والأقربين ، وإنما هم يقدمون على من سواهم ، ام انهم أعم من قرابتي النسب والسبت ، ان يشملوا قرابة الأخوة الإسلامية ، مع رعاية الأقرب والأحوج ، ثم الإشهاد على الوصية واجب في واجب : ﴿بِأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ. فَإِنْ عُنِيَ عَلَىٰ أَهْمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ. ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥ : ١٠٨ - ١٠٦).

ثم في الوصية أحكام أخرى قد تأتي بطيات آياتها الأخرى كما تناسبها إن شاء الله تعالى.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٨١ .

أترى ضمير الذكر إلى م يرجع؟ أهو الوصية لأنها مؤنث مجازي جائز

الوجهين؟ ولا وجه للذكورة لسابق المرجع المؤنث المجازي! ولا أن الوصية تبدل في نفسها إنما لأنها فعل الموصي وله تبديلها إذا شاء وفق المصالح المتجددة! إنه حكم الله في الوصية ان يبدل من واجبها الى نديها ، وأصل الوصية ان تترك ، ومادة الوصية الحاصلة أن تبدل ، أماذا مما فرضت في هذه الآية.

ف «بَدَلَهُ» تعم كل تبديل موضوعي او حكمي ، بعضا او كلاً ، كتابة أم شهادة أم واقعية ، سواء أكان مبدله . أيا كان المبدل . وصيا او شاهدا أم ثالثا ، او جلهم ام كلهم ، فهو . إذا . تبديل مطلق او مطلق تبديل ، فالمعنى فمن بدل ما ذكر من الأمر بالوصية ومن مادتها ومن تطبيقها فانما ...

فمن ذلك التبديل تبديل الحكم المكتوب في الوصية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ الى الندب ، فتوى فالإثم . إذا . على المقلد حين لا يعلم المقلد خطأه .

ومنه تبديله عمليا ممن يعرف وجوب المكتوب ثم لا يوصي ، كما منه تبديل كتاب الوصية تمزيقا او تغييرا من أيّ كان .

كل ذلك تشمله ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ مهما اختلفت دركاته كما تختلف درجات الوصية بالمعروف! .

﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ كذلك تعم سماع حكم الله في بعدي فرض الوصية وتنفيذها ، أم سماع الوصية ، والسماع هنا لا يحدّد بنفسه ، إنما هو الذريعة المتعوّدة للعلم ، إذا فهو العلم كيفما حصل بأيّ من حلقات الوصية حكما وتنفيذا ومادة وكيفية ، فلا تبديل في ذلك الحقل لأيّ من جنبات الوصية ، اللهم إلا من الموصي وهو خارج عنم بدله .

ثم ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ تحصر إثم التبديل على من بدّل ، فقد يحاول الوصي تطبيق الوصية كما هي والشاهد يبدلها ، او الشاهد يشهد لها كما

الوصي ثم الوكيل او الورثة آمن هو ممن له مدخل الى حقل الوصية ، هو الذي يبدله ، فلا إثم . إذا . على من سبقه حيث طبقه ، ولا على الوصي حين أوصى كما يجب .  
و ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ الوصية والشهادة ، وسميع قول من بدله «عليم» بما يخفي أو يعلن ، فتبديل الوصية الصالحة في كل مواقفها إثم مهما اختلفت دركاته حسب مختلف التبديل ، حتى إن أوصى بمال له ليهودي او نصراني (١) ما لم يكن

(١) نور الثقلين ١ : ١٦١ عن الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال : أوصت ماردة لقوم نصرارى بوصية فقال أصحابنا اقسم هذا في فقراء المؤمنين من أصحابك فسألت الرضا (عليه السلام) فقلت : إن أختي أوصت بوصية لقوم نصرارى وأردت أن أصرف ذلك الى قوم من أصحابنا المسلمين فقال : امض الوصية على ما أوصت به قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ وفيه عن أبي سعيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل عن رجل أوصى بحجة فجعلها وصية في نسمة؟ فقال : يغرمها وصية ويجعلها في حجة كما أوصى به فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ...﴾ وفيه عن حجاج الخشاب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألت عن امرأة أوصت إلي بمال ان يجعل في سبيل الله فقيل لها : أيجح به؟ فقالت : اجعله في سبيل الله ، فقالوا لها نعطيه آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قالت : اجعله في سبيل الله فقال ابو عبد الله (عليه السلام) اجعله في سبيل الله كما أمرت ، قلت : مرني كيف اجعله؟ قال : اجعله كما أمرت ان الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أرايتك لو أمرتك ان تعطيه يهوديا كنت تعطيه نصرانيا؟ قال : فمكثت ثلاث سنين ثم دخلت عليه فقلت له مثل الذي قلت له اول مرة ، فسكت هنيئة ثم قال : هاها ، قلت : من أعطيها؟ قال : عيسى شلقان أقول : في سبيل الله في عرف ذلك الزمان . كما هو ظاهر الحديث . تعني الجهاد ، وصحيح محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل اوصى بما له في سبيل الله؟ فقال : أعطه لمن أوصى به وان كان يهوديا او نصرانيا إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ...﴾

أقول : كل ذلك إذا كانت الوصية لغير المسلم من المعروف تأليفا لقلوبهم او مودة إليهم كما قال الله :

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ . الى قوله . ﴿أَنْ تَرُدُّوهُمْ﴾ والوصية بر ، وهو

في أصل الوصية محذور.

ولماذا ﴿فَإِذَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ومن يقبل ذلك التبديل او لا يعارض المبدل وهو عارف بالوصية هما ايضا آثمان؟ لأن امكانية المعارضة وواقع القبول ، انهما ليسا في كل الأحوال ، ثم إثم القابل وغير المعارض هو على هامش اثم المبدل ، فهو . إذا . آثم لقبوله الإثم او تركه النهي عنه ، كما تدل عليه ادلة وجوب النهي عن المنكر.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

.١٨٢

الجنف خلاف الحنف هو الميل عن الحق ، والإثم هو التباطؤ عن الخير ، ثم «خاف جنفاً أو إثماً» ليس إلا خوفاً عن واقعهما ، لا الذي يخاف أن يقع ، فان خوف وقوعهما لا يفسد حتى يصلح بينهما ، فهي كخوف نشوز الزوجين : ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ...﴾  
﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.

فالوصية ثلاثة : وصية بالمعروف فلا تبديل فيها ، ووصية بجنف أو إثم

. يعم الموت والحياة. ذلك! فضلا عن لا يعرف هذا الأمر موصى اليه او موصيا كما رواه المشايخ الثلاثة عن يونس بن يعقوب ان رجلا كان بهمدان ذكر أن إياه مات وكان لا يعرف هذا الأمر فأوصى بوصية عند الموت وأوصى أن يعطى في سبيل الله فسئل عنه ابو عبد الله (عليه السلام) كيف يفعل به؟ فأخبرناه أنه كان لا يعرف هذا الأمر فقال : لو ان رجلا أوصى أني أضع في يهودي او نصراني لوضعتة فيهما ان الله عز وجل يقول : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ...﴾ فانظر إلى من يخرج إلى هذا الوجه . يعني بعض الثغور . فابعثوا به إليه .(الوسائل ٦٧٠ من الوصايا) أقول : والأحاديث الواردة في المنع عن إشباع كافر محمولة على موارد الحظر ، فان من المؤلفة قلوبهم كفارا تمال قلوبهم الى الإسلام ولهم نصيب من الصدقات حسب النص في آيتها!.

أو غير مخيف ، فالواجبة هي الأولى ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup> والمحرمة هنا هي المخيفة بجنفها أو إثمها ، فلا إثم في ردها الى المعروف بل هو مفروض فان تطبيق الإثم إثم ، وترك تطبيق الوصية عن بكرتها إثم ، فلتحول إلى غير ما إثم أو جنف .  
ثم عوان بينهما هي بجنف أو إثم لا خوف فيهما من اختلاف بين الورثة أو تخلف منهم عن شرعة الله ، وهي بين تضييع لحق الورثة ولكنهم يوافقون فتمضى ، أم تضييع لحق الله كالوصية بما لا يجوز فعله ، فهي إثم يخيف على أية حال فلا تمضى ، إذا فكل وصية بالمعروف تمضى ، وسواها بين ما تمضى . كما في حق الورثة المتوافقين . ام لا تمضي كما في كل عصيان في غير حقوق الناس .

هنا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ يرتكن على ما فيه جنف أو إثم يخيف بالنسبة للورثة من اختلاف عارم غير محمول ، وليس ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فقط سلبا لإثم ، بل هو إيجاب للإصلاح ، و «لا إثم» ك «لا جناح» في آية الصفا وارد موقف الحظر السابق ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ فلأن فرض الإصلاح وارد لا ريب فيه ، وانما يحل فيه اثم لسابق الحظر ، فيرجع ذلك للإصلاح . بعد أن لا إثم فيه . إلى أصله المفروض .

فمن الجنف المخيف «إذا اعتدى في الوصية إذا زاد على الثلث»<sup>(١)</sup> ومن الإثم «ان تأمر بعمارة بيوت النيران واتخاذ المسكر فيحل للوصي أن لا يعمل بشيء من ذلك»<sup>(٢)</sup> ، وكضابطة عامة إذا كان في الوصية جنف بحق الناس

(١) نور الثقلين ١ : ١٦١ في العلل بسند عن يونس بن عبد الرحمن رفعه الى أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : إذا اعتدى ...

(٢) المصدر في الكافي عن محمد بن سوقة قال : سألت أبا جعفر (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل : «فمن بدله ...» قال : نسختها الآية التي بعدها قوله : ﴿فَمَنْ خَافَ...﴾ قال : يعني

يخيف فلا بد من الإصلاح بينهم ، وإلا فهي ممضاة حين يوافق أصحاب الحق ، وإذا كان فيها إثم وهو الجنف بحق الله ، فهو على أية حال مخيف ، فكما الإثم . أيا كان . لا يمضى ، كذلك الوصية بالإثم ليست لتمضي .

إذا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ في «جنفا» هو الإصلاح بين أهل الحق ، إما ردًا إلى الحق أو حملا لهم على أصل الوصية ، وأما الإصلاح في «إثما» فلا يعني إلّا رد الوصية ، فإنها على أية حال تعمل خلافا بين الموصى له والورثة ، ويختص الإصلاح بينهم برد الوصية ، مهما كان بإرضاء الموصى له بإثم ، أن يعطى ما لا يرضاه .

إذا فضابطة الوصية الممضاة ألا تخيف بجنف أو إثم ، وهنا يأتي دور الإصلاح بين الموصى له وسائر الورثة ، وحين لا إفساد ولا يخاف منه فلا موقع لإصلاح فلا رد للوصية ، اللهم إلّا في الإثم فانه مخيف على أية حال ، او يقال ليس خوف جنف او إثم إلّا مصداقا بارزا هنا لواجب الإصلاح ، إصلاحا بين الورثة أنفسهم او بينهم وبين الموصى في إثم الوصية بحقهم ، واما الجنف فأصلحه محوه. (١)

. الموصى إليه ان خاف جنفا فيما أوصى به اليه فيما لا يرضى الله من خلاف الحق فلا اثم على الموصى إليه أن يرده الى الحق والى ما يرضي الله به من سبيل الخير .

وفيه عن تفسير القمي قال الصادق (عليه السلام) إذا أوصى الرجل بوصيته فلا يحل للوصي أن يغير وصيته يوصيها بل يمضيها على ما اوصى ، إلا ان يوصي بغير ما امر الله فيعصي في الوصية ويظلم ، فالموصى اليه جائز ان يرده الى الحق مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كله لبعض ورثته ويحرم بعضا فالوصي جائز ان يرده الى الحق وهو قوله ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ فالجنف الميل الى بعض ورثتك دون بعض والإثم ان تأمر ...

(١) الدر المنثور ١ : ١٧٥ . أخرج ابو داود في مراسيله وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عائشة عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ...

فحتى إذا لم يكن الجنف مخيفاً . وهو مخيف بطبيعة الحال للمؤمن . فواجب النهي عن المنكر يفرض إصلاح الوصية .

إذا ف ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ تخلقان على كل جنف وإثم حيث يخاف منهما إيمانياً ، وبين الجنف والإثم عموم من وجه يتلاقيان في الوصية بالمحرم الذي فيه إثم وتبعة الخلاف بين الورثة ، ثم قد تكون الوصية جنفاً غير إثم لا تبعة فيه بين المعنيين بالوصية ، أو إثماً غير جنف كما أوصى بحلّ ولكن دون رعاية الأقربى والأحوجية ولا مرجح غيرها كمزيد الإيمان .

### فروع حول الوصية

١ : إذا أوصى بمال لمن يرثه دون تسهيم ، ام لمن لا يرثه لحاجب الطبقة الوارثة ولكنهم وارثون أصالة لأنهم من طبقات الإرث ، فكيف يقسم الموصى به؟ .  
 هنا التقسيم كما فرض الله في الفرائض : للذكر مثل حظ الأنثيين ، أمّا إذا من تسهيمات مستفادة من الكتاب والسنة ، فان الوصية في الثلث تقدّر بقدرها تسهيماً إن قرّر لكل من الموصى لهم ، أم إلى ما فرض لهم ان ورثوا ، ان كانوا من غير الطبقة ، كما في صحيحه زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في رجل أوصى بثلث ماله في أعمامه وأخواله؟ فقال : لأعمامه الثلثان ولأخواله الثلث (١) .

(١) الفقيه ٥٣٠ رقم ١ ، ويؤيده ما روى عن سهل عن أبي محمد (عليهما السلام) في حديث : وكتبت اليه : رجل له ولد ذكور وإناث وأقر لهم بضعة أمّا لولده ولم يذكر انها بينهم على سهام الله عز وجل وفرائضه ، الذكر والأنثى فيه سواء؟ فوقع (عليه السلام) ينفذون فيها وصية أبيهم على ما سمي فان لم يكن سمي شيئاً ردها الى كتاب الله عز وجل ان شاء الله تعالى ، (الكافي ٧ : ٤٥ : ٣ : ٣٩٣ والفقيه ٥٣٠) .

أقول : ذلك إلا ان يظهر من كلامه التسوية بينهم ، فانه يقدم على مقدرة السهام .  
 ٢ هل تجوز الوصية بمال دون قبول من الموصى له؟ ظاهر الآية هو الجواز والمضي ، اللهم إلا ان يرد الموصى به ، لأنه هبة تحتاج الى قبول ، ام ولأقل تقدير ان لم يردّ ، واطلاق الآية لا يقتضي إلا عدم شرط القبول ، واما جوازها مع الرد فلا ، والصحيحة السابقة مما تدل على عدم اشتراط القبول ، فقد تكون الوصية بين عقد وإيقاع ، إيقاع لجوازها دون قبول ، وعقد لردها بالرد ، فهي - إذا - برزخ بينهما ، حيث الآية والصحيحة تدلان على جوازها دون شرط القبول ، ثم لا دليل على اشتراط القبول وانما هو على نفاذ الرد ان ردها الموصى له ، ومما يؤكد عدم اشتراط القبول صحيح عباس بن عامر قال : سألته عن رجل أوصى بوصيته فمات قبل ان يقبضها ولم يترك عقبا؟ قال : اطلب له وارثا او مولى نعمة فادفعها اليه ، قلت : فان لم اعلم له وليا؟ قال : اجهد على ان تقدر له على ولي فان لم تجده وعلم الله منك الجد فتصدق بها ، <sup>(١)</sup> فان عدم الاستفصال في قبول الموصى به وعدمه دليل عدم اشتراطه .

٣ هل تجوز وصيته في الثلث بعد ما جرح نفسه او فعل ما فيه موته؟ ظاهر الآية نعم لإطلاق ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ بل ان المقصر في مصيبة موته أخرى من القاصر فيها ان يوصي لعله يجبر من تقصيره ، والصحيح في عدم جواز وصيته لا يستطيع على تقييد الآية بهذه الطليقة الطليقة <sup>(٢)</sup> .

(١) الفقيه ٥٣٠ . ٤ والاستبصار ٤ : ١٣٨ والتهذيب ٣ : ٣٩٧ .

(٢) هو صحيح أبي ولاد سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : من قتل نفسه متعمدا فهو في نار جهنم خالدا فيها قيل : أرايت إن كان أوصى بوصية ثم قتل نفسه متعمدا من ساعته تنفذ وصيته؟ قال فقال : إن كان أوصى قبل ان يحدث حدث في نفسه من جراحه أو فعل لعله يموت أجزيت

٤ هل يجوز ان يرجع عن وصيته صحيحا او مريضا ، في مرض الموت وسواه؟ طبعاً نعم لأنها ليست عقدا لازما لا رجوع فيه ، اللهم فيما وهب لقريب له بالمعروف فلا يجوز الرجوع عنه ، وفي سواه يجوز الرجوع الى الأقرب معروفا ، وأما الى غير المعروف او ان يترك الوصية المعروفة الى تركها عن بكرتها فلا لأنه خلاف واجب الوصية وقد فعله ، فكيف يصح تحويل الواجب عما حصل؟ والمعتبرة في سماح الرجوع عن الوصية مخصوص بما سوى هذه الموارد<sup>(١)</sup>.

٥ هل تجوز الوصية بما زاد عن الثلث ان لم يجزها الورثة؟ آية الوصية الطليقة قد تحمل الجواز ، ولكن «بالمعروف» فيها تقييد الوصية بما يتحمله الورثة ، ثم الجنف والإثم تقييد انهما بغيرهما ، ومن ثم آيات الفرائض تفرض ميراثا بعد الدين والوصية ، فلا تجوز الوصية في المال كله ، ومتواتر الروايات تحددها بما لم تزد على الثلث ، فالرواية القائلة بجوازها في المال كله<sup>(٢)</sup> خلاف الكتاب والسنة ، وان كانت تجوز في كل المال او جله بإجازة الورثة كما في المعتبرة ، ولان المال حقهم فلهم التنازل عنه قدر ما يسمحون.

---

. وصيته في الثلث وإن كان أوصى بوصية بعد ما أحدث في نفسه من جراحه او فعل لعله يموت لم تجز وصية (الوسائل كتاب الوصايا ب ٥٢ ح ١) أقول : عله بطل وصيته لحكمه عليه بخلود النار فهو إذا كافر ووصية الكافر غير نافذة.

(١) كما في موثق بريد بن معاوية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «لصاحب الوصية أن يرجع فيها ويحدث في وصيته ما دام حيا» وصحيح محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) المدبر من الثلث وقال : «للرجل ان يرجع في ثلثه إن كان أوصى في صححه او مرض» (الكافي ٧ : ٢٢) ورواه مثله عبيد بن زرارة عنه (عليه السلام).

(٢) هي رواية عمار الساباطي عن الصادق (عليه السلام) قال : «الرجل أحق بماله ما دام فيه الروح إن اوصى به كله فهو جائز له» (الفتاوى ٥٢٧).



## الفهرس

- قصة البقرة مجذافيرها وأظافيرها الاسرائيلية ، والقاعدة العقيدية والأصولية والحللقية المستفاد منها ..... ٣٦ . ٥
- تحريفات إسرائيلية في البشارات الحمديية ..... ٣١ . ٢٨
- التقاليد الطالحة والصالحة ..... ٣٦ . ٣٣
- استفتاحات اسرائيلية ببشارات كتابية بمحمد (ص) من قبل ونكرانها من بعد ..... ٦٠ . ٥٧
- كيف أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ..... ٦٤ . ٦٢
- دورتنسي الموت إيمانياً وسواه ..... ٧١ . ٦٦
- حبريل بين المسلمين واليهود ..... ٧٥ . ٧١
- ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وصالح السحر وطالحة وتأثيرها بأذن الله؟! ومقارنة بين سليمان التوراي والقرآن ..... ٨٤ . ٧٦
- «راعنا» في لى عبرانى إسرائيل ..... ٨٩ . ٨٥
- ما هو نسخ آية او إنساءها ..... ٩٤ . ٩٠
- «أينما تولوا فتم وجه الله» وهل إلى غير القبلة أيضا ..... ١٠٨ . ١٠٦
- الإمامة الابراهيمية في ابتلاءه بكلمات في قول فصل ..... ١٣٦ . ١٢١
- البيت المثابة في اثني عشر مكانه . صلاة الطوال بمكانها ومكانتها ..... ١٤٨ . ١٣٦
- «من ذريتنا امة مسلمة لك» في دعاء ابراهيم مستجابة حسب نص التوراة والقرآن ١٥٣ .
- ١٦١
- ما هي «صبغة الله» وليس«ت لله صبغة ..... ١٧٣ . ١٦٦
- «الجزء الثاني من القرآن» هامة القبلة وتحويلها ، ليست القدس هي أولى القبلتين ، بل هي قبلة ابتلائية مدنية لأشهر عدة! معارك الدعايات حول تحويل القبلة ..... ١٨٢ . ١٧٦
- الامة الوسط في قول فصل بسبر وتقسيم في محتملاته ..... ١٨٩ . ١٨٢
- حكمة تحويل القبلة : ... «إلا لنعلم» من العلم دون العلم ..... ١٨٩ . ١٨٢
- ما هو شطر المسجد الحرام بين محتملاته ..... ١٩٩ . ١٩٣
- «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» في تفسير كتابي مبين ..... ٢٠٥ . ٢٠٢
- ختام الكلام حول القبلة في قول فصل ..... ٢١٧ . ٢١٠
- الحياة البرزخية للشهداء وسواهم ..... ٢٣٠ . ٢٢٥
- آية الإسترجام بنبراتها ..... ٢٣٧ . ٢٣٠

- شعيرة السعي بني الصفاء والمرورة في قول فصل ..... ٢٣٧ - ٢٤٨
- كتمان لعين إلا باصلاح وتبيين ..... ٢٤٨ - ٢٥٤
- آيات آفاقية سبع تدل على توحيد الله وحكمته ..... ٢٥٧ - ٢٧٠
- «كلوا ما في الأرض حلالاً طيباً»؟ ثم في خطوات الشيطان ..... ٢٧٣ - ٢٧٦
- عشرة كاملة من حق البروجاء طقوس ظاهرية منه ..... ٢٨٩ - ٢٩٥
- حقوق القصاص واحكامها الرئيسية . «ولكم في القصاص حياة ...» ..... ٢٩٥ - ٣٠٩
- واجب الوصية إذا حضر أحدكم الموت؟ فمن بدله .. إلا «من خاف من موص جنفاً أو اثماً» ..... ٣٠٩ - ٣٢٣
- فروع حول الوصية ..... ٣٢٣ - ٣٢٥